الإشارات الإلهية
إلى
المباحث الأصولية

تأليف
نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي
ابن عبد الكريم الطوفي

◈ يطبع لأول مرة محققاً على عدة نسخ خطية ◈

أعده للنشر
أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب

المجلد الثالث

الناشر
الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

النـاشـر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر
خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا
ت : ٤٣٠٧٥٢٦ - ٥٦٨٨ ٢٠٥ القاهرة
اسم الكتاب : الاشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية
تـأليـف : نجم الدين أبو ربيع سليمان بن عبد القوى ابن عبد الكريم الطوفى
أعده للنشـر : أبوعاصم حسن بن عباس بن قطب
رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٣١٧١
الترقيم الدولي : 977-5704-74-X
الطبـعـة : الأولى
سنـة النشـر : ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
طبـاعـة : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر


الإشارات الإلهية
إلى
المباحث الأصولية

القول في سورة طه[*]

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[١] سبق القول فيه .

﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[٢] سبق أيضًا .

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾[٣] أي : عن نفسي[٤] فكيف أظهرها للخلق ، وهو معنى ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي﴾[٥] و﴿عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٦] .

﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[٧] سؤال تأنيس ، ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾[٨] هذا جواب السؤال ، وباقي كلامه زائد على الجواب المطابق استئناسًا من موسى ، ويستدل به على الجواب بأكثر مما سئل عنه لفائدة ، إما الاستئناس كما هٰهنا ، أو زيادة فائدة وتمهيد قاعدة ، كقوله - صلى الله عليه وسلم - حين سئل عن البحر **« هو الطهور ماؤه الحل ميتته »**[٩] .

(*) في ل : عليه السلام .

(١) سورة طه ، آية (٥) .

(٢) سورة طه ، آية (٨) .

(٣) سورة طه ، آية (١٥) .

(٤) هذا غير ظاهر ، بل معرفة أشراطها يدل على عدمِ خفاءٍ مطلق لها ، وإن كان يعلم منها شيء ويجهل أشياء ، والله أعلم .(خ)

(٥) سورة الأعراف ، آية (١٨٧) .

(٦) سورة لقمان ، آية (٣٤) .

(٧) سورة طه ، آية (١٧) .

(٨) سورة طه ، آية (١٨) .

(٩) أخرجه مالك في الموطأ ، كتاب الطهارة ، باب : الطهور للوضوء (١٢) ، ومن طريقه=

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾[1] الآيتين ، هذا من المعجزات النبوية ، وتوجيهه عند المتكلمين أنه يخلق الحياة فيها إذا شاء ويسلبها عنها إذا شاء ، وزعم بعضهم أن العصا كانت من آس[2] الجَنَّة ، وفيها حياة كامنة ، فإذا أريد انقلابها حيّة ظهرت الحياة وكمنت الجمادية ، وإذا أريد عودها عصًا انعكس ذلك ، وهو بعيد ، ولعله / [١٣٥أ/ م] مأخوذ من قول أصحاب الكمون ، عند الاستدلال على حدوث الأعراض ، والفلاسفة ينكرون قلب العصى حية ، وصرح لي بعضهم بذلك ، وجعل يتعجب من تصديقي به .

= أبو داود في الطهارة ، باب : الوضوء بماء البحر (٨٣) ، والترمذي في الطهارة ، باب : ما جاء في ماء البحر أنه طهور (٦٩) ، والنسائي في الطهارة ، باب : ماء البحر (١/ ٥٠) ، وفي التيمم ، باب : الوضوء بماء البحر (١/ ١٧٦) ، وابن ماجه في الطهارة وسننها ، باب : الوضوء بماء البحر (٣٨٦) ، وفي الصيد ، باب : الطافي من صيد البحر (٣٢٤٦) ، وأحمد (٢/ ٢٣٧ ، ٣٦١ ، ٣٩٣) ، والدارمي (٧٣٥ ، ٢٠١٧) ، وابن الجارود (٤٣) ، والبغوي في « شرح السنة » (٢٨١) ، والبيهقي في « السنن » (١/ ٣) ، والدارقطني (١/ ٣٦) ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٣/ ٤٧٨) ، وصححه ابن حبان (١٢٤٣) ، وهو في الموارد (١١٩) ، وابن خزيمة (١١١) ، والحاكم (١/ ١٤٠) ووافقه الذهبي كلهم من حديث صَفْوَانَ بنِ سُلَيْم ، عن سعيدِ بنِ سَلَمَةَ - من آلِ بني الأَزْرَق - أَنَّ المُغِيرَةَ ابنَ أبي بُرْدَةَ أخبره : أَنَّه سَمِعَ أبا هريرةَ يقول : سَأَلَ رجلٌ رسولَ اللّهِ - صلى اللّه عليه وسلم - : إنَّا نَرْكَبُ في البحر ، ونَحْمِلُ مَعَنا القليل من الماء ، فإنْ توضَّأنا به عَطِشْنا ، أفنتوضَّأ من ماء البحر ؟ الحديث . وقال البيهقي - فيما نقله عنه الزيلعي في نصب الراية (١/ ٩٧) : « ... وإنما لم يخرجه البخاري ، ومسلم في صحيحيهما لاختلاف وقع في اسم سعيد بن سلمة ، والمغيرة بن أبي بردة » . قال الزيلعي : ولا يضر اختلاف من اختلف عليه فيه ، فإن مالكًا قد أقام إسناده عن صفوان ابن سليم ، وتابعه الليث بن سعد عن يزيد عن الجلاح ، كلاهما عن سعيد بن سلمة عن المغيرة بن أبي بردة ، ثم يزيد بن محمد القرشي عن المغيرة بن أبي بردة عن أبي هريرة عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - فصار الحديث بذلك صحيحًا .

وقال الترمذي في « العلل » رقم (٢٣) : سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال : هو حديث صحيح . ونقل الحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » (١٠/ ٢٣٠) تصحيح هذا الحديث عن ابن خزيمة ، وابن حبان ، وابن المنذر ، والخطابي ، والطحاوي ، وابن مندة ، والحاكم وابن حزم ، والبيهقي ، وعبد الحق .

(١) سورة طه ، آية (٢٠) .

(٢) في م : ابن .

﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَٰرُونَ أَخِي (٣٠) ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾[1] احتجت به الشيعة على أن عليًا هو الإمام الحق بعد رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم- وقرروه بأن هذا النص اقتضى أن هارون شريك موسى في أمره ، والحديث وهو قوله- ﷺ- لعليّ: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**[2] اقتضى إثبات المنازل الهارونية من موسى لعليّ من محمدٍ - صلى اللَّه عليه وسلم- إلا النبوة ، ومن منازل هارون الشركة في أمر موسى ، فاقتضى مشاركة عليّ لمحمدٍ في أمره ، ثم النبي - صلى اللَّه عليه وسلم- كانت له النبوة والإمامة ، وقد استثنى النبوة عن مشاركة عليّ فيها ، فوجب أن يكون شريكه في الإمامة» ، لكن قام الدليل وانعقد الإجماع على أنه لم يكن شريكه فيها حال حياته ، فوجب أن يبقى مقتضى الحديث فيها بعد وفاته ؛ لزوال المانع ، ثم أكدوا ذلك بقوله - صلى اللَّه عليه وسلم- : **« إن عليًا مني وأنا منه ، وهو وليّ كل مؤمنٍ بعدي»**[3] رواه أحمد في المسند من حديث عمران بن /[٢٨٧/ ل] حصين ، وفي كتاب فضائل علي من حديث بريدة بن الحصيب **«وهو وليكم بعدي»**[4] [5] .

---

(١) سورة طه ، آية (٢٩ - ٣٢) .

(٢) تقدم مرارًا .

(٣) تقدم (٢/ ١١٩) .

(٤) تقدم (٢/ ١١٩) .

(٥) هذا أيضًا من المواطن التي احتج المصنف فيها للشيعة ، ولم يرد احتجاجهم ، وقد سبق رد هذا الاستدلال ، فإن قوله- صلى اللَّه عليه وسلم - لعلي رضي اللَّه عنه: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى» كان تطييبًا لقلبه لمّا تُكلم فيه في تركه -رضى اللَّه عنه- مع النساء والصبيان ، وليس في هذا إثبات المنازل الهارونية من موسى لعلي من محمد ، وليس وراء ذلك إلا عمى القلوب ، ولو كان ذلك كذلك لكان لأبي بكر جميع المنازل الإبراهيمية والعيسوية ، ولعمر جميع المنازل الموسوية والنوحية ، ولوازم ذلك تلزم الخصم إلا أن=

﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾[١] أي خلقته وبنيته ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٢] إما بعقل كالعقلاء ، أو بإلهام كغيرهم ، كالنحل في بناء بيوتها ، والعنكبوت في نسجه ، وغيرهما .

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾[٣] هذا إشارة من فرعون إلى إنكار البعث والقول بالدهر ، فأجابه موسى بإثبات البعث بقوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾[٤] أي: يعلم تلك القرون علم ضبط ، ثم[٥] إذا جاء وقت إعادتها أعادها ، وبدليل البعث وهو قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[٦] أي يخرجهم من الأرض كما يخرج منها النبات ، وهو الدليل العام على البعث في القرآن ، وقد سبق وسيأتي إن شاء الله عز وجل .

﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[٧] يحتج به من يرى السحر خيالاً لا حقيقة له ، لقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ﴾ ، والمشهور أن له حقيقة في الخارج ؛ لأنه يقتل ، ولا شيء مما يقتل بخيال ، أو لا حقيقة له ، وقد أوجب جماعة من أهل العلم منهم الشافعي وأحمد القصاص في القتل بالسحر عمدًا ، ولولا أن له حقيقة لما فعلوا ،

= يتناقض ، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- شبه أبا بكر بإبراهيم وعيسى ، وشبه عمر بنوح وموسى ، وهو مشهور معلوم فتنبه لذلك ، وقد رد المصنف في سورة القصص على الشيعة بإلزام لطيف ، فإن المنازل الهارونية المدعاة منها الفصاحة ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا﴾ فيلزم أن عليًا أفصح من محمد ، وهو خلاف الإجماع (خ).

(١) سورة طه ، آية (٥٠) .

(٢) سورة طه ، آية (٥٠) .

(٣) سورة طه ، آية (٥١) .

(٤) سورة طه ، آية (٥٢) .

(٥) زيادة من ل .

(٦) سورة طه ، آية (٥٣) .

(٧) سورة طه ، آية (٦٦) .

وقد يقال: إن الخيال /[١٣٥ب/م] والوهم قد يغلبان فيقتلان ولا حقيقة لهما خارجية ، ويجاب بأن القتل أثر وجودي خارجي ، والأثر الوجودي استحال أن يكون مؤثره عدميًا لاستحالة[1] تأثير العدم في الوجود .

﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾[2] قيل : خاف أن يفتتن الناظرون بذلك السحر ، ويلتبس الأمر عليهم فلا يتبين الحق أو لا يتمحض ، وقيل : لما أراد السحرة الإلقاء سمع موسى هاتفًا يقول: ألقوا يا أولياء اللّه ، فخاف أن يكون ممكورًا به ، وأن العناية [بخصمه][3] دونه ، وإنما سموا أولياء اللّه باعتبار مآل حالهم كما وقع .

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[4] خبر وحكم عام بعدم فلاحه في الدنيا والآخرة ما لم يتب ، ومن ثم كان الساحر شبيهًا بالشيطان خاسئًا [مذمومًا][5] مدحورًا قبيح السمعة سيئ الحالة والقالة .

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[6] قيل: أي : على جذوع النخل ، وقيل: هي ظرفية على أصلها لتمكن المصلوب على الجذع تمكن المظروف على الظرف .

﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾[7] هو من معجزاته ، ضرب البحر بعصاه فامتنع ، فأوحي إليه أن أكنه ، فكناه ، وقال : انفلق أبا

(١) في ل : لا استحالة .
(٢) سورة طه ، آية (٦٧) .
(٣) في ل : تخصهم .
(٤) سورة طه ، آية (٦٩) .
(٥) سقط من ل .
(٦) سورة طه ، آية (٧١) .
(٧) سورة طه ، آية (٧٧) .

خالد ، وهي كنية البحر ، ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١] وظهرت أرض البحر يابسة ويعايا[٢] بها ، فيقال : ما أرض لم تر الشمس إلا مرة واحدة ؟! وهي هذه .

﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾[٣] هذه من الإشارات/[٢٨٨/ل] وجوامع الكلم .

﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾[٤] بالكسب والتسبب ، عند الجمهور ، وبخلق الضلال عند المعتزلة ، و﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴾[٥] يحتمل أنه تأكيد لمعنى ﴿ وَأَضَلَّهُمُ ﴾[٦] ، ويحتمل أن «أضل» لما كان في سياق الإثبات كان مطلقًا لا عموم له ، يصدق بمرة واحدة بيّن إرادة العموم منه بعموم لازمه ، وهو سلبُ الهداية ، إذ الضلال يلزمه عدم الهدى .

﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾[٧] يستفاد منه أن الأمر للفور ؛ لأن موسى كان مأمورًا بالسعي لميقات ربه ، ثم إنه علل عجلته برضى ربه ، وجعلها سببًا له ، وإذا كانت الفورية في امتثال الأمر سببًا للرضى ، كان التراخي سببًا للغضب عملاً بموجب قياس العكس ، وغضب اللَّه - عز وجل - واجب الاجتناب ، ورضاه واجب التحصيل ، وسببه فورية الامتثال ، وسبب الواجب واجب ، ففورية

---

(١) سورة الشعراء ، آية (٦٣) .

(٢) ويعايا : أي تجعل فزورة «لغزًا» ، من العي وهو الجهل .

(٣) سورة طه ، آية (٧٨) .

(٤) سورة طه ، آية (٧٩) .

(٥) سورة طه ، آية (٧٩) .

(٦) سورة طه ، آية (٨٥) .

(٧) سورة طه ، آية (٨٤) .

الامتثال واجبة ، وهو المطلوب[١] .

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾[٢] يحتج به الجمهور لإضافة اللَّه -عز وجل- فتنتهم إلى نفسه ، وربما أجيب بأن الفتنة ها هنا الاختبار لا الضلال ، اختبرهم فلم يثبتوا على محك الامتحان .

﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾[٣] يحتج به المعتزلة لإضافة الضلال / [١٣٦أ/ م] إلى السامري ، ويجاب عنه بأنه أضيف إليه باعتبار التسبب والكسب ، وقد سبق في «الأعراف» أن موسى قال: «**يا رب هذا السامري صاغ العجل فمن أنطقه ؟**» قال: أنا ، قال: فما فتن قومي إلا أنت ﴿ **إن هي إلا فتنتك** ﴾[٤] قال: أحسنت يا حكيم الحكماء .

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾[٥] يحتج به الاتحادية ؛ لأن العجل كان جمادًا ؛ وإنما تحرك وخار لظهور الحق فيه ، واتخاذه[٦] مظهرًا له كالصورة التي يظهر فيها للناس يوم القيامة ، ويؤكد ذلك أن جمعًا كثيرًا من بني إسرائيل أدركوا بفطرهم أن هذا هو الإله وهم كانوا أهل التحقيق والمعرفة منهم .

وأجيب بأن قبل هذا و[٧] بعده ما يقطع ببطلانه ، وهو قوله -عز

---

(١) استدلال لطيف إلا أن يقال : (الترضى) بمزيد رضا ، فلا يتم الاستدلال بذلك حينئذ . والله أعلم (خ).

(٢) سورة طه ، آية (٨٥) .

(٣) سورة طه ، آية (٨٥) .

(٤) تقدم (٢/ ٢٣٨) .

(٥) سورة طه ، آية (٨٨) .

(٦) في م / واتحاده .

(٧) في ل : أو .

وجل- ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[(١)] فجعل ذلك فتنة وضلالاً ، وهو[(٢)] قول هارون لهم ﴿إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[(٣)] وانتظم الدليل هكذا: الرحمن ربكم ، والعجل ليس بربكم ، ينتج أن الرحمن ليس هو العجل ، وأن العجل ليس هو الرحمن ، ولو صح ما زعمه الاتحادية لكان عبدة العجل المتوعدون بالغضب والذلة[(٤)] أعرف بالله -عز وجل- من موسى وهارون ، وأنه محال .

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾[(٥)] يستدل به الصوفية[(٦)] على أن الله -عز وجل- متكلم بحرف وصوت[(٧)] ؛ لأنه دل/[٢٨٩/ل] من باب قياس العكس على أن الله -عز وجل- متصف بأنه يرجع إليهم القول لو شاء ، وحقيقة ذلك المتعارفة المتبادر إليها الفهم هو القول بحرف وصوت ، وأجاب الخصم بأن حاصل هذا أنه استدلال بالمفهوم ، وهو ضعيف وإنما

---

(١) سورة طه ، آية (٨٥) .
(٢) سقط من ل .
(٣) سورة طه ، آية (٩٠) .
(٤) في ل : والذل .
(٥) سورة طه ، آية (٨٩) .
(٦) في ل : الصوتية .
(٧) ليس هذا الاستدلال قاصرًا على الصوفية ، بل هو استدلال أهل السنة ، وهو وإن كان بالمفهوم ، لكن صرحت بذلك المفهوم الأدلة الأخرى كآيات النداء والنجاء ، فهما صوتان رفيع وخفيض ، ونحو قوله - صلى الله عليه وسلم - : «ينادي الله يوم القيامة بصوت يسمعه من بعد ، كما يسمعه من قرب » وقوله -صلى الله عليه وسلم- (لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف» وغير ذلك من الأدلة الدالة على أن كلام الله -عز وجل- بحرف وصوت ، وهي قطعية الدلالة توجب المصير إليها ، وما يكون من صفات الله فليس كصفات المخلوقين ، بل لكل ما يخصه ، وبذلك تنتفي شبه المعطلة والحمد لله (خ) .

سلب النطق والكلام عن العجل ، وذلك لا يقتضي إثباته للّه -عز وجل- إلا بطريق المفهوم ، ودل على التوحيد بنفي الضر والنفع ، عن غير اللّه -عز وجل- ونظمه هكذا : الإله يملك الضر والنفع ، والعجل وغيره لا يملك الضر والنفع ، فالإله ليس هو العجل ، فالعجل(١) ليس هو الإله .

﴿ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾(٢) فيه أن الطاعة موافقة الأمر ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾(٣) يفيد أن المعصية مخالفة الأمر لا الإرادة ، خلافًا لما يحكى عن المعتزلة .

وفيه أيضًا أن الأمر على الوجوب والفور ، **أما الأول** فلعقاب موسى لهارون بالأخذ بلحيته ورأسه على مخالفة أمره . **وأما الثاني:** فلقوله: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾(٤) وإذ وقتية أي : ما منعك حين أو وقت ضلالهم من اتباعي لتخبرني ، أو من سلوك طريقي فيهم بالردع(٥) والمنع والجهاد ، فعاقبه على تأخير اتباعه عن وقت ضلالهم /[١٣٦ب/م] ، وأخبر أنه بذلك عصى أمره .

﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾(٦) فيه جواز التصرف في الأحكام والسياسات بحسب رعاية المصالح ؛ لأن هارون حصل أعلى المصلحتين عنده ، وهو جمع بني إسرائيل

(١) في ل : والعجل .
(٢) سورة طه ، آية (٩٠) .
(٣) سورة طه ، آية (٩٣) .
(٤) سورة طه ، آية (٩٢ - ٩٣) .
(٥) في ل : بالوزع .
(٦) سورة طه ، آية (٩٤) .

وتأليفهم ، ودفع أعظم المفسدتين ، وهو التفريق بينهم ، وإن استلزم ذلك مخالفة أمر أو ارتكاب نهي ، وأن المتصرف بحسب المصلحة مؤديًا للنصيحة معذور ، وأشار هارون بقوله: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾[١] إلى قول موسى له ﴿ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[٢] وللشيعة هٰهنا[٣] كلام ، وهو أن النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم- نزّل عليًا منه منزلة[٤] هارون من موسى ، وعليٌّ هو الإمام الحق بعده - صلى اللّٰه عليه وسلم- ومقتضى استخلافه أن يسوس الأمة بالأصلح فالأصلح ، وأن يجمعها ولا يفرقها ، فلما خرج عليه ، وغدر به رأى الأصلح جمع الكلمة ، وعدم الفرقة ، فلذلك لم يجاهدهم معتذرًا إلى النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم- إذا لقيه يوم القيامة بما اعتذر به هارون إلى موسى ، وهو قوله: إني خشيت أن تقول: فرقت بين الأمة ولم ترقب مقتضى استخلافي لك من اعتبار السياسة بالاصلح فالأصلح .

ويجاب عن هذا بأن هذا القياس لا يصح ؛ لأن موسى كان/ [٢٩٠/ل] منتظر العودة ، فأخر هارون الجهاد والإنكار حتى يعود فيرى رأيه ، ومحمد ﷺ غير منتظر العودة إلى الدنيا ، فقد كان

---

(١) سورة طه ، آية (٩٤) .

(٢) سورة الأعراف ، آية (١٤٢) .

(٣) سقط من ل .

(٤) المصنف ههنا وإن أجاب عن قياس الشيعة ، إلا أنه عرض شبهتهم وكأنها شبهة دليل حقيقي ، وأكد ذلك بقوله : «وهاهنا بحث من الطرفين يطول» فأوهم أن للشيعة بحثًا حقيقيًا حول هذا ، وهذا كله وهم وسراب فهو مبني على أن عليًا منزل في كل وقت منزلة هارون من موسى ، وقد سبق أن قول النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - له ذلك إنما كان تطييبًا لقلب علي في مسألة غزوه - صلى اللّٰه عليه وسلم - واستخلافه عليًا على المدينة ، وليس عامًا ، وإلا لكان قوله لأبي بكر « مثلك كمثل إبراهيم وعيسى» وقوله لعمر : «مثلك يا عمر كمثل نوح وموسى» عامًا أيضًا وهذا لا يقولون به ، بل هو في مسألة خاصة ، فكذلك قوله لعلي ، وهذا واضح والحمد للّٰه (خ) .

الواجب على عليّ إن كان هو الإمام الحق ، كما زعمتم أن يجاهد بمن أطاعه ، وإن قل من عصاه ، وإن كثروا إن كانوا كفارًا أو بغاه كما قاتل الخوارج وأصحاب صفين والجمل ، وإلا لكان تاركًا لواجب الجهاد ، وهٰهنا بحث من الطرفين يطول [١] .

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَـٰسَـٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [٢] الآية ، فيه أن الاطلاع على أسرار القدرة والكشف عن غرائب الحكمة يختص به قوم دون قوم ، وأن الاختصاص بذلك قد يكون معجزًا وكرامة لنبي أو ولي ، وقد يكون فتنةً واستدراجًا كما في السامري ، وبلعام الذي قال فيه تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [٣] فلا ينبغي لأحد أن يغتر بما كوشف به من الأسرار والحقائق لما ذكرنا ، بل ينظر في حال نفسه ، فإن كان موافقًا [٤] للشرع رجا خيرًا وخشي المكر الخفي ، وسوء العاقبة وإن كان مخالفًا للشرع ، فليحذر وليرتدع وليعلم أنه ممكور به ، ثم لا ييأس من اللطف والتدارك /[١٣٧أ/م] ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [٥] والذي بصر به السامري هو أن جبريل - عليه السلام- كان يوم أغرق فرعون وقومه على حجرة تسمى الحياه مهما وطأت شيئًا تحرك حيا تحت حافرها ، فألهم أن تراب حافرها يفيد الجمادات حياة فلما صاغ العجل ، وقد كان أخذ من ذلك التراب شيئًا ألقاه عليه فتحرك وخار ، وصار عجلاً جسدًا له خوار ، فذلك معنى قوله:

---

(١) في ل : بمنزلة .
(٢) سورة طه ، آية (٩٥ - ٩٦) .
(٣) سورة الأعراف ، آية (١٧٥) .
(٤) في ل : غير مخالف .
(٥) سورة يوسف ، آية (٨٧) .

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾(١) أي: من أثر حافر فرس الرسول ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾(٢) أي: على العجل لما صغته ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾(٣) أي : ألهمت أو خطر لي ، فكان ذلك التراب إكسير الحياة (كإكسير) الذهب ، ويحتج بهذا أصحاب الكيمياء ، لأن الجماد إذا جاز أن ينتقل إلى الحيوان بجوهر يضاف إليه ، فانتقاله إلى رتبة أخرى من رتب الجماد بجوهر يضاف إليه أولى بالجواز(٤) .

﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾(٥) الآية ، إنما(٦) سمى العجل إلهًا باعتبار اعتقاد السامري وتهكمًا به ، وأحرقه ونسفه في البحر تحقيقًا لما سبق من أنه لا يملك ضرًا ولا نفعًا لنفسه فكيف لغيره؟! ويلزم ذلك أنه ليس بإله لما مر (٧) .

﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾(٨) أي : كتابًا وقرآنًا ، ﴿ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾(٩) الآية ، فيه إيجاب الإيمان بالقرآن واتباعه بدليل الوعيد على الإعراض عنه ، وفيه/[٢٩١/ل] وفيما بعده إثبات القيامة والصور

---

(١) سورة طه ، آية (٩٦) .

(٢) سورة طه ، آية (٩٦) .

(٣) سورة طه ، آية (٩٦) .

(٤) هذا باعتبار معارف عصره ، وأسطورة السيمياء بتحويل الخشب إلى ذهب ، أو معرفة إكسير الحياة المانع للموت ، وهذا كله من الوهم ، وقد تقدمت البشرية في علوم الكيمياء ، بحيث تيقنا أن ذلك من الوهم ، والحمد لله (خ) .

(٥) سورة طه ، آية (٩٧) .

(٦) سقط من ل .

(٧) أو يحمل على أنه إله باطل ليس بإله حق ، فإن الله سمى هذه المعبودات من دونه آلهة ، كما في قوله : ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك﴾ . الآية ، وكما في قوله : ﴿ أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ ونحو ذلك ، لكنها ليست حقًا ، قال تعالى : ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل﴾ . (خ)

(٨) سورة طه ، آية (٩٩) .

(٩) سورة طه ، آية (١٠٠) .

والمحشر[١] ونحوه من أحكام اليوم الآخر .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾[٢] يحتج به من رأى أن لا معرب في القرآن ، وهو ما أصله أعجمي ثم عرّب ، وإلا لما كان جميع القرآن عربيًا ، وهو خلاف ظاهر الآية .

وأجيب بأن الآية عام مخصوص بما ثبت تعريبه: كالسجيل والقسطاس والمشكاة ونحوه ، أو عام أريد به الخاص ، وهو أكثره ، أي : وكذلك جعلنا أكثر القرآن عربيًا ، أو لأن المعرب فيه استولى عليه لسان العرب فصار عربيًا حقيقة أو حكمًا ، كما أن إبليس وإن كان من الجن غلب عليه حكم الملائكة ، حتى تناوله أمرهم بالسجود لآدم ، والشيء قد ينتقل عن حكمه الأصلي بالغلبة الطارئة عليه

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[٣] دليل على شرف العلم ، وأنه إنما يحصل بتعليم اللّه -عز وجل- كشفًا أو إلهامًا أو توقيفًا[٤] لأسباب التعلم ، وهذا من خواص العلم على المال ؛ إن العلم تحمد الزيادة منه ، والمال تكره الزيادة منه .

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ﴾[٥] أي: ترك العهد ، وقيل: هو نسيان حقيقي ، ورُدَّ بأنه لو كان كذلك لما عُصّي ، ولا عوقب لرفع حكم النسيان في موجب العدل .

---

(١) في ل : والحشر .
(٢) سورة طه ، آية (١٢٣) .
(٣) سورة طه ، آية (١١٤) .
(٤) في ل : توفيقًا .
(٥) سورة طه ، آية (١١٥) .

﴿ وَلَمْ نَجِدْ /[١٣٧ ب] لَهُۥ عَزْمًا ﴾[١] أي: على رعاية العهد، وحفظه، كقوله: ﴿ وما وجدنا لأكثرهم من عهدٍ ﴾.

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[٢] إشارة إلى تحمّل الرجل[٣] مؤونة المرأة، لتخصيصه بالشقاء دونها، ولم يقل: فتشقيا، وهذا شبيه بدلالة المفهوم وهو اختصاص الشيء بالحكم لتخصيصه بالذكر.

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾[٤] قرن بينهما؛ لأن الجوعَ عُري الباطن وخلوه، كما أن عدم الثياب عُري الظاهر.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾[٥] لأن الضحى هو البروزُ للشمس ظمأ الظاهر، والظمأ ضحى الباطن، بجامع لحوق الحرارة لهما.

[﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[٦] يحتج به من رأى أن الأنبياء غير معصومين من الكبائر؛ لأن هذه كانت كبيرة من آدم، ولذلك سميت غيًّا، وهو الضلال، وعوقب عليها بالإخراج من الجنة.

وأجيب بأن آدم حينئذ لم يكن نبيًّا، فهو في ذلك كبني يعقوب، فيما فعلوا، وحينئذ الآية خارجة عن محل النزاع.][٧]

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[٨] يحتج به على

---

(١) سورة طه، آية (١١٥).
(٢) سورة طه، آية (١١٧).
(٣) في ل: الرجال.
(٤) سورة طه، آية (١١٨).
(٥) سورة طه، آية (١١٩).
(٦) سورة طه، آية (١٢١).
(٧) سقط من ل.
(٨) سورة طه، آية (١٢٤).

عذاب القبر ، وتقريره أن للإنسان ثلاثة أحوالٍ: معاشه في الدنيا ، ومعاده يوم الحشر ، وما بينهما ،وهو البرزخُ في القبر ، وليس المراد بالمعيشة الضنك المعاش في الدنيا/[٢٩٢/ل] ؛ لئلا يخالف الخبر المخبر ؛ إذ أكثر المعرضين عن الإيمان ، والذكر في أوسع معيشة ولا معاده يوم الحشر ؛ لتعقيب المعيشة الضنك به ، وهو دليلُ التغاير ، فتعين أن المراد ما بينهما ، وهو في[1] حاله في القبر وسماه[2] معيشة ؛ لأنه لا يدرك عذاب القبر إلا وهو حيّ ، فهو يعيش عيشًا نكدًا فيه .

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ﴾[3] أي : فتركتها ، وأعرضت عن الإيمان بها ، هذا معناه لأن الكلام فيمن أعرض عن الذكر المقابل لمن اتبع الهدى ، وقد يستدل به على تحريم ترك القرآن ووجوب دراسته وحفظه ، ولعمري إنه [واجب غير أنه][4] ليس مراد الآية ، إلا أن تحمل على حقيقتها في النسيان ، ومجازها في الترك والإعراض عن الإيمان ، فيصح ، وفيه من الخلاف ما ذكر في ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[5] إلى ﴿ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾[6] فيه تعليل تمتيعهم[7] بفتنتهم ، وهو تعليل للفعل الإلهي ، وإضافة الفتن إلى اللَّه -عز وجل- وقد سبق .

---

(١) زيادة من ل .

(٢) في م : وسماها .

(٣) سورة طه ، آية (١٢٦) .

(٤) مكررة في م .

(٥) سورة النساء ، آية (٤٣) .

(٦) سورة طه ، آية (١٣١) .

(٧) في ل : تمتعهم .

القول في سورة الأنبياء(*)

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾(١) يعني أن ذكر محمد - صلى اللّه عليه وسلم- في الكتب القديمة : أنه نبي آية واضحة على نبوته كافية يعلمها أهل الكتاب ، فيلزمهم بها الحجة ، ويخبرون بها المشركين فيحصل لهم العلم بذلك ، فيلزمهم الحجة - أيضًا- لكن أهل الكتاب عاندوا وكتموا فلهذا كانوا /[١٣٨أ/م] أشدَّ جرمًا ، وأعظم دركًا .

﴿وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾(٢) وهو نظير ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(٣) ونظيرها في القصص .

---

(١) سورة طه ، آية (١٣٣) .

(٢) سورة طه ، آية (١٣٤) .

(٣) سورة النساء ، آية (١٦٥) .

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[١] هو كقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾[٢] في أنه لا تحديد ولا تقدير فيه لمدة الساعة ، بل هو تقريب إضافي .

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[٣] يحتج به من رأى خلق القرآن ، لأن الذكر هٰهنا هو القرآن بدليل ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ﴾[٤] وقد وصفه بالحدوث وأجيب بأنا لا نسلم أن الذكر هو القرآن بل هو الرسول بدليل ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[٥] . ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا﴾[٦] و﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾[٧] أي/[٢٩٣/ل] : سمعوه أو استمعوا إليه ، يقال: سمعت زيدًا ، واستمعت إليه .

سلمنا أنه القرآن ، لكن لا نسلم أنه وصفه بحدوث الوجود بل بحدوث النزول ، فهو محدث النزول قديم الوجود[٨] ، وقد سبق فيه كلام من الطرفين .

(*) بعده في ل : عليهم السلام .

(١) سورة الأنبياء ، آية (١) .

(٢) سورة الإسراء ، آية (٥١) .

(٣) سورة الأنبياء ، آية (٢) .

(٤) سورة الأنبياء ، آية (٢) .

(٥) سورة الأنبياء ، آية (٣) .

(٦) سورة الطلاق ، آية (١٠:١١) .

(٧) سورة الأنبياء ، آية (٢) .

(٨) وكلا الجوابين ليس بصواب ، وإنما أوقعه في هذا الخطأ ما ظنه من تلازم الإحداث والخلق ، وهو غلط ، فكل مخلوق حادث ، لكن ليس بالضرورة كل حادث مخلوقا ، فالحوادث تنقسم ، فمنها ما هو قائم بالمخلوقات فهو مخلوق ، ومنها ما هو قائم بالله تعالى ،كما قال تعالى : ﴿**لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا**﴾ وقال – صلى الله عليه وسلم : «إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وقد أحدث ألا تكلموا في الصلاة» ومنها هذه الآية: ﴿**ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث**﴾ وهي كالآية الأخرى ﴿**الله نزل أحسن الحديث كتابًا**﴾ فسماه حديثًا ، وليس في هذا شيء من المخلوق ، وهذا ظاهر والحمد لله (خ).

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾[(١)] أي: أنا نريد هلاكهم فلا يؤمنون، كما لم يؤمن[(٢)] قبلهم الأمم الهالكة، وهذا حكم منه بأنهم لا يؤمنون، وما ذاك إلا لما يعلم أن سيخلقه فيهم من الصوارف عن الإيمان، ويحتج به الجبرية كما عرف من مذهبهم، واستدلالهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾[(٣)] هذا جواب لقولهم: ﴿هل هذا إلا بشر مثلكم﴾[(٤)] أي: فإرساله إليكم دون العكس، ترجيح بلا مرجح، وقد سبق القول فيه.

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ﴾[(٥)] يحتج بظاهره من يرى أن الله -عز وجل- ليس في السماوات ولا في الأرض، وإلا لكان ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾[(٦)] تكرارًا.

ويجاب: بأنه من باب عطف الخاص على العام، أو يريد ومن عنده في الملأ الأعلى بين يدي العرش، وذلك فوق السماوات لا فيها ولا في الأرض، والإشارة بـ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾[(٧)] إلى الملائكة المقربين[(٨)].

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[(٩)] يقتضي أنهم لا ينامون

(١) سورة الأنبياء، آية (٦).
(٢) في ل: تؤمن.
(٣) سورة الأنبياء، آية (٧). وفي ل، م: يوحى.
(٤) سورة الأنبياء، آية (٣).
(٥) سورة الأنبياء، آية (١٩). وفي ل: «ما» بدل: ﴿من﴾.
(٦) سورة الأنبياء، آية (١٩).
(٧) سورة الأنبياء، آية (١٩).
(٨) وهو من أدلة العلو كما هو معلوم في موضعه.
(٩) سورة الأنبياء، آية (٢٠).

لاستغراق التسبيح زمانهم ويقتضي أنهم زمانيون أي: يعمهم حقيقة الزمان ، إذ جعل الليل والنهار ظرفًا لتسبيحهم ، وأنهم معصومون ، إذ من لا يفتر عن[(١)] الطاعة متى يتفرغ للمعصية .

قوله -عز وجل- : ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ﴾[(٢)] أي : يبعثون الموتى ، وهو استدلال على نفي الشريك ، بأن الإله الحق هو الذي ينشر الموتى ، وسائر ما اتخذ إلهًا لا ينشر الموتى ، فالإله الحق ليس هو سائر ما اتخذ إلهًا ، فما اتخذ إلهًا ليس هو الإله الحق .

﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[(٣)] هذا هو الدليل المشهور على التوحيد ، ويسمى/[١٣٨ب/م] دليل التمانع ، وتقريره من وجهين:

أحدهما: لو كان مع اللّه إله غيره لفسد العالم ، واللازم باطل فالملزوم كذلك ، بيان الملازمة: أنه لو كان معه غيره ، فليفرض أنهما اختلفا في الإرادة بأن أراد أحدُهما تحريك جسم أو أحياه[(٤)] ، والآخر تسكينه أو إماتته ، فإن تم مرادهما ، اجتمع النقيضان أو انتفى مرادهما ، ارتفع النقيضان ، أو تم مراد أحدهما فقط[(٥)] فهو الإله الحق دون العاجز ، فالإله الحق واحد .

فإن قيل : فرض اختلافهما محال ، والمحال جاز أن/[٢٩٤/ل]

---

(١) في ل : من .
(٢) سورة الأنبياء ، آية (٢١) .
(٣) سورة الأنبياء ، آية (٢٢) .
(٤) في ل : إحياءه .
(٥) زيادة من ل .

يلزمه المحال ، ونحن إنما نثبتهما قديمين حكيمين لا يختلفان ولا يتناقضان ولا تتعلق إرادة أحدهما بنقيض ولا ضدّ ما تتعلق به إرادة الآخر ، فلا يلزم ما ذكرتم من المحال .

قلنا: إن كان اتفاقهما في الإرادة على جهة المصانعة من كلٍ منهما لصاحبه ، واتقاء الخلاف والمنافرة له ، فهما عاجزان ؛ إذ هذا شأن المصانع المداري ، وإن كان اتفاقهما لقدم إرادتهما بحيث لا تتعلق إرادة أحدهما بغير ما تتعلق به إرادة الآخر لزم إذا تعلقت إرادتهما بتحريك جسم في وقت بعينه أن تتعلق قدرتهما أيضا بتحريكه لئلا تتناقض الإرادة والقدرة في متعلقهما ، وهو محال ، وحينئذ يلزم توارد القدرتين القديمتين على مقدور واحدٍ ، والعلتان المستقلتان على معلول واحد وأنه محال ، وإنما قلنا: إن توارد مؤثرين مستقلين على أثر واحدٍ محال ؛ لأن وجوده بكل واحدٍ منهما يقتضي استغناءه عن الآخر ، فلو وجد [بهما جميعًا][1] لاستغنى عنهما جميعًا ، فيكون موجودًا بكل واحدٍ منهما غير موجودٍ بواحدٍ منهما وأنه محال .

الوجه الثاني: أنه لو كان ثم إلهان لكانا مشتركين في خلق العالم وللزم العالم طاعتهما[2] ، فلو أمر أحدهما بشيء ونهى الآخر عنه ، لم تتصور طاعتهما من الجميع ، وإن أطاع كل واحدٍ بعض العالم دون بعض ، أوشك أن يعاقب من عصاه وأطاع الآخر ، وأوشك الآخر أن يدافع عمن أطاعه ، فيقع الحرب بينهما كسلطانين كل منهما يدافع عن رعيته ، وذلك يفضي إلى فساد العالم لاختلافهما كما تفسد الرعية عند اختلاف ملوكها ، واللازم باطل بما نراه من انتظام

---

(١) في ل : بأحدهما .

(٢) في ل : إطاعتهما .

العالم [١] ، [وهذا تقرير الشيخ محي الدين بن العربي في بعض كتبه المختصرة] [٢] .

وأما الفلاسفة فاحتجوا على التوحيد بأنه لو كان في الوجود إلهان لكانا قديمين ، ولو كانا قديمين لاشتركا في وجوب الوجود ، وامتاز كل منهما [بعين ماهيته وبعينه وما به الاشتراك غير ما به الامتياز ، فيلزم أن يكون كل منهما] [٣] مركبًا مما به /[١٣٩أ/ م] الاشتراك والامتياز ، وهما الوجوب والتعين فيلزم أن يكون القديم الواجب مركبًا وأنه محال ، واعترض عليه بجواز أن يكون تعينهما أمرًا عدميًا وهو كون عين كل واحد منهما ليست غيرها والعدم لا يتركب مع الوجود ، فلا يلزم التركيب المنافي للوجوب ، وهو سؤال قوي على دليلهم فتبين أن الطريقة الجيدة الثابتة على محك النظر هي طريقة القرآن ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾ [٤] أى هو تام الحكمة والتصرف في خلقه فلا يعترض عليه وهذه/[٢٩٥/ ل] عمدة الجمهور في القدر وإليها يرجعون ويسمونها آية الدبوس .

وعند النظر فيما قررناه من سر القدر يتبين أن الأمر واضح

---

(١) هذا التقرير العقلي حق في نفسه إلا أنه في تمانع الربوبية ، وهو واضح فيه لأنه حول الإيجاد والإعدام والأفعال ، لكن الآية في تمانع الإلهية ؛ لأنه ذكر السماوات والأرض بعد وجودهما ، وأنهما لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ، وهذا فساد بعد وجود ، وأيضًا جاءت الآية بلفظ (الآلِهة) لا الأرباب ، وقال : لفسدتا ، ولم يقل : لم يوجد ، كما يدل عليه دليل تمانع الربوبية ، فثبت أنه يتمانع وجود ربين ، وكذلك يتمانع وجود إلهين مستحقين للعبادة لفساد السماوات والأرض بسبب وجود إلهين ؛ لأن ذلك يتضمن تمانع الربوبية ، وهو ممتنع كذلك (خ) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة الأنبياء ، آية (٢٣)

بالمعقول لا بالدبوس .

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾[١] أي: طالبهم بالدليل على إلهية آلهتهم فسيعجزون عن إقامته ثم قل : ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ﴾[٢] أي احتج عليهم بإجماع الأنبياء المتقدمين على التوحيد ، وهو كقوله - عز وجل - :﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾[٣] وتقريره: أن التوحيد مجمع عليه بين الرسل وكل مجمع عليه بين الرسل ، فهو حق فالتوحيد حق بيان الأولى قوله - عز وجل - بعد[٤] : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٥] .

بيان الثانية: أن الأنبياء معصومون جماعة وفرادى فلا يقولون إلا صدقًا ، ولا يعتقدون إلا حقًّا .

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾[٦] يعني قولهم: الملائكة بنات اللَّه سبحانه ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾[٧] أي: هم عباد مكرمون ؛ فعباد ، ردٌ على من تألههم ، ومكرمون : ردٌ على من تنقصهم ، كاليهود حين استعدوا جبريل .

﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾[٨] ردٌ على من زعم أن لهم تصرفًا في

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٢٤) .
(٢) سورة الأنبياء ، آية (٢٤) .
(٣) سورة الزخرف ، آية (٤٥) .
(٤) زيادة من ل .
(٥) سورة الأنبياء ، آية (٢٥) . وفي ل ، م : «يوحى » بدل ﴿نوحي﴾ .
(٦) سورة الأنبياء ، آية (٢٦) .
(٧) سورة الأنبياء ، آية (٢٦) .
(٨) سورة الأنبياء ، آية (٢٧) .

العالم بالاستقلال فبين أنهم لا يفعلون شيئًا إلا بإذنه -عز وجل- وفيه من الأدب أن العبد والتلميذ والرعية والولد وكل ذي رتبة دنيا لا يسابق من فوقه بالقول ، بل يكون تبعًا له في كلامه .

﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[١] ردٌّ على من قدح في عصمتهم بمخالفة ونحوها .

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾[٢] أي : ما قبلهم وبعدهم إشارة إلى أن لوجودهم ابتداء وانتهاء ردًّا على من اعتقد قدمهم ، وأنهم أزليون أبديون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[٣] فيه إثبات الشفاعة لبعض الناس ، وأن الملائكة تشفع لهم بإذن اللّه -عز وجل- ، وهم من خشيته مشفقون إشارة إلى أدبهم ، وكمال خشيتهم التي هي سبب عصمتهم ؛ إذ العصمة هي اجتناب المعصية /[١٣٩ ب/م] لكمال المعرفة ، وكمال المعرفة توجب الخشية ، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[٤] .

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ﴾[٥] الآية تحتمل وجوهًا: أحدها : أن على تقدير أن يقول ذلك منهم قائل نعذبه ، إشارة إلى تعظيم الشرك قبحًا ، وأنه -عز وجل- لا يحابي فيه أحدًا حتى أكرم الخلق عنده ، وإن كان ذلك لا يقع منهم لعصمتهم ، لكنه مفروض .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٢٧) .
(٢) سورة الأنبياء ، آية (٢٨) .
(٣) سورة الأنبياء ، آية (٢٨) .
(٤) سورة فاطر ، آية (٢٨) .
(٥) سورة الأنبياء ، آية (٢٩) .

الثاني: أن ذلك إشارة إلى/[٢٩٦/ل] إبليس على القول بأنه من الملائكة ، وأنه همَّ في نفسه بالمنازعة بالإلهية[١] ؛ فجوزي بالخزي واللعنة .

الثالث: التنبيه على أن هذا القول جائز الوقوع منهم إشارة إلى أن عصمتهم من وقوع المعصية ، والكفر لا من جوازهما كما سبق في الأنبياء .

قوله -عز وجل- : ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾[٢] إلى ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٣] آيات عظيمة تدل على الصانع وقدرته وعظمته ووحدانيته تنبيهًا للكفار على النظر والاستدلال ، أو تقريعا لهم على ترك ذلك وتقريره: أن هذه آيات وآثار عظيمة تدل على مؤثر عظيم كامل ، ومن عظمته وكماله أن لا يكون معه شريك ؛ إذ الوحدانية كمال والشرك نقص بالضرورة ؛ إذ ما يكون للواحد وحده يكون له مع الشريك نصفه .

وقوله: ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ ﴾[٤] هو مما يقرأ بالانعكاس مثل ساكب كأس ، وهو من محاسن أنواع البديع . ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[٥] يحتج به الجمهور في أن الشر والخير من عند الله -عز وجل- عدلاً وفضلاً .

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[٦] تمسك الجمهور بلفظ

---

(١) في ل : في الإلهية .
(٢) سورة الأنبياء ، آية (٣٠) .
(٣) سورة الأنبياء ، آية (٣٣) .
(٤) سورة الأنبياء ، آية (٣٣) .
(٥) سورة الأنبياء ، آية (٣٥) .
(٦) سورة الأنبياء ، آية (٤٧) .

الموازين في إثبات الميزان والوزن حقيقة وتأوله المعتزلة على إقامة العدل ؛ لأنه أبدل القسط من الموازين والمقصود في الجملة البدلية هو البدل لا المبدل منه كأنه قال: ونضع القسط ، أي العدل .

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[(1)] فيه ذم التقليد وبطلانه خصوصًا إذا قابله النظري القاطع ونحوه: ﴿ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾[(2)] هذا استدلال[(3)] من إبراهيم - عليه السلام- عليهم أو تنبيه لهم على الاستدلال بالأثر على المؤثر وهو السماوات والأرض على صانعهما كما عرف في غير موضع وفطرهن : أنشأهن .

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[(4)] الآية هذه إحدى الكذبات المنسوبة إليه في الحديث الصحيح ، والأخريان قوله :﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾[(5)] وقوله لسارة : هي أختي ، والتحقيق أن هذه معاريض ، وإنما سماها النبي - صلى الله عليه وسلم - كذبات مجازًا وتعظيمًا لشأن / [١٤٠أ/ م] إبراهيم- عليه السلام- بحيث أن مثله يسمى تعريضه كذبًا لارتفاعه عنه شبيه بقولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين .

﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾[(6)] استدلال على نفي إلهية الأصنام بعدم ضرها ونفعها وقد سبق مرارًا .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٥٣ - ٥٤) .

(٢) سورة الأنبياء ، آية (٥٦) .

(٣) في ل : الاستدلال .

(٤) سورة الأنبياء ، آية (٦٣) .

(٥) سورة الصافات (٨٩) .

(٦) سورة الأنبياء ، آية (٦٦) .

﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾(١) سلبها قوتها المحرقة ، ثم لو لم يقل: ﴿ وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾(٢) لاهلكته ببردها لمبالغتها في امتثال أمر ربها .

﴿فَفَهَّمْنَـٰهَا سُلَيْمَـٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾(٣) احتج بها(٤) من يرى أن كل مجتهد مصيب وغيره/[٢٩٧/ل] ، أما الأول ؛ فلأنه أثنى عليهما بالعلم ، وأما الثاني ؛ فلأنه خص سليمان بالتفهيم ، ولو كان داود مع ذلك مصيبًا لما كان لتخصيص سليمان بالتفهيم معنى .

وصورة المسألة أن غنمًا لقوم وقعت ليلاً في كرم قوم فرعته فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، وقضى سليمان بأن تسلم الغنم إلى صاحب الكرم ينتفع بصوفها ولبنها ، ويعمل صاحب الغنم في إصلاح(٥) الكرم حتى يعود كما كان يوم رعته ، ولا شك أن هذا أقرب إلى التحقيق والعدل ، لأن الغنم أتلفت فرع الكرم وهو ورقه وأغصانه ونحو ذلك ، فإذا أخذ من فروعها صوفًا ولبنًا ما يقابل ما أتلفت حتى يعاد الكرم إلى حاله يوم أتلفته كان مناسبًا ، أما أخذ الغنم أصلاً ورأسًا بالكرم مع احتمال تفاوتهما في القيمة ، ففيه ما لا يخفى والثناء عليهما بالعلم لا يدل على إصابة داود ، لأنه لم يقل: ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾(٦) في هذه الواقعة ، وإنما المراد أصاب سليمان وقد كان داود عالمًا ، ولا يقتضي ذلك إصابته في هذا

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٦٩) .

(٢) سورة الأنبياء ، آية (٦٩) .

(٣) سورة الأنبياء ، آية (٧٩) .

(٤) في ل : به .

(٥) في ل : صلاح .

(٦) سورة الأنبياء ، آية (٧٩) .

الحكم بعينه ، ثم إن قولهم: كل مجتهد مصيب ، ليس معناه : أن قول المجتهدين المختلفين مطابق لما في نفس الأمر وإلا لكان الشيء المختلف في تحريمه حرامًا في نفس الأمر وأنه محال ، وإنما المراد إصابتهما في ظاهر الاجتهاد بحيث يخرجان عن العهدة مع أن للمصيب أجر الإصابة وفضلها والمخطئ حظه في أنه لا يأثم على خطأه وإن أجر على اجتهاده .

وقد استدل بعضهم على أن ليس كل مجتهد مصيبًا بأن القائل: ليس كل مجتهد مصيبًا إما مصيب أو مخطئ . فإن كان مصيبًا صح أنه ليس كل مجتهد مصيبًا لمطابقة خبره مخبره وحكمه الواقع ، وإن كان مخطئًا ، فقد اختلت كلية دعواه به نفسه ، فليس كل مجتهد مصيبًا .

﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾[1] قد سبق أن كل شيء يسبح بحمد ربه ، وأن خلق التسبيح في الجبال ممكن إما بإظهار حياة كامنة فيها ، أو بخلق حياة لم تكن .

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2] يحتج به على أن الذبيح هو إسماعيل ؛ لأنه حكى عن /[١٤٠ب/ م] الذبيح أنه قال عند إرادة ذبحه: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3] ثم وصفه ههنا بالصبر الموصوف به هناك ، فكان ظاهرًا في أن الصابر هنا هو الصابر هناك .

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾[4] [حمله

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٧٩) .

(٢) سورة الأنبياء ، آية (٨٥) .

(٣) سورة الصافات ، آية (١٠٢) .

(٤) سورة الأنبياء ، آية (٨٧) .

بعضهم على ظاهره في نفي القدرة ، وتأوله][١] الأكثرون على معنى لن نضيق عليه من قوله - عز وجل - : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾[٢] ، ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن/[٢٩٨/ل] يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾[٣] أي يضيق ، تنزيهًا لنبي اللَّه يونس عن أن يعتقد نفي قدرة اللَّه - عز وجل - عن شيء ، وهو أليق بحال الأنبياء ، بل المتعين في حقهم ، إذ لا يجوز أن يكون نبيًا من يجهل صفات ربه ، وما يجوز عليه ، وما يمتنع .

فأما ذلك النباش الذي قال لبنيه: إذ مت فأحرقوني وذرُوني في البحر فإن اللَّه ؛ إن قدر عليَّ عذبني ، ثم إن اللَّه -عز وجل- غفر له فإنه عذره لجهله مع أن ذلك منه أيضًا قد تأوله بعض الناس .

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٤] يعني الأنبياء المذكورين في السورة علل فضله عليهم بطاعتهم ومسارعتهم في الخيرات ودعائهم وخشوعهم ، ويحتج به من يرئ النبوة مكتسبة بالاستعداد بالعمل الصالح ونحوه ، والمشهور أنها تخصيص من اللَّه - عز وجل- دائر مع مشيئته لا غير لقوله -عز وجل- : ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾[٥] والأشبه أن النبوة نعمة مرتبة على طاعة وتزكية اقتضاها التوفيق ، وإلا لجاز أن ينالها الشيطان وأنه بعيد .

﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾[٦] الآية .

---

(١) سقط من ل .

(٢) سورة الطلاق ، آية (٧) .

(٣) سورة الرعد ، آية (٢٦) .

(٤) سورة الأنبياء ، آية (٩٠) .

(٥) سورة الزمر ، آية (٢٣) .

(٦) سورة الأنبياء ، آية (٩٨) .

لما نزلت قال عبد الله بن الزبعرى: « يا محمد ، فقد[(١)] عبدت الملائكة والمسيح أفتراهم حصب جهنم ؟! فيقال: إنه نزل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾[(٢)] الآية ، مخصصة للعموم المذكور ، ويقال إنه - صلى الله عليه وسلم - قال لابن الزبعرى : «ما أجهلك بلسان قومك ، إنما قال الله - عز وجل-: ﴿ إِنَّكُمْ[(٣)] وَمَا تَعْبُدُونَ﴾[(٤)] ولم يقل : «ومن تعبدون» يعني أن «ما» لما لا يعقل ، فلا تتناول العقلاء كالملائكة والمسيح وهذا أحسن الجوابين ، ولعلهما اجتمعا بمنع ورود السؤال ثم تسليمه ، وتخصيص العموم .

﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾[(٥)] أى أن الإله لا يرد النار وهؤلاء المتخذون من دون الله يردون النار ، فالإله ليس هو هؤلاء فهؤلاء ليسوا آلهة .

﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ ﴾[(٦)] الآية إن كانت عامة في كل ما عبد من دون الله - عز وجل - جماد أو غيره ، فهذا يقتضي أن الجماد يخلق فيه حياة يصبح بها /[١٤١أ/م] منه الزفير في جهنم ، والأشبه أن يختص ذلك بالأحياء من الآلهة .

﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[(٧)] استدلال على الإعادة بالقياس على الابتداء .

---

(١) في ل : قد .
(٢) سورة الأنبياء ، آية (١٠١) .
(٣) زيادة من ل .
(٤) سورة الأنبياء ، آية (٩٨) .
(٥) سورة الأنبياء ، آية (٩٩) .
(٦) سورة الأنبياء ، آية (١٠٠) .
(٧) سورة الأنبياء ، آية (١٠٤) .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] تصريح برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وإثباتها بالبرهان في آخر الفتح إن شاء الله -عز وجل .

(١) سورة الأنبياء ، آية (١٠٧) .

القول في سورة الحج

/[٢٩٦/ل] ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾[١] يحتج بها المعتزلة على[٢] أن المعدوم شيء ، لأنه سمى الساعة شيئًا ، وهي معدومة لم توجد بعد[٣] .

وأجيب بأنه إنما سماها شيئًا على تقدير وجودها ، أو لتحقق وجودها في علمه ؛ فنزل المتحتم الوجود[٤] منزلة الموجود .

﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ ﴾[٥] نفي السكر حقيقة وإثباته مجاز ، فلا تعارض[٦] .

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[٧] منطوقه ذم الجدل بغير علم ، ومفهومه جواز الجدل حتى في اللّه - عز وجل - بعلم .

﴿ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ ﴾[٨] يعني الشيطان يضل وليه بالوسوسة والضلال مخلوق للّه ، عز وجل .

---

(١) سورة الحج ، آية (١) .

(٢) في م : في .

(٣) سقط من ل .

(٤) سقط من ل .

(٥) بل السكر المثبت ليس هو المنفي ، وإن كان كلاهما حقيقة كأن يقال: سكارى من الفزع ، وليسوا بسكارى من الخمر ، أو يكون على الرؤية فتراهم سكارى ، وإن كانوا في نفس الأمر ليسوا سكارى ، وهذا أشبه وليس من المجاز في شيء ، والله أعلم (خ) .

(٦) سورة الحج ، آية (٢) .

(٧) سورة الحج ، آية (٣) .

(٨) سورة الحج .

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾[١] الآية ، يستدل[٢] على جواز البعث بدليلين:

أحدهما: القياس على ابتداء الخلق من نطفة ثم من[٣] مضغة ثم من[٤] علقة ، والجامع بينهما الإمكان والمقدورية ، ولا أثر للفرق بأن ابتداء الخلق على طريق التنقل في الأطوار لانتقاضه بآدم وحواء لم ينتقلا[٥] في الأطوار ولإمكان التزام مثل ذلك في الإعادة بأن تمطر الموتى ، ويجعل في الأرض قوة مربية كما في الرحم وينقلوا في الأطوار ، ثم تنشق الأرض عنهم .

الدليل الثاني : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾[٦] وهو قياس إخراج الموتى أحياء من الأرض على إخراج الزرع من الأرض ، والجامع الإمكان والمقدورية ، ووجه الشبه أن أجزاء الموتى تتفرق في الأرض كالحب فيها ثم تجمع الأجزاء ، وتخرج بشرًا كما ينبت[٧] الحب ويخرج زرعًا [وقد سبق][٨] .

وقوله -عز وجل- : ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾[٩] ظاهر في أن إخراج الموتى يكون بمطر يمطرونه ، كما حكي أن السماء تمطر مطرًا كمني الرجال أربعين يومًا ، فتخرج به

(١) سورة الحج ، آية (٥) .
(٢) في م : استدل .
(٣) زيادة من ل .
(٤) زيادة من ل .
(٥) في م : ينقلا .
(٦) سورة الحج ، آية (٥) .
(٧) في م : نبت .
(٨) سقط من ل .
(٩) سورة الحج ، آية (٥) .

الموتى نباتًا ، ولما ذكر [هذين القياسين][١] قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٢] هذا هو النتيجة أي: كما بدأ الخلق وأحيا الأرض يحيي الموتى ، ثم أحال بذلك على القدرة التامة ، فقال : ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣] ، ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾[٤] إثبات للقيامة لمحاسبة الناس ، والعدل فيهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾[٥] تأكيد لما تقدم من أنه يحيي الموتى .

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾[٦] أي : بما كسبت ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٧] أما على رأي العدلية[٨] /[١٤١ب/ م] فظاهر ، وأما على رأي الجمهور فإما باعتبار كسبهم ، أو على تقدير أن لو فوض إليهم لعصوا .

﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾[٩] استدلال على عدم الإلهية بعدم النفع والضر ، وبقياس العكس أن من ملك النفع والضر مستقلاً فهو الإله .

﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾[١٠] لأن الصنم يحتاج إلى

(١) سقط من ل .
(٢) سورة الحج ، آية (٦) .
(٣) سورة الحج ، آية (٦) .
(٤) سورة الحج ، آية (٧) .
(٥) سورة الحج ، آية (٧) .
(٦) سورة الحج ، آية (١٠) .
(٧) سورة الحج ، آية (١٠) .
(٨) تسمية المعتزلة بالعدلية فيه شيء ؛ لأن الذي رأوه ليس عدلاً في نفس الأمر ، بل هو تنقص لله في تمام ملكه ، ولذا فالتعبير بالمعتزلة أو القدرية النفاة أولى ، والله أعلم (خ).
(٩) سورة الحج ، آية (١٢) .
(١٠) سورة الحج ، آية (١٣) .

خدمة في الدنيا على ما/[٣٠٠/ل] التزمه له الكفار، وهو سبب العذاب في الآخرة، فصار ضرره محققًا ونفعه معدومًا[١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٢] الآية تضمنت سجود الجمادات كالجبال والنبات وكالشجر، والحيوان كالدواب، والعقلاء كالناس، ومن في السماء والأرض والعلويات كالشمس والقمر والنجوم، ومن في السماوات والسفليات كمن في الأرض والجبال ونحوها. وللسجود مسميان: **أحدهما** لغوي وهو الذل كقول الشاعر:

ترى الأكم فيها سجدًا للحوافر.

يعني أن الجبال الصغار تذل لحوافر الخيل حين تصعدها.

والثاني: شرعي وهو وضع الجبهة على الأرض تقربًا إلى اللَّه - عز وجل- وعبادة له، والمشهور أن سجود العقلاء بالمعنى الشرعي لتصوره منهم، وسجود غيرهم بالمعنى اللغوي لظهور الذل والتسخير والانقياد للقدرة لتصوره منها دون الشرعي، ثم يحتج بالآية من أجاز استعمال اللفظ المشترك في[٣] مفهوميه جميعًا معًا؛ لأن قوله - عز وجل-: ﴿يَسْجُدُ﴾[٤] هو بالنسبة إلى العقلاء شرعي وإلى غيرهم لغوي، وقد استعمل في مفهوميه معًا، وكذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾[٥] إذ الصلاة من اللَّه - عز وجل - الرحمة، ومن

---

(١) في ل: معدوم.
(٢) سورة الحج، آية (١٨).
(٣) في ل: من.
(٤) سورة الحج، آية (١٨).
(٥) سورة الأحزاب، آية (٥٦).

الملائكة الاستغفار وقد أريدا من لفظ يصلون .

وأجاب المانع لذلك: بأن التقدير تكرار الفعل أي : ألم تر أن اللّه يسجد له من في السماوات والأرض ، ويسجد له الشمس والقمر والنجوم ، ويسجد له الجبال وكذلك باقيها ، وكذا : إن اللّه يصلى على النبي وملائكته يصلون على النبي .

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[1] نزلت في علي وحمزة وعبيدة حين بارزوا يوم بدر عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ، قال علي: أنا أول من يجثو للخصومة بين يدي ربي ، ثم تلا هذه الآية ، وتعلقت به الشيعة ، فقالوا : كان علي يوم بدر أول مبارز ، وأبو بكر في العريش مع النبي - صلى اللّه عليه وسلم- فعلي أعظم جهادًا ، فليكن أفضل من أبي بكر لقوله -عز وجل- : ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا ﴾[2] .

وأجيب بأنه يلزمكم مثله ، في النبي - صلى اللّه عليه وسلم - وأن عليًا أفضل منه وإنه محال ؛ فإن قيل: /[١٤٢أ/ م] النبي - صلى اللّه عليه وسلم- كالإمام شأنه أن يقاتل بين يديه ، قيل: وأبو بكر كالوزير شأنه أن يكون مع الإمام[3] .

---

(١) سورة الحج ، آية (١٩) .

(٢) سورة النساء ، آية (٩٥) .

(٣) إذا كانت الشجاعة شجاعة القلب ، فأشجع الناس بعد رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- أبو بكر ، فإنه كان يباشر الأهوال التي باشرها رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- من أول الإسلام ولم يجبن ، ولم يحرج ولم يفشل ، وكان يقدم على المخاوف يقي النبي - صلى اللّه عليه وسلم- بنفسه ويجاهد بيده وبلسانه وبماله ، وكونه -رضى اللّه عنه- في يوم بدر مع النبي في العريش هو دليل شجاعته مع علمه بأن العدو يقصدون مكان رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- وهو ثابت ربيط الجأش يظاهر النبي ويعاونه ، ثم لما قام النبي يدعو ربه ويستغيث به ، قال له الصديق : «إنه سينجز لك ما وعدك» وهذا يدل على شجاعة إيمانية زائدة على الشجاعة الطبيعية ، ثم يقال أيضًا : إن الجهاد ينقسم إلى ثلاثة=

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾(١) هو قولهم في فاطر ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾(٢) الآية ، وهو الكلم الطيب المذكور في إليه يصعد الكلم الطيب أو منه فينبغي المحافظة على الحمد خصوصًا [بلفظ الآية خصوصًا](٣) عند اندفاع البلاء وتجدد النعماء .

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾(٤) احتج بعض النصارى من هذه بوجهين : **أحدهما:** أنه قدَّم ذكر الصوامع والبيع ، وهي من شعار(٥) النصارى على المساجد التي هي من شعار(٦) المسلمين ، وذلك يقتضي أن النصارى ودينهم أفضل .

الثاني: أنه وصف الصوامع/[٣٠١/ل] والبيع بذكر اللّه فيها كثيرًا كالمساجد على جهة المدح ، وهو يقتضي مدح النصارى وصحة

= أقسام ، دعاء إلى اللّه تعالى باللسان ، وجهاد عند الحرب بالرأي والتدبير ، وجهاد باليد في الطعن والضرب ، وكان جهاده -صلى اللّه عليه وسلم- في أكثر أعماله وأحواله من القسمين الأولين من الدعاء إلى اللّه تعالى والتدبير والإدارة ، وكان أقل عمله في الجهاد الطعن والضرب والمبارزة ، لا عن جبن ، بل كان أشجع أهل الأرض قاطبة ، ولكنه يؤثر الأفضل فالأفضل من الأعمال فيقدمه ويشتغل به ، وكان أبو بكر وعمر وزيريه وأكثر الناس بعده دعوة إلى اللّه ، فقد أسلم على يد أبي بكر أكابر الصحابة ، وعز الإسلام من يوم أسلم عمر ، وكان القسم الثاني من الجهاد خالصًا لأبي بكر وعمر في الرأي والمشورة ، وإن ضربا بسهم أيضًا في القسم الثالث . ولذا وجدنا أبا بكر يوم بدر وغيره لا يفارق النبي إيثارًا من النبي -صلى اللّه عليه وسلم- له بذلك ، واستظهارًا برأيه في الحرب وأنسًا بمكانه ، ثم كان عمر ربما شورك في ذلك ، وقد انفردا بهذا دون علي وسائر الصحابة إلا في الندرة ، هذا حاصل ما ذكره بعض العلماء حول هذا المقام فتأمله فإنه نفيس ، واللّه أعلم (خ).

(١) سورة الحج ، آية (٢٤) .

(٢) سورة فاطر ، آية (٣٤) .

(٣) زيادة من ل .

(٤) سورة الحج ، آية (٤٠) .

(٥) في م : شعائر .

(٦) في م : شعائر .

عباداتهم[١] وأذكارهم وإلا لما مدحت .

والجواب عن الأول: أن العطف بالواو ، وهي لا تفيد الترتيب ، ثم يلزمهم من قوله -عز وجل- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾[٢] أن تكون هذه الطوائف الثلاث أفضل من النصارى لتقديمها عليهم .

وعن الثاني: أن ﴿يذكر فيها اسم اللّه كثيرًا﴾ عائدًا إلى المساجد لأنها الأقرب دون غيرها ، سلمنا رجوعه إلى الجميع لكنه [محمول على][٣] بيع المؤمنين من النصارى قبل الإسلام مثل بحيرا الراهب وأشباهه ممن قبل وصية المسيح في الإيمان بمحمد - صلى اللّه عليه وسلم- بالنية .

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[٤] أي بخلق الصوارف عن النظر والاعتبار .

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾[٥] الآيتين فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين الرسول والنبي وإلا لم يكن لعطف أحدهما على الآخر معنى ، وليس عطف خاص على عام بل بالعكس ، ثم قيل: الفرق بينهما أن الرسول من له شريعة وكتاب ، وقيل: هو من

---

(١) في ل : عبادتهم .
(٢) سورة الحج ، آية (١٧) .
(٣) في ل : أي .
(٤) سورة الحج ، آية (٤٦) .
(٥) سورة الحج ، آية (٥٢) .

يوحى إليه يقظة بخلاف النبي فيهما .

الثانية: جواز النسخ ، وقد سبق ، ولقائل أن يقول : المنسوخ هنا ما يلقيه الشيطان فلا يدل على نسخ كلام الرحمن .

الثالثة: جواز فتنة بعض الناس واستدراجهم إلى الضلال بتقدير الأسباب الموجبة لذلك لأنه -عز وجل- علل إلقاء الشيطان في أمنية النبي ، ونسخ ذلك بفتنة الذين في قلوبهم مرض ، وهو كقوله -عز وجل- : ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا /[١٤٢ب/م] بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ ﴾[(١)] الآية كما ذكر في الأنعام .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۗ ﴾[(٢)] فيه إثبات البعث ونظائره عديدة .

﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[(٣)] الآية لم يؤمر ههنا بمجادلتهم لعنادهم وشغبهم ، وكذلك ينبغي ترك جدال كل مشاغب ما لم يلزم من تركه مفسدة .

﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ ﴾[(٤)] فيه الجدال والمناظرة بضرب الأمثال ، وهي بالحقيقة أقيسة جلية[(٥)] إذ قوله -عز وجل- : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾[(٦)] إشارة إلى عجز الآلهة وأنها لا تخلق ، فنظمه إذن هكذا: الآلهة التي تدعونها عاجزة لا تخلق شيئًا ،

---

(١) سورة الأنعام ، آية (٥٣) .

(٢) سورة الحج ، آية (٦٦) .

(٣) سورة الحج ، آية (٦٨) .

(٤) سورة الحج ، آية (٧٣) .

(٥) في ل : جليلة .

(٦) سورة الحج ، آية (٧٣) .

والله - عز وجل - قادر يخلق ما يشاء ، فالآلهة ليست هي الله - عز وجل - وهو قياس في الشكل الثاني .

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[1] هذا جواب من يقدح في الرسل بقوله: ﴿ أبشرًا منا ﴾[2] /[٣٠٢/ل] فليس أولى بالرسالة منا إذ يلزم الترجيح بلا مرجح .

وجوابه: أن إرسال الرسل من الناس والملائكة مستند إلى اختيار الله -عز وجل- فهو المرجح ، فلا يلزم ما ذكرتم .

وربما استدل بهذه من رأى تفضيل الملائكة رسلاً وأممًا على غيرهم لتقديمهم في الذكر وفيه ما عرف .

﴿ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ ﴾[3] خاص ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾[4] أعم منه ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ ﴾[5] أعم منه فهو من باب عطف الأعم على الأخص وقد سبق .

---

(١) سورة الحج ، آية (٧٥) .
(٢) سورة الحج .
(٣) سورة الحج ، آية (٧٧) .
(٤) سورة الحج ، آية (٧٧) .
(٥) سورة الحج ، آية (٧٧) .

القول في سورة المؤمنون

قوله - عز وجل - : ﴿ خَٰشِعُونَ ﴾[(١)] ، و﴿مُعۡرِضُونَ﴾[(٢)] و﴿فَٰعِلُونَ﴾[(٣)] ، و﴿ حَٰفِظُونَ ﴾[(٤)] يحتج به المعتزلة في إضافة الأفعال إلى الناس وجوابه أن ذلك من جهة الكسب ، أو كونهم محلها كما يقال : تدحرج الحجر وتحرك الشجر ، والمحرك له غيره[(٥)] .

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ﴾[(٦)] الآيتين : [يحتج به الجمهور][(٧)] على تحريم المتعة ، لأن ذات المتعة لا ملك يمين بإجماع ، ولا هي زوجة لعدم التوارث بينهما فتكون داخلة في حد العدوان ، وأجاب القائلون بالمتعة[(٨)] بأن ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾[(٩)] عام خص بالمتعة بما سبق من دليلها ، كما خص ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ ﴾[(١٠)] بتحريم نكاح الأخت والعمة

---

(١) سورة المؤمنون ، آية (٢) .

(٢) سورة المؤمنون ، آية (٣) .

(٣) سورة المؤمنون ، آية (٤) .

(٤) سورة المؤمنون ، آية (٥) .

(٥) هذا على مذهبه في الجبر ، وإلا فلا تعارض بين كون الأفعال منسوبة للعباد وكون الله خالقًا لها كما تقدم في المقدمة (خ).

(٦) سورة المؤمنون ، آية (٦) .

(٧) في حاشية ل : قف على الرد على الشيعة وما أجابوا به ترشد .

(٨) وهم الشيعة ، وليس لهم سند صحيح على جوازها ، وانظر ما تقدم في الرد على ذلك (خ).

(٩) سورة المؤمنون ، آية (٧) .

(١٠) سورة النساء ، آية (٢٤) .

ونحوهما ، والاستدلال بعدم الإرث منقوض بالزوجة الذمية لا ترث مع أنها زوجة بإجماع .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾[(١)] الإنسان ههنا مطلق بالاستخدام على آدم وذريته ، فآدم خلق من سلالة من طين وذريته جعلوا نطفة في قرار مكين .

﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[(٢)] يحتج به القدرية ؛ لأنه /[١٤٣/أ م] أثبت خالقين هو أحسنهم ، ولا خالق للأعيان سواه ، فتعين أن الخالقين للأفعال وهم الناس يخلقون أفعالهم .

وأجيب بأن هذا خرج على اعتقاد الخصم المعتقد أن ثم خالقين ، أو على جهة التنزل أي على تسليم أن هناك خالقين فالله -عز وجل- هو أحسنهم وأحكمهم ، فيجب ترجيحه بذلك فيتعين للعبادة دون غيره[(٣)] .

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[(٤)] فيه إثبات البعث ، ويقال ههنا: [لم أكد][(٥)] الموت مع الإجماع عليه دون البعث مع الاختلاف فيه ، [وقد كان العكس أنسب؟!][(٦)] .

وأجيب بوجوه :

---

(١) سورة المؤمنون ، آية (١٢، ١٣) .

(٢) سورة المؤمنون ، آية (١٤) .

(٣) بل الخلق يطلق ويراد (التقدير والتصوير) ، كما في قول عيسى عليه السلام : ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ فمعنى الآية هنا : تبارك الله أحسن المقدرين والمصورين ؛ لأن الآية في أطوار الإنسان لا في الخلق من العدم فتأمل (خ).

(٤) سورة المؤمنون ، آية (١٥ ، ١٦) .

(٥) في ل : ما الحكمة في تأكيد .

(٦) سقط من ل .

أحدها: أن ﴿تُبْعَثُونَ﴾(١) فعل و«ميتون» اسم فاعل ودلالته على المصدر الذي هو الموت بواسطة الفعل ، فاحتاج إلى تقويته بلام التأكيد ، بخلاف يبعثون فإن قوة دلالته بنفسه على البعث أغناه عن التأكيد/[٣٠٣/ل] .

الوجه الثاني: أن هذا الكلام مع من ينكر الموت كالتناسخية القائلين بانتقال الروح من حيوان إلى غيره ، فاحتيج إلى تأكيد وقوعه في إخبارهم به .

الوجه الثالث: أن ترك تأكيد البعث إشارة إلى أنه لقوته في نفسه كالمجمع عليه الغني عن التأكيد .

الوجه الرابع: أن المخاطب بالبعث إما مصدق للرسول(٢) المخبر به فلا حاجة له إلى التأكيد ، أو مكذب له فلا يفيد معه التأكيد ، فسقط التأكيد لسقوط فائدته في هذا المكان .

﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾(٣) هذا قدح في النبوة بلزوم الترجيح من غير مرجح ، وقد سبق جوابه في غير موضع .

[﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾(٤) استشهد به أبو عبد الله ابن حامد على أن الاستواء على العرش استقرار كاستواء راكب الفلك عليها ، وقد رد عليه ذلك لاستلزامه التجسيم](٥)(٦)

(١) سورة المؤمنون ، آية (١٦) .
(٢) في ل : الرسول .
(٣) سورة المؤمنون ، آية (٢٤) .
(٤) سورة المؤمنون ، آية (٢٨) .
(٥) سقط من ل .
(٦) ليس الاستواء هو كاستواء راكب الفلك ، ولم يقل ابن حامد -رحمه الله : إن استواء =

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾[١] الآية فأنزل اللّه -عز وجل- نوحًا أرض الجزيرة وهي الموصل وما حولها ، فصارت البلاد المنصوص على بركتها أرض مصر لما مر في الأعراف ، وما حول المسجد الأقصى لما ذكر في سبحان ، وأرض الجزيرة لهذه الآية وهي تعد من مناقب الجزيرة .

[قال بعض العلماء المحققين[٢] - رضي اللّه عنهم -][٣] : وأخبرني بعض المشايخ الصلحاء أنه صعد إلى جبل الجودي فوجد مسمارًا كبيرًا من مسامير سفينة نوح ، وهو إذا فرك تناثرت أجزاؤه لاستيلاء البلى عليه لطول العهد واستمرار الدهر ، وأنه جعله في صندوق لأجل البركة ، فلم يزل عنده حتى فقد في غزاة قازان للشام عام سبعمائة أو نحوه للّهجرة المحمدية صلوات اللّه على /[١٤٣ب/م] من نسبت إليه .

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[٤] قد سبقت شبهة منكري البعث وجوابها في النحل وهي قولهم ههنا : ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ﴾[٥] .

= اللّه مماثل لاستواء الراكب ، ولكن لفظ «الاستقرار» ورد عن بعضهم ، وليس بالضرورة أن يلزم منه التجسيم والتحيز والتشبيه إلى آخر ما يدعونه وإن كان اللفظ ليس ثابتًا في النصوص كما أنه ما كان ، وما كان قائمًا باللّه من الصفات فليس يكون كصفات المخلوقين ، فإن الإضافة كافية في التخصيص والتباين ، فليس استواء اللّه كاستواء المخلوقين سواء فسر الاستواء بالعلو أو الارتفاع أو الاستقرار ، وكذلك الشأن في باقي الصفات ، فكما أن ذات اللّه لا تماثلها الذوات فكذلك صفاته لا تماثلها الصفات (خ).

(١) سورة المؤمنون ، آية (٢٩) .

(٢) في م : المحقين .

(٣) زيادة من ل .

(٤) سورة المؤمنون ، آية (٣٧) .

(٥) سورة المؤمنون ، آية (٨٢ ، ٨٣) .

قوله عز وجل : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾(١) هذا من براهين التوحيد المشهورة ، وتقريره : لو كان مع اللّه إله آخر لكان كل منهما خالقًا لبعض العالم ، ثم لانحاز كل منهما بما خلق ثم طلب العلو على صاحبه ، ويلزم الاختلاف المستلزم لفساد العالم وإنه محال كما مرَّ ، لا يقال : لا نسلم أنه يلزم أن كلا منهما يكون خالقًا لبعض العالم ، بل كلاهما خالق لجميع العالم لأنا نقول : يلزم توارد العلتين المستقلتين على معلول واحد وإنه محال (٢).

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾(٣) الآيات تضمنت نفخ الصور ووزن الأعمال وعذاب النار وتقريع أهلها .

﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾(٤) يحتج به(٥) المعتزلة لإضافة التكذيب إليهم .

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾(٦) يحتج به الجبرية ونحوهم ، إذ معناه : غلبتنا أقدارك وما خلقته/[٣٠٤/ل] فينا من دواعي الكفر والصوارف عن الإيمان فلم نستطع هداية فضللنا .

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾(٧) أي عن العبث وكل نقص ، والعبث هو الفعل

(١) سورة المؤمنون ، آية (٩١) .

(٢) ثم إن من شأن الإله العلو ، وهذا يمنع من الشركة في الخلق والتدبير ، واللّه أعلم .(خ).

(٣) سورة المؤمنون ، آية (١٠١) .

(٤) سورة المؤمنون ، آية (١٠٥) .

(٥) في ل : بها .

(٦) سورة المؤمنون ، آية (١٠٦) .

(٧) سورة المؤمنون ، آية (١١٥ - ١١٦) .

الخالي عن غاية معتبرة عقلًا أو شرعًا ، ومثل هذا العالم لا يكون غايته مجرد وجوده ثم عدمه بالكلية ؛ لأن مثل هذه الغاية تقصر عن مثل هذا الفعل العظيم ؛ فإذن للعالم غاية عظمى أعظم من مجرد وجوده ، وما ذاك إلا إعادته ثم إظهار أسرار الوجود فيه .

وقد قرر هذا المعنى بوجهين : أحدهما : أن العالم ما بين مطيع يناسبه الثواب وعاص يناسبه العقاب ، وهذه الدار لا تصلح لثواب المطيع ولا لعقاب العاصي ؛ إذ لذاتها التي ارتبطت بها عقول الناس إنما هي دفع آلام لا لذّات في[1] الحقيقة كالأكل والشرب والنكاح إنما هي رفع[2] ألم الجوع والعطش والشبق ، وحينئذ يجب عقلًا أن يكون للناس دار[3] ينالون فيها ثواب طاعاتهم[4] وينالهم عقاب معاصيهم لذات وآلام حقيقية[5] ، وهي الدار الآخرة وإليه الإشارة بقوله -عز وجل- : ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[6] .

الوجه الثاني: أن في الناس ظالمًا /[١٤٤أ/م] ومظلومًا ، والظالم يناسبه العقاب على ظلمه عقلًا ، ثم نرى كثيرًا من الظالمين يخرج من الدنيا سالمًا موقرًا لم تصبه قارعة ولم ترزأه رزية ، فدل على أن هناك دارًا يستوفى منه فيها[7] جزاء ظلمه ، وإليه الإشارة بما حكي عن ابن عباس أنه رأى جنازة ، فقال : من هذا ؟ قيل: فلان ،

---

(١) سقط من ل .
(٢) في ل : دفع .
(٣) في ل : دارًا .
(٤) في ل : طاعتهم .
(٥) في م : حقيقة .
(٦) سورة آل عمران (١٨٥) .
(٧) زيادة من ل .

لرجل ظالم لم يصب في حياته بمكروه ، فقال ابن عباس: اللَّه أكبر أشهد أن للناس معادًا يؤخذ فيه للمظلوم من الظالم ، أو كما قال .

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾[1] الآية ليس المراد أن ثم إلهًا آخر عليه برهان ، بل المراد أن إثبات إله آخر لا برهان عليه ، فمن ادعاه والحالة هذه فهو كافر تقليدًا أو عنادًا ، وحسابه عند ربه -عز وجل- ثم إنه لا يفلح .

(١) سورة المؤمنون ، آية (١١٧) .

القول في سورة النور

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾[١] عام خص بالمكره ومن ليس بمكلف ونحوهم .

﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾[٢] هذا استثناء تقدمه جمل تصلح لرجوعه إليها ، وفيه وفي نظائره أقوال:

أحدها : يرجع إلى جميعها إلا لمانع ، وهو مذهب الشافعي وأحمد .

والثاني: يختص بالأخيرة فقط لقربها وحصول المقصود ، وهو تعليق الاستثناء بها ، وهو قول أبي حنيفة/[٣٠٥/ل] .

والثالث: أن رجوعه إلى الجميع وإلى الأخيرة وقد استعمل فهو مشترك بين الأمرين ، فالوقف على مرجح واجب ، وهو قول القاضي أبي بكر .

والرابع : الوقف لتردد الحال بينهما ، وهو قول الشريف المرتضى من الشيعة[٣] ، فهو وقف ترددى وما قبله اشتراكي ، وعلى هذا

---

(١) سورة النور ، آية (٢) .

(٢) سورة النور ، آية (٤ ،٥) .

(٣) التوقف ليس قولاً ، وإنما هو عجز عن الترجيح من صاحبه ، وإنما ذكره قولاً باعتبار التوقف قبله ، فمنتزع الأول الاشتراك ومنتزع الثاني التردد (خ).

فاتفقوا في هذه الآية على أن القاذف إذا تاب لا يسقط الجلد عنه ؛ لأنه حق آدمي كالدين وعلى أن فسقه يزول ، واختلفوا في قبول شهادته فقبلها الشافعي وأحمد ردًا لحكم الاستثناء إليها لصلاحيته لذلك من غير مانع بخلاف الجلد ؛ إذ كونه حق آدمي مانع من السقوط ، ولم يقبلها أبو حنيفة لاختصاص الاستثناء بزوال الفسق ، فلم يتعد إلى قبول الشهادة ، ووجهوه بأن استمرار رد شهادته عقوبة على جنايته فلم ترتفع كالجلد ، ولا يلزم من زوال الفسق قبول الشهادة ؛ لأنها قد ترد لمانع كشهادة الوالد لولده وعكسه والرجل على عدوه ونحوه ، ردت شهادتهم للمانع الخاص مع ثبوت العدالة ، فحاصله : أن قبول /[١٤٤ب/م] الشهادة هل يلحق بالجلد في استمراره أو بالفسق في زواله وهو أشبه ؛ لأن الظاهر أن المراد بهما شيء واحد ، وإنما عبر تارة باللازم ، وهو رد الشهادة وتارة بالملزوم ، وهو الفسق تعظيمًا للقضية وتقبيحًا لها ، كما يقال: الذي يسرق فأقم عليه حده واقطعه ونكل به ، واحرمه الانتفاع بجارحته وكف عاديته عن الناس والكل واحد .

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾[١] أي : لاتبعتم الشيطان وخطواته فلم يزك منكم أحد ، فاقتضى أن العصمة من الشيطان بفضله ، والوصمة بوساوس[٢] الشيطان ومكائدة بقدر اللّه - عز وجل - وعدله ، ويحتج به الجمهور ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾[٣] يؤكد ذلك لاختصاص التزكية بمن شاء .

(١) سورة النور ، آية (٢١) .

(٢) في ل : بوسواس .

(٣) سورة النور ، آية (٢١) .

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾[١] الآية احتج بها الجمهور على فضل أبي بكر لأنها نزلت فيه ؛ إذ ترك الإنفاق على مِسْطَح وقد وصف فيها بأنه من أولي الفضل [أي والله الذي لا إله إلا هو أنه من أولي الفضل أعظم أولي الفضل من هذه الأمة - رضي الله عنه وأرضاه -][٢] وأجابت الشيعة [لعنهم الله][٣] بأن المراد فضل المال وكثرته بدليل اقترانه بالسعة لا الفضل الذي هو الكمال وضد النقص ، لكن يحتج بها الجمهور من موضع آخر وهو قوله -عز وجل-: ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[٤] وهو[٥] يدل على أنه مغفور له .

﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ ﴾[٦] هذا مع قوله في أول القصة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾[٧] وما بينهما يحتج به الجمهور على براءة عائشة رضوان الله عليها/[٣٠٦/ل] مما رميت به ، والأحاديث الصحيحة دلت على ذلك حتى قال بعض الحنفية بكفر من قذف عائشة لمخالفته القاطع دون غيرها .

﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٨] فيه مسألتان : إحداهما وجوب التوبة على كل مؤمن ، لأنها مأمور بها والأمر للوجوب ،

---

(١) سورة النور ، آية (٢٢) .

(٢) زيادة من ل .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة النور ، آية (٢٢) .

(٥) في ل : وهذا .

(٦) سورة النور ، آية (٢٦) .

(٧) سورة النور ، آية (١١) .

(٨) سورة النور ، آية (٣١)

ولأن المؤمن لكونه غير معصوم لا يخلو من ذنب يوجب التوبة ، كيف وإن أكثر أحواله ذنوب إلا من وفق .

الثانية: احتج بها من رأى التوبة من الأعمال الصالحة ، وزعم أن ذلك شأن الأبرار والمقربين ، وتقرير حجته أن المخاطب بالتوبة هم المؤمنون ولا تتجه توبة المؤمن إلا من العمل الصالح ، وهذا ضعيف ، إنما يصح لو كان المؤمن معصومًا من المعاصي أما وهو غير معصوم فتتجه توبته من معاصٍ تقع منه ، نعم لو احتج بأن الآفات المفسدة للأعمال كالرياء والعجب ونحوهما خفية عن المؤمن غالبة عليه جدًا ؛ فالظاهر أن عمله لا يسلم منها ، ثم إن القسمة العقلية / [١٤٥أ/ م] تقتضى أن العمل إما أن يقطع بسلامته من المفسدات ، أو بفساده بها ، أو يتردد فيه بين الأمرين ، والعلم بسلامة العمل عزيز نادر أو متعذر في العادة ، فصار الغالب في العمل إما القطع بفساده أو التردد فيه ، فوجب الاستغفار والتوبة منه بناء على الغالب ؛ لأن الطاعة إذا فسدت صارت معصية كالعصير إذا فسد صار خمرًا ، وصار الجهل بسلامة العمل كالقطع بفساده فتجب التوبة كما قيل في باب الربا: الجهل بالتساوي كالعلم بالتفاضل ، فيجب اجتناب المعاملة فيه - لكان هذا تقريرًا جيدًا غير خارج عن قواعد الشرع والنظر وهذا المذهب يعزى إلى المحققين من أهل الطريق ، ويرجع إلى أن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فالعارف المقرب يرى الحسنات بالإضافة إلى غيره سيئات بالإضافة إليه فيتوب منها .

واحتج الآخرون بأن التوبة هي الندم على الفعل والعزم على تركه ، والطاعات لا يجوز الندم على فعلها ولا العزم على تركها فالتوبة منها لا تجوز .

والصواب : أن هذا خارج عن محل النزاع ، لأن الطاعة التي يقطع بصحتها وسلامتها من مفسد لا تجب التوبة منها ، وإنما تجب التوبة من الطاعة لا من حيث هي طاعة ، بل من حيث اشتملت غالبًا على معصية كالرياء ونحوه من المفسدات ، وهذا كمن اشترى دراهم أو سلعة مغشوشة وجب له ردها على صاحبها لا من حيث هي فضة بل من حيث هي مغشوشة ، فينبغي للإنسان أن يتوب بهذا الاعتبار من جميع أفعاله[1] احتياطًا ، ولا يعول/[٣٠٧/ل] منها على شيء ، ولا يلقى اللّه -عز وجل- إلا فقيرًا إلى رحمته غير ملتفت إلى غيرها ، أما توبته من المعاصي فلقبحها ، وأما من الطاعات فلعدم القطع بسلامتها لغلبة المفسدات الخفية والظاهرة عليها ، ولا يلتفت إلى إنكار الظاهريين لهذا فإنه مقام نظري لم يصلوا إليه .

﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم ﴾[2] هذا عطف واجب على مندوب ؛ إذ الكتابة ندب والإيتاء فيها واجب .

﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾[3] يحتج به من لم ير المفهوم حجة ؛ لأن مفهوم هذا : إن لم يردن تحصنًا فأكرهوهن على البغاء وليس الحكم كذلك .

وأجيب بأن هذا المفهوم لا يتصور ، فبطلانه لعدم تصوره ، لا لأن المفهوم ليس حجة ، وبيانه أن الإكراه إنما يكون على خلاف الإرادة والاختيار ، فالأمة إذا أرادت التحصن صح إكراهها على الزنا ، أما إذا لم ترد التحصن[4] وأرادت الزنا فلا يصح إكراهها

---

(١) في ل : أعماله .

(٢) سورة النور ، آية (٣٣) .

(٣) سورة النور ، آية (٣٣) .

(٤) في ل : التحصين .

عليه ؛ لأن الإكراه/[١٤٥ب/م] حينئذ على وفق مرادها ، فهو تحصيل الحاصل ، وهذا كما إذا امتنع الإنسان من دخول الدار صح أن يدفع في قفاه أو يلبب[١] ويجر ليدخلها ، أما إذا دخلها مختارًا فلا يصح ذلك منه[٢] وكان تحصيل الحاصل .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾[٣] الآية ، فيه أن الكفر لا يزكو معه عمل ولا تنفع معه حسنة ، وأخذ بقياس عكسه قوم ،فقالوا: الإيمان لا تضر معه سيئة فأرجأوا العمل وأبطلوا الوعيد عن العصاة وهم المرجئة ، وليس كذلك .

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ ﴾[٤] هو من باب ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[٥] واحتج به من قال بأن من أعتق طائرًا زال ملكه عنه ؛ لأنه مصل مسبح بهذا النص فصح عتقه كالآدمي ، ويعترض عليه بأن الصلاة والتسبيح ليست متحدة فيهما بالحقيقة فلم يتحد جامع القياس فلا يصح .

﴿ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[٦] اختلف في كاد فقيل: هي كسائر الأفعال نفيها نفي وإثباتها إثبات ، وقيل عكسه: نفيها إثبات وإثباتها نفي ، فكاد زيد يقوم معناه ما قام ، ولم يكد زيد يقوم معناه قام ، والصحيح الأول ؛ لأن كاد معناها مقاربة الفعل فإذا دخل عليها

---

(١) في ل : يكبب .
(٢) زيادة من ل .
(٣) سورة النور ، آية (٣٩) .
(٤) سورة النور ، آية (٤١) .
(٥) سورة الإسراء ، آية (٤٤) .
(٦) سورة النور ، آية (٤٣) .

نفي[١] انتفت مقاربة الفعل ، فانتفاء نفس الفعل أولى إلا بدليل يثبته ، وفي الإثبات يثبت مقاربة الفعل ويبقى[٢] نفس الفعل على استصحاب النفي إلا بدليل يثبته ، فقولنا: كاد زيد يقوم أى قارب القيام أما كونه قام فالأصل عدمه إلا أن يثبت بدليل ، وقولنا/[٣٠٨/ل] : ما كاد زيد يقوم ، أي : ما قارب القيام ، فانتفاء القيام نفسه أولى إلا أن يثبت بدليل ؛ فههنا ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾[٣] إثبات لمقاربة ذهاب البصر فنفس ذهابه على أصل العدم ولا دليل عليه يثبته ، أما ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ ﴾[٤] فمعناه : لم يقارب رؤيتها فانتفاء رؤيتها أولى ، لكن ثبت[٥] رؤيتها بدليل العادة أن اليد لقربها ترى على كل حال ، فهذه قاعدة كاد وحاصلها أن كاد لمقاربة الفعل وهو من لوازم الفعل ، وانتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم ، وثبوته لا يقتضي ثبوته إلا لدليل منفصل فيهما وقد تبين ذلك ، وهذه القاعدة مطردة في كاد حيث وقعت ، وعليها يتخرج قول ذي الرمة:

إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

أي لم يقارب البراح ، وإذا انتفت مقاربة البراح فانتفاء نفس البراح الذي هو ملزوم مقاربته المنفية أولى ، وبهذا يتبين[٦] خطأ ابن شبرمة في اعتراضه على ذي الرمة حيث قال له: أراه قد برح ، وخطأ ذى الرمة حيث رجع إلى ابن شبرمة وغيَّر «يكد» «أجد» كما استدرك

---

(١) في ل : النفي .

(٢) في ل : وينتفي .

(٣) سورة النور ، آية (٤٣) .

(٤) سورة النور ، آية (٤٠) .

(٥) في ل : يثبت .

(٦) في ل : تبين .

عليهما/[١٤٦/أ/م] أبو البختري ، والأشبه أن الوهم إنما هو من ابن شبرمة وحده ، فأما ذو الرمة فإنما[١] رجع إليه ؛ لأنه لما رأى المكان موضع وَهْمٍ يَهِمُ فيه مثل ابن شبرمة مع فضله وأدبه أراد رفع الاستدراك عن كلامه ، والوهم فيه بالكلية وتخلصه عن شوائب الاستدراكات والأوهام هذا عذر ذي الرمة .

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[٢] عام ، واعترض عليه بعض النصارى بأن العقرب ونحوها من الحشرات مخلوقة من التراب لا من الماء وجوابه من وجوه :

أحدها: منع أن التراب المحض يتكون منه حيوان أصلاً .

الثاني: أنه ليس المراد بتكوين[٣] الدواب من الماء البسيط الذي هو أحد العناصر الأربعة بل من الماء المستَّل[٤] من الأبوين وهو النطفة والعقارب تتناسل كغيرها .

الثالث : أن المراد بخلقها من ماء أن بدنها لا يتقوم إلا برطوبة مائية ، وهذا لازم في كل حيوان .

الرابع: هب أن ما ذكرته صحيح لا جواب عنه فيكون الكلام عامًّا مخصوصًا بالعقرب ونحوها ، أو عامًّا أريد به الخاص ، وذلك لا يعد تعارضًا ولا تناقضًا ولا خلفًا من القول ولا يقدح في القرآن ، ولا في غيره من الكلام بوجه .

وأما تناقض إنجيلهم فقد قررنا منه شيئًا كثيرًا في كتاب مستقل .

(١) في ل : إنما .
(٢) سورة النور ، آية (٤٥) .
(٣) في ل : تكوين .
(٤) في م : المسيل .

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[١] الآية يحتج به الجمهور في تعليق الهداية/[٣٠٩/ل] بالمشيئة وجودًا وعدمًا ، وأما الآيات فالمقصود بها إقامة الحجة بالكشف عن طريق المحجة لا غير ، أما أنها تهدي الهداية المخلصة فلا وإنما هي مرشدة .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ ﴾[٢] هذا وعيدي محكم نحو: ﴿ لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ ﴾[٣] وليس بمنسوخ .

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٤] الآية يحتج بها[٥] الجمهور على صحة خلافة الأشياخ الثلاثة قبل علي ، وتقريره: أن اللّه -عز وجل- وعد مؤمني هذه الأمة بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين وتبديل خوفهم بالأمن ، ووعد اللّه -عز وجل- واقع لا محالة ، ثم لا يخلو أن يكون المراد بالذين آمنوا المستخلفين في الأرض عليًا وحده ، أو عموم مؤمني الأمة ، أو عموم خلفائها ، أو الأشياخ الثلاثة على الخصوص وليس المراد عليًا وحده ؛ لأن الوعد للذين آمنوا ، وعليٌّ وحده ليس جمعًا ولا يصح التعبير عنه بلفظ الجمع إلا مجازًا من باب العام أريد[٦] به الخاص ولا ضرورة إليه ، سلمنا[٧] أنه المراد لكن الآية تضمنت أن استخلافه كاستخلاف من قبله ، والذين قبله الأشياخ

---

(١) سورة النور ، آية (٤٦) .

(٢) سورة النور ، آية (٥٤) .

(٣) يونس ، آية (٤١) .

(٤) سورة النور ، آية (٥٥) .

(٥) في ل : به .

(٦) في ل : يراد .

(٧) في م : سلمناه .

الثلاثة ، فيلزم صحة استخلافهم [كصحة استخلافه][١] تحقيقًا للتشبيه ، وإلا لزم بطلان استخلافه[٢] [ ][٣] تحقيقًا للتشبيه أيضًا وإنه باطل / [١٤٦ب/ م] باتفاق ولا يجوز أن يكون المراد عموم مؤمني الأمة إذ[٤] لم يستخلف كل واحد واحد منهم ولا حاجة إلى ذلك ؛ إذ الخلفاء رعاة وواحد من كل عصر يكفي ، فتعين أن المراد إما الأشياخ الثلاثة على الخصوص فيحصل المقصود[٥] ، أو عموم خلفاء الأمة فيحصل أيضًا لاندراج الأشياخ الثلاثة تحت عموم الخلفاء ، هذا أحسن ما قرر به الدليل من هذه الآية .

واعترضت الشيعة [أبعدهم اللّه][٦] بأن قالوا: لا نسلم أن الاستخلاف ههنا من الخلافة التي هي الإمامة والسلطنة ، وإنما هو من الخلف المقابل للسلف ، وقولهم : خلف فلان فلانًا على زوجته أو ماله ونحوه ، وحينئذ لا دلالة في الآية على ما ذكرتم أصلاً ، ويكون الخطاب لجميع الأمة أنهم يخلفون من تقدمهم[٧] من الأمم في الأرض كما قال عز وجل :﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[٨] وقد أنجز اللّه -عز وجل- وعده بأن جعل هذه الأمة خلفاء[٩] في الأرض عمن قبلها من الأمم ولا تعرض في ذلك

---

(١) زيادة من ل .

(٢) في ل : استخلافهم .

(٣) في م : تبعًا لاستخلاف استخلافهم .

(٤) في ل : إذ .

(٥) في ل : المراد

(٦) سقط من ل .

(٧) في م : بعدهم .

(٨) سورة يونس ، آية (١٤) .

(٩) في ل : خلفًا .

للخلافة والإمرة أصلاً ، سلمنا ذلك لكن الموعود باستخلافه هو المهدي عند نزول عيسى ، يمكن الله له الدين بعد اضطرابه بالدجال ، ويبدل به الخوف أمنًا والجور عدلاً ، أما في أول الإسلام فتمكين الدين/[٣١٠/ل] وتبديل الخوف حصل بالنبي - صلى الله عليه وسلم - لا بغيره ، سلمنا أن المراد الخلفاء الثلاثة بخصوصهم لكن الاستخلاف والوعد به لا يقتضي أن يكون حقًّا ؛ لأن الله -عز وجل- قد استخلف في أرضه من عباده محقًّا ومبطلاً ، ويعد الإنسان بخير بالنسبة إليه ، ثم قد يكون ذلك الخير شرًّا في نفس الأمر [كما يعد ملكًا بفتح مدينة يقتل فيها ويسبي ؛ فذلك خير بالنسبة إلى الملك شر في نفس الأمر][١] فكذلك خلافة هؤلاء جاز أن تكون من هذا القبيل[٢].

هذا هو الكلام على هذه الآية من الطرفين في هذا المعنى ، والعموم فيها قوي فلا تدل على خصوصية الأمر المتنازع فيه إلا دلالة لطيفة كما قررناه .

﴿فَلْيَحْذَرِ[٣] ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٤] يحتج به على أن مقتضى الأمر المطلق الوجوب لأنه -عز وجل- توعد المخالفين لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بالفتنة

---

(١) سقط من ل .

(٢) هذا باطل من الشيعة ؛ لأن سياق الآية يدل على أن المراد استخلاف عبادٍ مؤمنين ليسوا من الكفار أو المبطلين ، وأن التمكين يكون بهم ، ولا يمنع أن يكون تمكين آخر قبلهم في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- وغاية صورة التمكين هو في قيام الدولة ، فلا يقال حينئذ : إنه لا تعرض للآية للخلافة ، ثم إن سلمنا العموم فيكون دخول الأشياخ الثلاثة فيه من باب أولى ، كما قرره المصنف ههنا ، والله أعلم (خ).

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة النور ، آية (٦٣)

والعذاب ، والوعيد إنما يكون على ترك واجب أو فعل محرم ، وذلك يقتضي أن مخالفة أمره - صلى اللّه عليه وسلم - حرام فامتثال أمره واجب ، وهو المطلوب ، وتلخيص الدليل: أن مخالفة أمره متوعد عليها وكل متوعد عليه حرام فمخالفة أمره حرام ، فامتثاله واجب .

القول في سورة النور

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[(١)] يحتج به على أنه منزل غير مخلوق كما سبق .

﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[(٢)] /[١٤٧أ/م] يحتج به على عموم الدعوة في العالمين ، ثم تخص منه الملائكة والبهائم ونحوهم ممن خرج عن[(٣)] عمومها بدليله .

﴿ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَـدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾[(٤)] فيه نفي الولد والشريك ، وقد سبق .

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[(٥)] يحتج بعمومه على خلقه - عز وجل - لأفعال المخلوقين خيرًا وشرًّا ، والمعتزلة خصوا عمومه بدليلهم العدلي ، [ ][(٦)] زعموا ، وقد سبق القول فيه .

وخلق الشيء اختراعه وإبداعه وإخراجه من العدم إلى الوجود وتقديره : جعله على قدر الحاجة ووفق الحكمة[(٧)] زمانًا ومكانًا وهيئة وشكلاً ونحو ذلك .

---

(١) سورة الفرقان ، آية (١) .

(٢) سورة الفرقان ، آية (١) .

(٣) في ل : على .

(٤) سورة الفرقان ، آية (٢) .

(٥) سورة الفرقان ، آية (٢) .

(٦) في م : كما .

(٧) في ل : الحاجة .

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾[(١)] الآية استدلال على نفي إلهيتهم بمخلوقيتهم وعدم خالقيتهم ، وأنهم لا يملكون نفعًا ولا ضرًا ، وقد سبق تقريره .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾[(٢)] فيه اعتراف منهم بإعجاز القرآن ؛ لأنهم يعترفون بأن النبي ﷺ أفصحهم أو من أفصحهم ، ثم مع ذلك اعتقدوا أنه لم يستقل بالقرآن حتى أعانه عليه قوم آخرون ، فاقتضى أنهم كانوا يرونه معجزًا للفصيح الواحد ، فإذا ادعوا أنه استعان عليه بقوم آخرين ؛ قيل لهم : فاستعينوا أنتم على معارضته بمثله بقوم آخرين ، وقد أطلقتم في الجن والإنس/[٣١١/ل] تستعينون بهم ، فإذا عجزتم دل على أنه معجز على الإطلاق باعترافكم .

﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾[(٣)] جوابه ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾[(٤)] .

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[(٥)] جوابه ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ﴾[(٦)] وكأن هؤلاء قاسوا قياسًا فاسدًا ؛ فرأوا أن رسول الملك من ملوك الأرض إذا ورد بلد رسالته يحتجب حشمه فلا يرى آكلًا ولا في سوق ؛ فقالوا : رسول الله أولى بذلك ؛ لأن الله

(١) سورة الفرقان ، آية (٣) .
(٢) سورة الفرقان ، آية (٤) .
(٣) سورة الفرقان ، آية (٧) .
(٤) سورة الفرقان ، آية (٢٠) .
(٥) سورة الفرقان ، آية (٧) .
(٦) سورة الفرقان ، آية (٢٢) .

- عز وجل - أعظم الملوك . وهذا شبيه بقول القائلين : إن اللَّه - عز وجل - أكرم من أن يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ؛ فكان هذا القياس الفاسد فتنة للفريقين ، ضربوا بسببه الأمثال فضلوا ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا [(١)] ﴾[(٢)] أي لا يستطيعون طريقًا إلى الهدى ؛ لأن طريق الهدى اتباع الرسول وقد سد عليهم بما خلق في نفوسهم من القياس الفاسد المانع من اتباعه .

ويحتج الجمهور بـ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾[(٣)] كما ذكرنا .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴾[(٤)] الآية إلى قوله[(٥)] : ﴿ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ /[١٤٧ب/ م] وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا ٱلذِّكْرَ ﴾[(٦)] انظر إلى هؤلاء المتخذين آلهة ، كيف أنهم لما فهموا سر القدر عدلوا عن القسمين ؛ فلم يقولوا: نحن أضللناهم ، ولا قالوا : هم ضلوا السبيل ، بل حكوا عين ما وقع ، وهو أن اللَّه - عز وجل - استدرجهم بالنعم والتمتع ، وما يتبع ذلك من خلق الدواعي والصوارف حتى شغلهم عن الذكر فنسوه ، وهذا هو مستند الجبرية ؛ فإن استدراجهم المذكور إن كان موجبًا لنسيان الذكر حصل المقصود وإن لم يكن موجبًا ، فلا أقل من أن يضاف إلى اللَّه - عز وجل - بقدر ما وجد منه من الاستدراج والشغل عنه .

---

(١) زيادة من ل .

(٢) سورة الفرقان ، آية (٩) .

(٣) سورة الفرقان ، آية (٩) .

(٤) سورة الفرقان ، آية (١٧) .

(٥) في م : قولهم .

(٦) سورة الفرقان ، آية (١٨) .

اللَّهم إلا أن يقول القدري : إنه إنما متعهم تفضلاً عليهم لا ليشغلهم عن الذكر ، وإنما هم الذين اشتغلوا بنعمته عن ذكره ، فلذلك لزمتهم الحجة ، بدليل : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] الآية .

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] فلعمري لقد قال مقالاً ، غير أنا نرجع إلى أصل المسألة فنقول : نسيانهم للذكر إما أن يكون مراد الوجود منهم أو مراد العدم ، أو لا مراد الوجود ولا مراد العدم ، فإن كان مراد الوجود حصل المقصود ، لما تقرر من أن القدرة لا تتعلق إلا بما تتعلق به الإرادة ، فإن[3] كان مرادًا منهم كان مقدورًا عليهم ، والمقدور واجب الوقوع .

وإن كان مراد العدم لزم أن يكون وجوده منهم مراغمًا للإرادة/ [٣١٢/ل] والعلم والقدرة الأزلية ؛ لاستحالة تعلق الجميع إلا بمتعلق واحد ؛ لئلا تتنافى الصفات القديمة أو الذات أو الأحوال في متعلقاتها ، وهو محال ، وحينئذ يلزم غلبة الحادث للقديم ، وهو باطل .

وإن كان لا مراد الوجود ، ولا مراد العدم لزم خلو بعض الموجودات عن تعلق الإرادة والعلم والقدرة به[4] ؛ لاستحالة تعلق بعضها بما لا يتعلق به البعض ، وإنه محال .

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾[5] يحتج به القدرية ، ووجهه :

---

(١) سورة الأنعام ، آية (٤٤) .

(٢) سورة الأعراف ، آية (١٨٢) .

(٣) في م : فإذا .

(٤) سقط من ل .

(٥) سورة الفرقان ، آية (١٩) .

أن اللَّه - عز وجل - قسم في سؤال الآلهة تقسيمًا حاصرًا ؛ فقال : أأنتم أضللتم هؤلاء أم هم ضلوا السبيل[١] ؟ قالوا : ما أضللناهم . فتعين أنهم هم ضلوا ، فلذلك أكذبهم في دعواهم أن هؤلاء المعبودين من دون اللَّه أضلونا ، وحينئذٍ يلزم نسبة ضلالهم إلى أنفسهم .

والجواب : أنا لا نسلم أن المراد بقوله - عز وجل - : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴾[٢] الحصر ، بل المراد تكذيب الكفار في أن معبوديهم أضلوهم ، وهو حاصل بتنصل المعبودين عن ذلك ، والقسمة تقتضي أن الذي أضلهم إما معبودوهم أو أنفسهم ، أو اللَّه - عز وجل - مستقلاً بإضلالهم كما / [١٤٨أ/م] تقول الجبرية ، أو مشاركًا فيه ، كما تقول الكسبية ؛ وحينئذٍ لا يتعين ما ذكرتموه من أنهم هم ضلوا بأنفسهم[٣] .

فإن قيل : فعلى كل حال لم تقم لهم حجة ، ولا أقيم لهم عذر ، ولو صح ما ذكرتموه[٤] لاحتجوا به والتمسوا العذر ولأغنى عنهم شيئًا .

وجوابه : أن هذا لا يلزم ؛ لأن الكسبي يقول : قامت الحجة عليهم بكسبهم ، والجبري يقول : قامت الحجة عليهم بموجب علمه أن لو فوض إليهم خلق أفعالهم لكانوا كفارًا عصاة .

﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً [٥] ﴾[٦] فيه[٧] تصريح بالتسبب

---

(١) زيادة من ل .
(٢) سورة الفرقان ، آية (١٧) .
(٣) في ل : أنفسهم .
(٤) في م : ذكرتم .
(٥) زيادة من ل .
(٦) سورة الفرقان ، آية (٢٠) .
(٧) سقط من ل .

إلى إيقاع الفتنة والضلال ، ومعناه : جعلنا المرسلين يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق لنفتن بهم الكفار ، ليقولوا : أهؤلاء منَّ اللَّه عليهم من بيننا ، فيخالفونهم ، فيكفرون فيعذبهم .

وهذه مقدمات صحيحة يستلزم بعضها بعضًا ، مستندًا ذلك إلى ما فطرهم عليه من الكبر وخلق فيهم من صوارف الإيمان ودواعي الكفر .

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾(١) سبق معناه في سورة النور عند ﴿ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ ﴾(٢) .

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ ﴾(٣) الآية فيه دليل على أن السماء والأفلاك تقبل الخرق والالتئام ؛ خلافًا للفلاسفة ، وحجتهم أن حركة الفلك مستديرة والخرق والالتئام إنما يكون بحركة مستقيمة ، واجتماعهما في موضوع(٤) واحد محال ؛ ولأن الفلك هو المحدد للجهات ، فلو قبل الخرق والالتئام لكان ذلك بحركة قطعًا ، وتلك الحركة لا بد وأن تكون إلى جهة ، ولا جهة وراء محدد الجهات .

والجواب عن الأول : أنه مبني على أن الصانع فاعل بالطبع ، وأن العلويات لا تقبل الزوال ، وذلك ممنوع/[٣١٣/ل] ، بل الصانع فاعل بالاختيار ، فهو باختياره يسلب الفلك حركته المستديرة ويحركه بالمستقيمة ، فيقبل(٥) الخرق .

---

(١) سورة الفرقان ، آية (٢٣) .

(٢) سورة النور ، آية (٣٩) .

(٣) سورة الفرقان ، آية (٢٥) .

(٤) في ل : موضع .

(٥) في ل : فقبل .

وعن الثاني : بأنه مبني على أن الجهة أمر ثبوتي متقرر لا تتجاوزه حركة وهو ممنوع ، بل هي أمر اعتباري أو إضافي فلا يلزم فيها ما ذكرتم ، ولأن العلويات أجسام ، وكل جسم يقبل الخرق والالتئام .

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ﴾[1] أي بالكسب والتسبب عند الجمهور ، وبالخلق عند القدري .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾[2] الآية تضمنت شبهة على الرسالة وجوابها .

أما الشبهة فتقريرها : لو كان هذا الرسول صادقًا لنزل عليه القرآن جملة واحدة كتوراة موسى ، لكنه يخترعه من عنده شيئًا فشيئًا على حسب ما يريده ويرد عليه من الحوادث .

وجوابه : ليس كما ذكرتم ، بل لتنزيله مفرقًا حكمة من وجوه : أحدها : تثبيت فؤاد الرسول ﷺ باتصال نزول الوحي عليه . / [١٤٨ب/ م]

والثاني : ترتيله في التنزيل ليتأدب بذلك في التلاوة ﴿ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا [3] ﴾[4] .

والثالث : أن الكفار متى أوردوا[5] إشكالاً[6] أو شبهة أو أتوا بسؤال أو مثل - كان جوابهم بالمرصاد نأتيك به ، وما ذكرتم من أنه

---

(١) سورة الفرقان ، آية (٢٨ - ٢٩) .

(٢) سورة الفرقان ، آية (٣٢) . وفي ل : أنزل . بدل ﴿نزل﴾ .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة المزمل ، آية (٤) .

(٥) في ل : أرادوا .

(٦) في م : شكًا

لو كان صادقًا لجاء بالقرآن جملة واحدة - منتقض طردًا وعكسًا في الواقع أو في التقدير ؛ إذ ربّ من جاء بكتاب جملة وهو كاذب كالمتنبئين بالباطل ، ورُبّ من جاء بكتاب مفرقًا وهو صادق ، فليس ما ذكرتموه بلازم .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾[1] يحتج به الشيعة كما سبق في « طه » : ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾[2] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾[3] الآية ، هذه آية[4] أرضية تابعة لآية سماوية ، نبه اللَّه - عز وجل - عليها ؛ لأن حركة الظل وامتداده تابعة[5] لحركة الشمس وغيرها من النيرات ، ولما كانت حركته بحركة الشمس مثلاً كان سكونه ، لو قدر ، لسكونها ، وسكون الشمس في مجراها مقدور .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾[6] سبق نظيره أول السورة .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[7] يدل على أن حياته معنى زائد ؛ لأن الموت مفارقة الحياة ، وقد أخبر أنه حي لا يلحقه الموت الذي هو مفارقة الحياة فدل على أن له حياة لا تفارق . [وفيه نظر][8] .

---

(١) سورة الفرقان ، آية (٣٥) .
(٢) سورة طه (٢٩) .
(٣) سورة الفرقان ، آية (٥٤) .
(٤) زيادة من ل .
(٥) في ل : تابع .
(٦) سورة الفرقان ، آية (٥٥) .
(٧) سورة الفرقان ، آية (٥٨) .
(٨) سقط من ل .

﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[١] أي : عنه . فيحتج به على أن «عن» ينوب عنها الباء ، وأن الحروف ينوب بعضها عن بعض . ومنهم من يخرج ما وقع من ذلك على قاعدة التضمين ، كأنه هٰهنا ضمن اسأل معنى ذاكر به خبيرًا .

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ﴾[٢] الآية سبق نظيرها في مدح التوسط في « سبحان » .

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾[٣] الآيتين تضمنتا/ [٣١٤/ل] قبول توبة القاتل عدوانًا ، وهي عند الجمهور ناسخة لآية النساء في من يقتل مؤمنًا متعمدًا ، كما سبق هناك .

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾[٤] يقتضي أن لا حكمة ولا مقصود لخلق الناس إلا التوحيد والدعاء بالوحدانية ، نحو : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٥] وقيل : معناه : ما يعبأ[٦] بعذابكم لولا دعاؤكم آلهة سواه ، نحو : ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾[٧] وهو يقتضي ألا يعذب إلا مشرك ، لكن دل دليل منفصل على تعذيب غير المشرك عذابًا منقطعًا ، واللّٰه - عز وجل - أعلم بالصواب .

---

(١) سورة الفرقان ، آية (٥٩) .
(٢) سورة الفرقان ، آية (٦٧) .
(٣) سورة الفرقان ، آية (٦٨) .
(٤) سورة الفرقان ، آية (٧٧) .
(٥) سورة الذاريات ، آية (٥٦)
(٦) في م نعبأ .
(٧) سورة النساء ، آية (١٤٧)

القول في سورة الشعراء

﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـٰقُهُمْ لَهَا خَـٰضِعِينَ ﴾(١) فيه أن في قدرة اللَّه - عز وجل - اضطرار خلقه إلى الإيمان بما يبهرهم به من الآيات / [١٤٩أ/م] ؛ لأن العقل لا يستقر لعجائب القدرة ، فإذا غلبت عليه بهرته .

فأجاب : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ ﴾(٢) الآية سبق نظيرها في « الأنبياء » .

﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾(٣) يحتج به الاتحادية ، كما سبق .

﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(٤) وحّد الرسول باعتبار الجنس أو(٥) الرسالة ، و﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾(٦) في « طه » لتعدد الشخص .

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾(٧) لا حجة فيه لنفاة عصمة الأنبياء - عليهم السلام - لأن هذا كان قبل النبوة ، بدليل : ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٨) .

---

(١) سورة الشعراء ، آية (٤) .
(٢) سورة الشعراء ، آية (٥) .
(٣) سورة الشعراء ، آية (١٥) .
(٤) سورة الشعراء ، آية (١٦) .
(٥) في ل : و .
(٦) سورة طه ، آية (٤٧) .
(٧) سورة الشعراء ، آية (٢٠) .
(٨) سورة الشعراء ، آية (٢١) .

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] أبان بهذا عن جهله ، إذ لم يفرق بين من يعلم ومن لا يعلم حتى وضع «ما» في سؤاله موضع «من» ، ولما علم موسى خطأ فرعون في السؤال أجابه على مراده ، لا على لفظه ؛ فقال : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢] .

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾[٣] هذا أمر تعجيز ، أي : أنتم عاجزون عن معارضتي كيفما فعلتم ، وحينئذٍ لا يرد قول من قال : كيف أمرهم بإلقاء عصيهم وهو منكر ؛ والأمر بالمنكر حرام ؟

﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٤] هي معية بالعلم والعناية عند الجمهور ، وبالذات والحقيقة عند الاتحادية .

﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴾[٥] أي فضربه فانفلق ،وهذا من دلالة الاقتضاء وهي التزامية ؛ إذ انفلاقه يستلزم سببًا وهو الضرب المأمور به .

فإن قيل : كيف يتصور انفلاق البحر وتماسك أجزاء الماء ،وهو بطبعه سيال ؟ قلنا : هو[٦] ممكن ، وكل ممكن مقدور . وبيان إمكانه أن طبع الماء مخلوق ، فالخالق له يقدر على إعدامه ؛ فيتماسك أو يخلق في الماء كثافة حجرية يستمسك بها ، كما يقلب الماء ملحًا ، وقد سبق وتبرهن أن العناصر الأربعة يجوز انقلاب

---

(١) سورة الشعراء ، آية (٢٣) .
(٢) سورة الشعراء ، آية (٢٤) .
(٣) سورة الشعراء ، آية (٤٣) .
(٤) سورة الشعراء ، آية (٦٢) .
(٥) سورة الشعراء ، آية (٦٣)
(٦) سقط من ل .

بعضها إلى بعض ،والماء أحدها ؛ فجاز انقلاب/[٣٦٦ل] طبعه كما ينقلب بغلبة الأرض اليابسة عليه فيصير طينًا .

فإن قيل : ما السبب في انفعال البحر وغيره لعصا موسى ؟ قلنا : أما على رأي المتكلمين ؛ فجعل اللَّه - عز وجل - استعمال موسى لها أمارة على خوارق يخلقها عند ذلك ، فهي سبب وأمارة [لا علة ومؤثر .

وأما على رأي الاتحادية ؛ فاللَّه - عز وجل - بذاته ظهر فيها وجعلها مظهرًا له يتجلى منها لمخلوقاته وهو -عز وجل- إذا تجلى لشيء خضع له][١] ، فلما تجلى للبحر من العصا خضع له ، فانفعل وانفلق ، كما أنه لما تجلى للجبل اندك ولموسى أخذه الصعق .

﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[٢] إشارة إلى سلب الأصنام الإلهية / [١٤٩ب/م] لنقصها ، فيقتضي بقياس العكس أن الإله الحق كامل لا نقص فيه .

﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٣] احتجوا بالتقليد الباطل .

﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤] قيل : استثناء منقطع ؛ لأن رب العالمين ليس من جنس ما يعبدون هم وآباؤهم الأقدمون ، ويحتمل اتصاله ؛ لأن آباءهم الأقدمين يتناولهم إلى آدم ، وكثير منهم كان يعبد رب العالمين .

---

(١) سقط من ل .

(٢) سورة الشعراء ، آية (٧٢ - ٧٣) .

(٣) سورة الشعراء ، آية (٧٤) .

(٤) سورة الشعراء ، آية (٧٧) .

وهو داخل في عموم ما كانوا يعبدون ، فيكون إخراجه بالاستثناء متصلاً .

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾[١] يحتج به الجمهور على أن اللّه - عز وجل - مستقل بالهداية كاستقلاله بالخلق لاقترانهما في كلام إبراهيم ، ثم الضلال يقابل الهدى[٢] ، [فالمستقل بالهدى][٣] يستقل بالضلال .

﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾[٤] يحتج به على وقوع الخطيئة من الأنبياء لاعتراف إبراهيم بها على نفسه .

﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ ﴾[٥] هذا إنجاز وعده إياه بالاستغفار في سورة مريم ؛ حيث قال : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ﴾[٦] والمراد : اهد أبي ليصير أهلاً للمغفرة ، بدليل : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[٧] .

﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾[٨] يعني العابد والمعبود والشيطان المغوي بعبادته يكبكبون في النار لاشتراكهم في كسب الشرك .

﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[٩] يحتج به المعتزلة ؛ إذ حصروا إضلالهم[١٠] في المجرمين المسولين لهم .

---

(١) في ل : بالهدى .
(٢) سورة الشعراء ، آية (٧٨) .
(٣) سقط من ل .
(٤) سورة الشعراء ، آية (٨٢) .
(٥) سورة الشعراء ، آية (٨٦) .
(٦) سورة مريم ، آية (٤٧) .
(٧) سورة الشعراء ، آية (٨٦) .
(٨) سورة الشعراء ، آية (٩٤ - ٩٥) .
(٩) سورة الشعراء ، آية (٩٩) .
(١٠) في ل : ضلالهم

وأجاب الجمهور بأنهم أضلوهم بالكسب والتسبب .

﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴾(١) هذا في حق الكفار ، فلا حجة فيه للمعتزلة على نفي الشفاعة على الإطلاق .

﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾(٢) الآية فيه إثبات النعمة على الكفار ، وقد سبق في نظيره في الأعراف .

﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ ﴾(٣) الآية قيل : خرجت هذه الناقة من الجبل تمخّض عنها ، ثم انصدع فخرجت منه ، وذلك ممكن كالدود يعيش في باطن الأحجار .

ويحتمل أن الجبل جعل فيه تخلخل ومسام يدخل منه النسيم إليها ويخرج منه النفس ، إن قيل : إنها كانت هناك مدة ، وإن قيل : اخترعها في الحال . فلا حاجة إلى التوجيه .

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ /[٣١٧ل] نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾(٤) يحتج به على أنه منزل لا مخلوق ، وقد سبق .

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾(٥) يعني ذكر القرآن والوعد بإنزاله في الكتب القديمة ، فهو آية صدق النبي ﷺ بدليل : ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾(٦) ولو لم يكن المراد ما ذكرناه لما كان آية ، ولا قامت الحجة على الكفار بعلم علماء بني إسرائيل ، لأن

---

(١) سورة الشعراء ، آية (١٠٠) .
(٢) سورة الشعراء ، آية (١٣٣) .
(٣) سورة الشعراء ، آية (١٥٥) .
(٤) سورة الشعراء ، آية (١٩٣) .
(٥) سورة الشعراء ، آية (١٩٦) .
(٦) سورة الشعراء ، آية (١٩٧) .

مجرد كون معاني القرآن في التوراة مثلاً لا يكفي في الحجة على صدق الرسول .

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ /[١٥٠أ/م] فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾[١] هذا شبيه بقوله - عز وجل - : ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾[٢] ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾[٣] الآية لأن إظهار هذا القرآن على لسان رجل أعجمي معجز ضروري ، ثم لو كان كذلك لما آمنوا لما يخلق في قلوبهم من الصوارف عن الإيمان ، دل على ذلك قوله - عز وجل - : ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[٤] أي سلكنا الشك فيه والتكذيب به في قلوبهم ، فلا يدعهم ذلك أن يؤمنوا .

﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾[٥] لحراسة الشهب للسماء .

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾[٦] الآية يحتج بها[٧] على ما سبق في غير موضع من أن عصمة الأنبياء إنما هي من وقوع الكفر لا من جوازه ، وإلا لما كان لهذا النهي والوعيد عليه فائدة .

﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٨] وعيدي محكم مثل[٩] ﴿لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾[١٠] .

(١) سورة الشعراء ، آية (١٩٨- ١٩٩) .
(٢) سورة يونس ، آية (٩٧) .
(٣) سورة الأنعام ، آية (١١١) .
(٤) سورة الشعراء ، آية (٢٠٠-٢٠١) .
(٥) سورة الشعراء ، آية (٢١٢) .
(٦) سورة الشعراء ، آية (٢١٣) .
(٧) في ل : به .
(٨) سورة الشعراء ، آية (٢١٦) .
(٩) سقط من ل .
(١٠) سورة يونس ، آية (٤١) .

القول في سورة النمل

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾[١] نسب تزيين الكفر إليه ؛ فيحتج به الجمهور .

وأجاب المعتزلة : بأن ذلك جزاء على عدم إيمانهم لا ابتداء، وقد عرف . **وجوابه** : [﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[٢] احتج بها الاتحادية على أن اللّه - عز وجل- يظهر في المظاهر ؛ لأنه هٰهنا ظهر لموسى في النار ، ولذلك قال : ﴿ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[٣] مجد نفسه التي في النار ، وبارك على موسى الذي هو حولها ، ولأنه أخبر أن في النار من يعبر عنه بمن في قوله : ﴿ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴾[٤] ، ولا نعلم قائلاً بأنه كان فيها ملك ولا جان ولا إنس ؛ فتعين أنه هو الذي كان فيها .

والجمهور عندهم أن هذا لو صح لكان إما على جهة الاتحاد أو الحلول ، وكلاهما باطل تبرهن بطلانه عندهم .][٥]

﴿ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾[٦] قيل : هو استثناء منقطع . [وقيل : متصل ، فاحتج به من يرى جواز الظلم ونحوه من

---

(١) سورة النمل ، آية (٤) .
(٢) سورة النمل ، آية (٨) .
(٣) سورة النمل ، آية (٨) .
(٤) سورة النمل ، آية (٨) .
(٥) سقط من ل .
(٦) سورة النمل ، آية (١٠، ١١) .

الأنبياء .][1]

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[2] احتج[3] به الشيعة على أن الأنبياء يورثون ؛ ليبطلوا الحديث المشهور عن النبي ﷺ : « **إنا معاشر الأنبياء ، لا نورث ما تركنا صدقة** »[4] أخرجاه في الصحيحين وغيرهما ، وجه احتجاجهم منه قوله - عز وجل - في داود : ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[5] ثم قال ههنا : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[6] فدل على أن الملك الذي أوتيه داود هناك ورثه سليمان هٰهنا ، وإذا ثبت ذلك كان الحديث المشهور على خلاف نص / [١٥٠ب/ م] القرآن ، فيكون مردودًا .

واعترض الجمهور بوجهين :

أحدهما : أن المراد : وورث سليمان داود علمه وحكمته ، بدليل أن قبل ذلك ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ﴾[7] وبعده ﴿ وَقَالَ﴾[8] يعني سليمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾[9] .

الوجه الثاني : أن قوله - عز وجل - : ﴿ وَوَرِثَ/[٣١٨ل]

(١) في ل : قوله تعالى .

(٢) سورة النمل ، آية (١٦) .

(٣) في حاشية م : احتجاج الشيعة على توارث الأنبياء والرد عليهم ، وهو نفيس .

(٤) رواه البخاري (٣/١١٣٦ ، ٤/١٤٧٩ ، ١٤٨١ ، ١٥٤٩ ، ٥/٣٠٤٨ ، ٦/٢٤٧٤ ، ٢٤٧٥ ، ٢٦٦٣) . الأحاديث (٢٩٢٦ ، ٢٩٢٧ ، ٣٨٠٩ ، ٣٨١٠ ، ٣٥٠٨ ، ٣٩٩٨ ، ٥٠٤٣ ، ٦٣٤٦ ، ٦٣٤٧ ، ٦٣٤٩ ، ٦٨٧٥ البغا) . ورواه مسلم (٣/١٣٧٧ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٣) الأحاديث (١٧٥٧ ، ١٧٥٨ ، ١٧٥٩ ، ١٧٦١) .

(٥) سورة البقرة ، آية (٢٥١) .

(٦) سورة النمل ، آية (١٦) .

(٧) سورة النمل ، آية (١٥) .

(٨) سورة النمل ، آية (١٦) .

(٩) سورة النمل ، آية (١٦)

سُلَيْمَٰنُ ﴾[١] مطلق لا عموم له ، فيصدق بصورة تتأدى بها وظيفته ، وأجمعنا أنه ورثه العلم ، فلم يبق لإرث المال ما يقتضيه من اللفظ فتسقط[٢] دعواه .

وأجاب الشيعة عن الأول : بأنا لا نسلم أن المراد إرث العلم لوجهين :

أحدهما : أن إرث العلم مجاز ، والأصل في الإطلاق الحقيقة .

الثاني : أن سليمان كان قد أوتي من العلم أكثر من علم داود ، بدليل قوله – عز وجل – : ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ﴾[٣] وكان سليمان يستدرك على داود قضاياه ، كما في قصة[٤] المرأتين اللتين أخذ الذئب ابن إحداهما وغيرها ، فلم يكن له حاجة إلى إرث علم داود .

وأما قوله – عز وجل – [ ][٥] : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ﴾[٦] فحجة لنا ؛ لأنه يقتضي استغناء سليمان عن علم داود لكونه أوتي من العلم مثله . وقوله : ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾[٧] إما خاص بسليمان ؛ فيؤكد ما قلناه ، أو عام فيه وفي داود ، وهو لا يقتضي أنه ورثه .

---

(١) سورة النمل ، آية (١٦) .
(٢) في ل : فسقط .
(٣) سورة الأنبياء ، آية (٧٩) .
(٤) في ل : قضية .
(٥) بعده في م : فبله .
(٦) سورة الشعراء ، آية (١٥) .
(٧) سورة الشعراء ، آية (١٦) ، وفي م : وعلمنا ، بدل ﴿علمنا﴾.

وعن الثاني : بأنا لا نسلم أنه ورثه العلم ، وإنما ورثه عندنا الملك الذي أوتيه وبه تأدت وظيفة اللفظ .

قالوا : ومما يقدح في الحديث أن أهل السير اتفقوا على أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مياسير ذوي ثروة . من إبل وغنم وكراع وأثاث ، ثم إن بعضهم ورث بعضًا ، ولم ينقل قط أن(١) أحدًا منهم قال : تصدقوا بتركتي ؛ فإني لا أورث ، ولو كان ذلك(٢) مشهورًا لكان متواترًا عن الأنبياء كمعجزاتهم(٣) .

---

(١) سقط من ل .

(٢) سقط من ل .

(٣) الدال على الاشتراك لا يدل على ما به الامتياز ، فإذا قيل : هذا حيوان ، لا يدل على أنه إنسان أو فرس أو بعير ، ولفظ (الإرث) يستعمل في إرث النبوة والملك وغير ذلك ، كما في قوله : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾ وقوله : ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس﴾ وقوله : ﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ وقال النبي - صلى الليه عليه وسلم - : « إن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» رواه أبو داود وغيره ، فقوله ﴿وورث سليمان داود﴾ كقوله : ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ يدل على جنس الإرث لا يدل على إرث المال ، فالمستدل به على إرثه جنس المال جهل منه بوجه الدلالة ، كما إذا قيل: هذا خليفة هذا ، لم يكن دالاً على أنه خلفه في ماله أو امرأته أو ملكه أو غير ذلك ، ثم يقال : ههنا ليس ثمة اختصاص لسليمان -عليه السلام- بإرث داود المالي ، فإن داود - عليه السلام- كان له أولاد كثيرون ، فلا يختص سليمان بماله إن ورث دونهم ، كما أن الآية في سياق المدح ، وليس إرث المال مدحًا ، فإن اليهودي والنصراني يرث أباه ، وليس هذا بمدح ، فالإرث من الأمور المشتركة العادية ، كالطعام والشراب بين الناس ، وليس ثمة فائدة في قص هذا

ثم كون سليمان -عليه السلام- آتاه اللّه علمًا لا يمنع أن يرث علمًا آخر من داود عليه السلام ، ويكون هذا مما فضله اللّه تعالى به ، وهذا أيضًا على تقدير أنه أعلم من داود ، كما أن وارث المال لا يشترط أن يكون أفقر من مورثه ، فكذلك وارث العلم ، فليس في الآية بحمد اللّه مخالفة للحديث الصحيح الذي جاء عن جمع من الصحابة «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » فقد رواه أبو بكر وعمر ، وعثمان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، والعباس=

وقصد الشيعة [لعنهم الله][١] بذلك تظليم الشيخين بمنع فاطمة إرثها من أبيها ، والعباس [إرثه من][٢] ابن أخيه ﷺ اعتمادًا على حديث هو على خلاف نص أو ظاهر القرآن . وبين الطائفتين فيه بحث طويل قد سبقت[٣] نبذة جيّدة منه في أول سورة مريم .

﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[٤] يحتج به ، وبقوله - عز وجل - : ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[٥] على[٦] تخصيص العموم بالحسّ ؛ لأنه من المدرك حسًّا أن بلقيس هذه لم تؤت من ملكوت السماوات شيئًا ، وكذلك الريح لم تدمر السماوات والأرض والجبال . والأشبه أن يجعل ذلك من /[١٥١أ/م] باب العام أريد به الخاص ، وهو خصوص ما أوتيته هذه ودمرته الريح .

= وأبو هريرة ، ومالك بن أوس بن الحدثان ، وعائشة ، زاد الترمذي : وطلحة ، وحسبك بحديث يرويه جل العشرة بما فيهم عليّ ، وأخرجه أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن ، وتلقوه بالقبول ، وهذا يدل على تواتره لفظًا ومعنى ، بل وفي رواية مسلم عن مالك بن الحدثان أن عمر اجتمع عنده عثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير وسعد ، وكذلك علي والعباس ، فاستنشدهم الله الذي بإذنه تقوم السماوات والأرض على علمهم بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال : «لا نورث ما تركنا صدقة» فصدقوه بما في ذلك علي ، رضي الله عنه .

ولو كان المراد بإرث سليمان داود الملك ، لم يكن هذا بقادح في الحديث أيضًا ، لأن الحديث على وراثة المال بدليل لفظ «صدقة» فيه ، وأما الادعاء بأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط توارثوا فهو خبر بغير خطام ولا زمام ، بل ولا سبيل لثبوته ألبتة فلا يلتفت إليه ، بل كونهم مياسير حتى وفاتهم أمر يحتاج إلى دليل ، ولا سيما أنه أصابت أبناء يعقوب الفاقة حتى أكرمهم الله بيوسف ، والله أعلم (خ).

(١) سقط من ل .

(٢) مكرر في ل .

(٣) في م : سبق .

(٤) سورة النمل ، آية (٢٣) .

(٥) سورة الأحقاف ، آية (٢٥) .

(٦) زيادة من ل .

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[1] أي بالوسوسة ، واللَّه - عز وجل - زينها لهم خلقًا ، أي خلقها بما خلق[2] فيهم من دواعيها ؛ لقوله - عز وجل - : ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾[3] .

﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[4] قيل : أي منتظرة . ويستشهد به المعتزلة على أن ناظرة في قوله - عز وجل - : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[5] بمعنى منتظرة ، أي تنتظر نعم ربها ؛ لئلا يلزمهم ثبوت[6] الرؤية .

ويجاب بأن قولها : ﴿ فَنَاظِرَةٌۢ﴾[7] معناه فرائية بم يرجع . كما يقال : قد أرسلت إلى فلان بكذا لأنظر ، أي لأرى ما يكون منه ، وهي رؤية عين أو قلب ، فيسقط استشهادهم .

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾[8] إلى قول الآخر : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[9] فيه أن التصرف بالقدرة أعظم/[٣١٩ل] من التصرف بالأقدار ؛ لأن تصرف العفريت لو وقع كان[10] بإقدار اللَّه - عز وجل - له عليه ، وتصرف الذي عنده علم من الكتاب كان بقدرة اللَّه - عز وجل - بواسطة اسمه

(١) سورة النمل ، آية (٢٤) .
(٢) في م : خلق .
(٣) سورة الأنعام ، آية (١٠٨) .
(٤) سورة النمل ، آية (٣٥) .
(٥) سورة القيامة ، آية (٢٣) .
(٦) سقط من ل .
(٧) سورة النمل ، آية (٣٥) .
(٨) سورة النمل ، آية (٣٩) .
(٩) سورة النمل ، آية (٤٠) .
(١٠) في ل : لكان .

الأعظم ، فلذلك كان أسرع وأعظم .

﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾[١] فيه جواز وصف اللَّه - عز وجل - بالمكر ، وهو بلوغ المقصود بطريق لطيف يخفى على الخصم ، ثم إن المخلوق إنما يستعمل المكر غالبًا لعجزه عن بلوغ المقصود مجاهرة ، واللَّه - عز وجل - يفعله على طريق الحكمة وإقامة الحجة ونحوه ، لا عجزًا عن المجاهرة ؛ إذ لا يعجزه شيء[٢] .

قوله - عز وجل - : ﴿ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[٣] إلى قوله - عز وجل - : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٤] تضمن ذلك نحو خمس عشرة آية من آيات اللَّه - عز وجل - يحتج بها على وحدانيته ونفي الشريك له ، وأنه الإله الحق لا غيره .

ونظم الدليل منه هكذا : إن اللَّه - عز وجل - يفعل هذه الأفعال ، وكل من فعل ذلك فهو الإله الحق لا غيره ، فاللَّه - عز وجل - هو الإله الحق لا غيره .

---

(١) سورة النمل ، آية (٥٠) .

(٢) أحسن المصنف ههنا في قوله بأن مكر اللَّه يفعله على طريق الحكمة ، وإقامة الحجة ، ونحوه ، لكن لا يقال : «جواز وصف اللَّه بالمكر ، بل يقال : «وجوب» لأنه إذا وصف اللَّه نفسه بصفة وجب علينا وصفه بها ، فإن هذا من تمام الإيمان ، وليس هذا من باب المشاكلة أو المقابلة ، كما قد يقع في كلام بعض الناس ، فإن هذا نفي للصفة ، بل قد جاء وصف اللَّه به بغير تقابل في اللفظ في قوله : ﴿أفأمنوا مكر اللَّه﴾ ولذلك فنحن نثبت المكر اللائق باللَّه صفة قائمة به من صفات الفعل على الوجه الأكمل اللائق بكماله سبحانه (خ).

(٣) سورة النمل ، آية (٥٩ - ٦٠) .

(٤) سورة النمل ، آية (٦٤) .

أو يقال : لا شيء من آلهتكم [تفعل هذه الأفعال ، والإله الحق يفعل هذه الأفعال ، فلا شيء من آلهتكم][١] بإله حق .

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢] الآية[٣] إنما كان كذلك ؛ لأن مدار علم الغيب على كمال القدرة والإرادة والعلم ، وهذا الكمال مختص باللَّه - عز وجل - فلذلك اختص بعلم الغيب .

وبيان ذلك : أن اللَّه - عز وجل - إذا أراد إيقاع المطر مثلاً بعد شهر وإرادته / [١٥١ب/م] [ ][٤] لا معارض لها يمنعها عن إيقاعه بعد الشهر وقدرته على ذلك تامة لا عجز يلحقها ، وعلم أنه لا ينسخ هذا الحكم ولا يلحقه فيه بداء علم قطعًا وقوع المطر بعد شهر ، وهكذا علم الغيب في سائر الصور ، [ولو كان مثل هذه الإرادة والقدرة والعلم لأحد من الخلق لعلم الغيب قطعًا ، لكن ذلك في المخلوق غير موجود][٥] و[٦] إنما هو من خواص واجب الوجود - سبحانه وتعالى .

﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[٧] يعني من في السماوات والأرض لا يعلمون متى البعث ؛ لأنه عند قيام الساعة وقيام الساعة من مفاتح الغيب الخفي علمها عن الخلق .

---

(١) سقط من ل .
(٢) سورة النمل ، آية (٦٥) .
(٣) سقط من ل .
(٤) في م : تامة .
(٥) سقط من ل .
(٦) سقط من ل .
(٧) سورة النمل ، آية (٦٥) .

﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾[١] هذا إنكار منهم للبعث ، وسبق نظيره في «المؤمنون» ، ودليله في النحل ، وتقريره يأتي بعد إن شاء اللّه عز وجل .

﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾[٢] يستدل به على زيادة اللام ؛ إذ تقديره : ردفكم ، ويحتمل أنه ضمّن ردف معنى بدا أو غيره مما يتعدى باللام ، أي : بدا أو ظهر لكم ، ولا يحتاج إلى حمله على الزيادة لأنها خلاف الأصل .

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾[٣] [إن قال قائل : وقد وجهتم كيفية علم الغيب في الأشياء الخارجة ، فكيف توجيه علمه بذات الصدور الباطنة ؟ قلنا : قد][٤] اختلف في توجيهه ، فالمتكلمون [وسائر أهل الحق][٥] قالوا : لأن علمه كامل ، وهو صفة قديمة قائمة بذاته عامة التعلق بالمعلومات الظاهرة والباطنة ، الكلية والجزئية ، كما أن إرادته عامة التعلق بالمرادات ، وقدرته عامة التعلق بالمقدورات .

والفلاسفة والمعتزلة لما كانوا يرون أن لا علم زائد على مفهوم ذاته ؛ قالوا : إن ذاته لما[٦] استغرقت الأزل والأبد وجودًا كذلك استغرقت ما بينهما من المعلومات علمًا ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[٧] .

(١) سورة النمل ، آية (٦٧) .
(٢) سورة النمل ، آية (٧٢) .
(٣) سورة النمل ، آية (٧٤) .
(٤) سقط من ل .
(٥) زيادة من ل .
(٦) في ل : كما .
(٧) سورة الأعراف ، آية (٨٩) .

[وزعموا أن الفرق بينه وبين غيره في عموم العلم وخصوصه هو هذا ، وهو أن علمه بالأشياء بذاته ، فعم علمه وعلم غيره بصفة زائدة على مفهوم ذاته ، فخص علمه بعض المعلومات دون بعض .

وقد سبق الكلام معهم في هذه المسألة .

وزعم بعض الأوائل : أن أرواح الخلق تعرج إليه كل يوم وليلة حال النوم ، فتفضي إليه بما تكنه الصدور ، ويأمرها بما يحرك به القلوب . كما حكاه ميخا النبي أو غيره من أهل الكتب الاثنى عشر في (مراميه)

وأما الاتحادية فعندهم : أنه سار بذاته في الخلق ؛ فلذلك يعلم ما تكنه الصدور /[١٥٢أ/م] وتوسوس به النفوس ، واستدلوا بنحو : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾(١) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾(٢) وغيره مما سبق من حجتهم في سورة الأنعام ، فهذا ما حضرنا الآن في هذا الجواب . والأقرب إلى تنزيه اللّٰه - عز وجل - وأدلة الشرع - هو قول المتكلمين ، وهو مذهب المسلمين .](٣)

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٤) اعلم أن علمه - عز وجل - سبق بالكائنات/[٣٢٠ل] في الأزل ، ثم أثبتها في الكتاب المبين وهو اللوح المحفوظ على وفق علمه الذاتي، أو كما شاء ثم(٥) إنها في الواقع تقع على مطابقة ما سبق في العلم الأزلي

---

(١) سورة الواقعة ، آية (٨٥) .

(٢) سورة ق ، آية (١٦) .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة النمل ، آية (٧٥) .

(٥) في م في

والكتاب المبين .

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾[١] الآية هذه من غائبات القرآن الواجب وقوعها ، ومن معجزات النبي ﷺ وإخباره بالغائبات التي لا بد من وجودها .

يقال : إن هذه الدابة عظيمة ارتفاعها في السماء ثلاثة أيام ، تسم المؤمن والكافر بصفتهما .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا ﴾[٢] يحتج به الظاهرية في العقائد ويقولون : إن اللّه - عز وجل - خاطبنا من صفات ذاته بما لا نحيط به ، فيجب علينا الإيمان بظاهره .

ويجاب عنه : بأن ذلك متشابه ، وقوله - عز وجل - : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾[٣] محكم ، فيجب رد المتشابه إليه واستعمال التنزيه عما لا يليق بجلاله - عز وجل - .

﴿ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[٤] يحتج به القدرية لنسبة الضلال إلى المكلف ومقابلته بالإنذار ، وقد عرف جوابه .

---

(١) سورة النمل ، آية (٨٢) .

(٢) سورة النمل ، آية (٨٤) .

(٣) سورة الشورى ، آية (١١) .

(٤) سورة النمل ، آية (٩٢) .

القول في سورة القصص

﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾[١] هذه لام العاقبة . أي : لتكون عاقبتهم ذلك ؛ نحو :

لدوا للموت وابنوا للخراب . . . .

﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾[٢] أي : ثبتناها عن الإبداء بأمر موسى . وذلك لما ألهمناها وخلقناه في قلبها من دواعي الكتمان والصوارف عن الإذاعة . واستعارة الربط [هٰهنا][٣] من بديع الاستعارة تشبيهًا للقلب بوعاء ربط لحفظ ما فيه .

ويحتج الجمهور بهذا ؛ لأن اللّه - عز وجل - إذا كان له من التصرف في القلوب أن يربط عليها ويطلقها - كان له من التصرف فيها أن يهديها ويضلها .

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[٤] فيه تعليل أفعاله - عز وجل - / [١٥٢ب/م] بالحكم والمقاصد .

﴿ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[٥] احتج به الشيخ

---

(١) سورة القصص ، آية (٨) .
(٢) سورة القصص ، آية (١٠)
(٣) في ل هنا
(٤) سورة القصص ، آية (١٣)
(٥) سورة القصص ، آية (١٥)

شمس الدين الجزري شارح المنهاج في أصول الفقه على الشيخ تقي الدين ابن تيمية - فيما قيل عنه إنه قال : لا يستغاث برسول الله ﷺ ؛ لأن الاسغاثة بالله - عز وجل - من خصائصه وحقوقه الخاصة به[١] ؛ فلا تكون لغيره كالعبادة .

وتقرير الحجة المذكورة : أنه قال : يجب أن ينظر في حقيقة الاستغاثة ما هي ، وهي الاستنصار[٢] والاستصراخ ، ثم قد وجدنا هذا الإسرائيلي استغاث بموسى واستنصره واستصرخه بنص هذه الآيات ، وهي استغاثة مخلوق بمخلوق ، وقد أقر موسى عليها الإسرائيلي ، وأقر الله - عز وجل - موسى على ذلك ، ولم ينكر محمد ﷺ ذلك لما نزلت عليه هذه الآية[٣] . أي[٤] فكان هذا إقرارًا من الله - عز وجل - ورسوله على استغاثة المخلوق بالمخلوق ، وإذا جاز أن يستغاث بموسى فبمحمد ﷺ/[٣٢١ل] أولى ؛ لأنه أفضل بإجماع .

ومما يحتج به على ذلك حديث هاجر أم إسماعيل حيث التمست الماء لابنها ؛ فلم تجد ، فسمعت حسًا في بطن الوادي ، فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث . وهذا في معنى الاستغاثة منها بجبريل ، وقد أقرها على ذلك ولم ينكره النبي ﷺ عليها لما حكاه عنها .

ولأن اعتقاد التوحيد من لوازم الإسلام ، فإذا رأينا مسلمًا يستغيث

---

(١) زيادة من ل .

(٢) في م : الانتصار .

(٣) في ل : الآيات .

(٤) سقط من ل .

بمخلوق علمنا قطعًا / [١٥٣أ/م] أنه غير مشركٍ لذلك المخلوق مع اللّه عز وجل ، وإنما ذلك منه طلب مساعدة ، أو توجه إلى اللّه ببركة ذلك المخلوق ، وإذا استصرخ الناس في موقف القيامة بالأنبياء ليشفعوا لهم في التخفيف عنهم ، جاز استصراخهم بهم في غير ذلك المقام ، وقد صنف الشيخ أبو عبد اللّه بن النعمان كتابًا سماه « مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام » واشتهر هذا الكتاب وأجمع أهل عصره على تلقيه منه بالقبول ، **وإجماع أهل كل عصرٍ حجة** ، فالمنكر لذلك مخالف لهذا الإجماع ؛ فإن قيل : الآية المذكورة في قصة موسى والإسرائيلي ليست في محل النزاع من وجهين : **أحدهما** أنِ موسى حينئذٍ كان حيًّا ، ونحن إنما نمنع من الاستغاثة بميت . **الثاني** أن استغاثة صاحب موسى به كان في أمرٍ يمكن موسى فعله وهو إعانته على خصمه وهو أمر معتاد ، ونحن إنما نمنع من الاستغاثة بالمخلوق فيما يختص فعله باللّه - عز وجل - كالرحمة والمغفرة والرزق والحياة ، ونحو ذلك : فلا يقال : يا محمد ، اغفر لي أو ارحمني أو ارزقني أو أجبني[1] أو أعطني مالاً وولدًا ؛ لأن ذلك شرك بإجماع .

وأجيب عن الأول بأن الاستغاثة إذا جازت بالحي فبالميت المساوي - فضلاً عن الأفضل - أولى ؛ لأنه أقرب إلى اللّه - عز وجل - من الحي لوجوه :

أحدها : أنه في دار الكرامة والجزاء ، والحي في دار التكليف.

الثاني : أن الميت تجرد عن عالم الطبيعة القاطعة عن الوصول إلى

---

(١) في ل : أحييني .

عالم الآخرة ، والحي متلبس[١] بها .

الثالث : أن الشهداء في حياتهم محجوبون ، وبعد موتهم أحياء عند ربهم يرزقون .

وعن الثاني : أن ما ذكرتموه أمر مجمع عليه معلوم[٢] عند صغير المسلمين - فضلاً عن كبيرهم - أن المخلوق على الإطلاق لا يطلب منه ولا ينسب إليه فعل ما اختصت القدرة الإلهية به ، وقد رأينا أغمار الناس وعامتهم وأبعدهم عن العلم والمعرفة يلوذون بحجرة النبي ﷺ ولا يزيدون على أن يسألوا الشفاعة والوسيلة : [يا رسول اللّه][٣] ، اشفع لنا ، يا اللّه ببركة نبيك اغفر لنا : فصار الكلام في المسألة المفروضة فضلاً لا حاجة بأحد من المسلمين إليه .

وإذا لم يكن بد من التعريف بهذا الحكم خشية أن يقع فيه أحد ، فليكن بعبارة لا توهم نقصًا في النبي ﷺ ولا غضًا من منصبه ، مثل أن يقال : ما استأثر اللّه - عز وجل - بالقدرة عليه، فلا يطلب من مخلوق /[٣٢٢ل] على الإطلاق أو نحو هذا ولا يتعرض للنبي ﷺ بسلب الاستغاثة عنه مطلقًا ولا مقيدًا[٤]، ولا يذكر إلا بالصلاة

---

(١) في ل : ملتبس .

(٢) سقط من ل .

(٣) في ل : برسول اللّه .

(٤) كلام المصنف ههنا يدور حول ما يتعلق بمقام النبي - صلى اللّه عليه وسلم - وإن إطلاق القول بأنه «لا يستغاث برسول اللّه لأن فيه نقصًا لمقامه» - صلى اللّه عليه وسلم - فليس بصواب ، وإلا لكان سلب ربوبية أو إلهية النبي - صلى اللّه عليه وسلم - تنقصًا له ، أو وصفه بالبشرية يكون تنقصًا له ، فكما أن هذا ليس بنقص فكذلك الآخر ، وسؤال النبي - صلى اللّه عليه وسلم - بعد موته ذريعة للشرك ، كما أن والتوسل به بدعة لم ترد ، وكل بدعة ضلالة ، ومن أحدث في هذا الدين ما ليس منه فهو رد ، كما هو منصوص الأثر ، ولا نسلم بأن الاستغاثة إذا جازت بالحي فبالميت المساوي ، فضلاً عن الأفضل ، أولى ، بل هذا باطل قطعًا ، فإن الإسرائيلي استغاث بموسى وهو حي حاضر قادر ، =

والسلام عليه ، والرواية عنه ، ونحو ذلك .

هذا حاصل ما وقع في هذه المسألة ، سؤالاً وجوابًا ، ذكرته بمعناه وزيادات من عندي .

﴿ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾[١] يحتج به المعتزلة في نسبة خلق الأفعال إلى المخلوق : لأن موسى نسب قتله القبطي إلى الشيطان بأنه من عمله .

وأجيب بأن معناه ، هذا من جنس عمل الشيطان ، أو مما وسوس به [وزينه][٢] الشيطان ونحو ذلك ، وإلا فقتل القبطي مخلوق لموسى عندكم [على][٣] الحقيقة ، وعندنا للَّه - عز وجل - فلم يبق للشيطان إلا التزيين والوسوسة ، ولموسى إلا الكسب عندنا .

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴾[٤] أي بكسب القتل عندنا وبخلقه عندهم .

﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾[٥] فسر الاستغاثة السابقة

= ولم يستغث بإبراهيم وهو أفضل من موسى عليهما السلام ، وأم إسماعيل طلبت الغوث ممن سمعت صوته ولم تطلبه من إبراهيم -عليه السلام- أو ممن سبق من الأنبياء ممن مات ، أو ليس بحاضر فليس في القصة دلالة على المدعى موضع النزاع ؛ فتنبه لذلك يزح عنك إشكالات كثيرة ، والله أعلم .

وللفائدة أنقل كلامًا لشيخ الإسلام في رسالة الاستغاثة (كما بالرسائل الكبرى ١/ ٤٨٥) يقول في ذلك : «والاستغاثة بمعنى أن يطلب من الرسول ما هو اللائق بمنصبه لا ينازع فيها مسلم ، ومن نازع في هذا المعنى فهو إما كافر إن أنكر ما يكفر به ، وإما مخطئ ضال ، وأما بالمعنى الذي نفاه رسول الله ﷺ فهو أيضًا مما يجب نفيها ، ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فهو أيضًا كافر إذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها » اهـ . (خ)

(١) سورة القصص ، آية (١٥) .

(٢) سقط من ل

(٣) في ل : في

(٤) سورة القصص ، آية (١٦)

(٥) سورة القصص ، آية (١٨)

بالاستنصار /[١٥٣ب/م] والاستصراخ فدل على أنها مترادفة على معنى واحد ، كما سبق ذكره .

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِىِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾[١] الآية يحتج بها الصوتية لأن المنادي هاهنا هو اللَّه - عز وجل - بنفسه ، بدليل ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢] والنداء لا يعقل إلا بحرف وصوت.

وأجاب الخصم باحتمال أن النداء بواسطة ملك حاكٍ ؛ لقوله : ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾[٣] أو يكون موسى غاب عن حسه فأدرك النداء بلا صوت ولا حرف في الخارج كما يدرك النائم الكلام كذلك ، ولو صح قول الصوتية للزم أن اللَّه - عز وجل - جسم في ذاته أو أنه يتطور في الأجسام إذا شاء ويتخذها مظهرًا له على رأي الحلولية أو الاتحادية ، وإنه باطل ؛ لأن الجسمية من لوازم الصوت قطعًا .[٤]

﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ ﴾[٥] البرهان هو الحجة المركبة من مقدمتين قاطعتين ، وعصى موسى ويده البيضاء كذلك ؛ إذ يقال في كل واحدة منهما : هذا خارق للعادة ، وكل خارق للعادة معجز يدل على صدق صاحبه ، فهذا معجز يدل على صدق موسى .

---

(١) سورة القصص ، آية (٣٠) .

(٢) سورة القصص ، آية (٣٠) .

(٣) سورة القصص ، آية (٣٠) .

(٤) هذا ليس بمسلم ، وقد ثبت الصوت صراحة في الحديث الصحيح : «ينادي بصوت» وفي الحديث أن الملائكة تخضع لصوته بأجنحتها كأنه سلسلة على صفوان ، وهو المعلوم من لغة العرب من النداء والنجاء ، وكذا ثبت الحرف في الحديث : « ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » وتتساقط دعاوى الجسمية بعد ذلك ، فكما أن للَّه ذاتًا لا تشابهها الذوات فكذلك صفاته لا تشابهها الصفات ، ولا يتجاوز القرآن والحديث (خ) .

(٥) سورة القصص ، آية (٣٢) .

﴿وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾[١] هذا مما تناقض[٢] به الشيعة [لعنهم اللّه][٣] حيث قالوا : إن قوله ﷺ لعلي[٤] : «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى** »[٥] أثبت له المنازل الهارونية . فيقال لهم : فيجب أن يكون علي أفصح منه ، كما كان هارون أفصح من موسى . فإن التزموا ذلك فهو خلاف الإجماع ، وخلاف قوله ﷺ : « **أنا أفصح من نطق بالضاد**»[٦] وإن لم يلتزموه انتقضت دعواهم ، اللّهم إلا أن يمنعوا كون الفصاحة منزلة من المنازل ، أو يسلموا ذلك ويدعوا تخصيصها بدليل كالنبوة ، مع أن كثيرًا منهم يزعم أن كلام علي في النهج وغيره أفصح الكلام بعد القرآن[٧] .

﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَـٰهَـٰمَـٰنُ/[٣٢٣ل] عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ ﴾[٨] الآية[٩] يحتج بها أصحاب الجهة كما سبق .

﴿فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾[١٠] إلى ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾[١١] إلى قوله : ﴿ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾[١٢] هذا كله

---

(١) سورة القصص ، آية (٣٤) .
(٢) في ل : يناقض .
(٣) سقط من ل .
(٤) سقط من ل .
(٥) تقدم (٢/ ٢٣٣) .
(٦) أورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٢٨) وقال : لا أصل له . وانظر كشف الخفا (١/ ٢٠٠ - ٢٠١) ، ونقل عن السيوطي أنه قال في اللآلئ : معناه صحيح ، ولكن لا أصل له ، وهو في الفوائد المجموعة (ص ٣٢٧) .
(٧) هذا والنهج منسوب له ، ليس له إسناد صحيح ، فكيف يخالف بذلك الإجماع؟! (خ) .
(٨) سورة القصص ، آية (٣٨) .
(٩) سقط من ل .
(١٠) سورة القصص ، آية (٤٠) .
(١١) سورة القصص ، آية (٤١) . وفي ل : يهدون . بدل ﴿يدعون﴾ .
(١٢) سورة القصص ، آية (٤٢) .

يتناول بعمومه فرعون مع جنوده وهو قاطع في الرد على من زعم أنه مات مؤمنًا إيمانًا اختياريًا[١] نافعًا[٢].

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾[٣] إلى ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾[٤] هذا استدلال على صدق محمد - عليه الصلاة والسلام - وتقريره كما سبق في ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾[٥] أي أنت لم تشهد موسى حين أوحينا إليه ، ولا كتبت ولا دارست ولا أخبرت / [١٥٤أ/ م] ، فما[٦] قصصت خبره على وجهه إلا برحمة[٧] من ربك وهو الوحي.

واعلم أن في التوراة : أن إسحاق أو يعقوب جرى له في سقي الغنم ولقاء المرأتين ، ونكاح امرأة ونحوه شبيهًا بما تضمنته هذه السورة مما جرى لموسى مع ابنتي شعيب . وليست قصة موسى على هذا[٨] السياق في التوراة ، فاليهود إذا سمعوا قراء المسلمين يقرءون سورة القصص تغامزوا بينهم ، أي انظروا كيف اشتبهت القصة على محمد أو على من لقنه فحرفها وبدلها ؛ لأنها عندهم قصة إسحاق أو

---

(١) في ل : اختيارًا .

(٢) يشير إلى ابن عربي ومن وافقه والاتحادية على أن هذا كان مظهرًا مجلوًا للرب -تعالى الله ، عما يقولون علوًا كبيرًا (خ) .

(٣) سورة القصص ، آية (٤٤) .

(٤) سورة القصص ، آية (٤٦) .

(٥) سورة آل عمران ، آية (٤٤) .

(٦) في ل : فيما .

(٧) في ل : رحمة .

(٨) سقط من ل .

يعقوب ، وأنا رأيتهم ينظر بعضهم إلى بعض [في بعض][١] الأسواق ، وقارئ ضرير يقرأ هذه القصة .

والجواب : أن ما ذكروه غير لازم ؛ لجواز أن القصة حرفت في التوراة عن موسى إلى غيره . والتوراة أولى بالتحريف لوجوه :

أحدها : تقادم عهدها .

الثاني : إحراق بخت نصر لها حتى لم يجدوها إلا عند عزير ، فأملاها عن ظهر قلب ، فزعموا أنه ابن اللّه لذلك على ما قيل .

الثالث : أن أحبارهم حرفوا منها كثيرًا من صفات محمد ﷺ وأحواله الدالة على نبوته استزلالاً لعامتهم أن يؤمنوا ، واستدامة للرياسة عليهم ، فلعلهم حرفوا هذه القصة إلى إسحاق لما سمعوها في القرآن مضافة إلى موسى إيقاعًا للريبة في قلوب عوامهم .

وقد رأيت لأبي الفخر[٢] الإسكندري النصراني - وكان يهوديًا فتنصر - أو لغيره جزءًا جمع فيه ما حرفه اليهود من التوراة ، تحريف تبديل لا تحريف تأويل ، رأيت هذا الجزء عند أبي البشائر بن فرج اللّه النصراني الحكيم بقوص من بلاد الصعيد .

سلمنا أن القصة لم تحرف في التوراة ، لكن جاز أنها جرت لإسحاق وموسى جميعًا ، فذكرت عن إسحاق في التوراة وعن موسى في القرآن دون التوراة ، على حسب اختيار المتكلم أو حكمته أو الداعي إلى ذلك .

ومع هذا الاحتمال لا يجوز القطع بالتحريف على أحد الموضعين .

---

(١) سقط من ل .

(٢) في ل : الفرج

كيف وإن عبد الله بن سلام أعلم اليهود/[٣٢٤ل] بالتوراة ومن تابعه منهم - مع علمهم بسورة القصص - لم يمتنعوا من الإسلام ، ولو صح عندهم ما قلتم لامتنعوا منه ، بل قامت عندهم براهين النبي ﷺ من التوراة وغيرها من كتب الأولين : فأسلموا .

قوله - عز وجل - : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[١] الآية احتج بها بعض أهل الذمة في كتاب له على أن محمدًا إنما أرسل إلى العرب : لأنهم هم الذين ما أتاهم من نذير قبله ، أما / [١٥٤ب/م] بنو إسرائيل فالنذر والرسل قبله فيهم كثير .

وجوابه من وجهين :

أحدهما : أن المراد ما أتاهم من نذير من قبلك في هذه الفترة التي بينك وبين المسيح ، فطال العهد وحرفت الكتب ودخلت الملل ، فاحتيج إلى رسول يرشد الناس إرشادًا خالصًا من الريب ، وإليه الإشارة بقوله - عز وجل - : ﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾[٢] .

الوجه الثاني : هب أن المراد بالقوم الذين لم يأتهم نذير قبله هم العرب ، لكن ليس في الآية ما يقتضي تخصيص إرساله إليهم إلا بطريق مفهوم ضعيف ، لكن ذلك المفهوم لا يعارض نصوص القرآن في عموم الدعوة ، ثم إن من اعترف برسالته إلى العرب لزمه القول بعموم دعوته ؛ لأن مطلق رسالته ولو إلى قبيلة من العرب يستلزم صدقه ، وقد تواتر عنه أنه ادعى عموم الدعوة ، فيجب قبول ذلك منه

---

(١) سورة القصص ، آية (٤٦) .

(٢) سورة القصص ، آية (٤٥) .

لثبوت رسالته المطلقة ، أو مطلق رسالته .

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ[١] ﴾[٢] الآية سبق نظيرها في إقامة الحجة بإرسال الرسل في آخر « طه » و«النساء» .

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[٣] الآية سياق ما قبلها يقتضي أنها في أهل الكتاب ؛ لأنه قسمهم قسمين :

أحدهما : معاند للقرآن منكر له ،وهو المذكور في قوله - عز وجل - ﴿ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ ﴾[٤] إلى ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[٥]

والثاني : مؤمن بالقرآن . وهم مؤمنو أهل الكتاب ، وهو المراد بقوله - عز وجل - : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[٦] إلى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾[٧] إلى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٨] وهؤلاء كعبد اللّه بن سلام وأصحابه ، ثم جاءت هذه الآية مشتركة بين القسمين ، فقوله - عز وجل - ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾[٩] إشارة إلى القسم الأول الضال منهم ، وقوله - عز

---

(١) زيادة من ل
(٢) سورة القصص ، آية (٤٧)
(٣) سورة القصص ، آية (٥٦)
(٤) سورة القصص ، آية (٤٧)
(٥) سورة القصص ، آية (٥١)
(٦) سورة القصص ، آية (٥٢)
(٧) سورة القصص ، آية (٥٤)
(٨) سورة القصص . آية (٥٥)
(٩) سورة القصص ، آية (٥٦)

وجل- : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1] الآية إشارة إلى القسم الثاني المهتدي منهم ، فهذا كلام متجه بشهادة ظاهر الكتاب ، غير أن الحديث الصحيح ورد بأن هذه نزلت في أبي طالب حين أحب النبي ﷺ إسلامه ودعاه إلى الإسلام عند موته ، فالمشهور أنه امتنع ومات على ملة عبد المطلب .

وحكى ابن إسحاق أنه نطق/[٣٢٥ل] بكلمة الشهادة قبل خروج روحه والعباس عنده فسمعه ، فقال للنبي ﷺ : إنه قد أسلم . فقال النبي ﷺ : « **ما سمعت شيئًا** »[2] فلما اختلف النقل في ذلك اختلفت [أهل][3] السنة والشيعة في ذلك ، فقال الجمهور : إنه مات كافرًا ، واحتجوا بوجوه :

أحدها : هذه الآية نزلت بسببه ، وهي تقتضي عدم إسلامه / [١٥٥أ/م] لأن النبي ﷺ كان يحب إسلامه ، والآية تضمنت أنه لا يهدي من أحب .

الثاني : الحديث الصحيح أنه ﷺ قيل له : إن أبا طالب كان يحوطك ، فهل تنفعته[4] بشيء ؟ قال : « **نعم ، هو في ضحضاح من النار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار** »[5] وفي حديث آخر : « **في رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه**»[6].

---

(١) سورة القصص ، آية (٥٦) .

(٢)

(٣) زيادة من ل .

(٤) في م : نفعته .

(٥) رواه البخاري (٣/١٤٠٨ ، ٥/٣٣٩٣) ، حديث (٣٦٧٠ ، ٥٨٥٥ البغا) ، ومسلم (١/ ١٩٤) حديث (٣٠٩) .

(٦) رواه أحمد (١/ ٢٩٥) (٢٦٩٠) .

الثالث : ما جاء في بعض الآثار أن أبا طالب لما مات جاء علي إلى النبي ﷺ فقال : إن عمك الشيخ الضال قد مات . قال : «**فاذهب فواره**»[١] ثم أمر عليًا بعد ذلك بالغسل ، ولولا أنه مات كافرًا لما سماه ابنه علي ضالًا ، ولا أقره النبي ﷺ على ذلك ، ولا تخلف عن شهود أمره ولا أمر عليًا بالاغتسال من غسله .

الرابع : أنه روي أن النبي ﷺ لما رفع سرير أبي طالب عارضه النبي ﷺ وقال : « **وصلتك رحم يا عم** »[٢] ولم يتبعه ، ولو مات مسلمًا لكان أحق وأفضل من تبعه لما كان يحوطه وينصره ويشفق عليه .

وقالت الشيعة : إنه مات مسلمًا ، واحتجوا بوجوهٍ :

أحدها : قوله - عز وجل - : ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣] قالوا : ولا يقدر أحد يدعي أن أحدًا نصر محمدًا ﷺ ووقره نصرة أبي طالب له حين لا ناصر من الخلق سواه ، حتى حارب قريشًا بأسرها في نصرته ، وقد فصل في السير المعتبرة من ذلك ما لا نطيل بذكره[٤] ،

(١) رواه أبو داود في الجنائز (٣/ ٢١٤) حديث (٣٢١٤) ، والنسائي في الجنائز (١/ ١١٠) حديث (١٩٠) ، وفي الكبرى (١/ ١٠٧) حديث (١٩٥) ، وأحمد (١/ ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٣١) حديث (٧٥٩ ، ٨٨٧ ، ١٠٧٤ ، ١٠٣٩) ، والبيهقي (١/ ٣٠٤) ، وأبو يعلى (١/ ٣٣٤) ، والطيالسي (١٩) حديث (١٢٠) ، وابن الجارود (١٤٣) حديث (٥٥٠) .

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (١/ ٢٦٠) من طريق الفضل بن موسى ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن - وهو ضعيف - عن ابن جريج عن عطاء ، عن ابن عباس مرفوعًا ولفظه : « وصلت رحم وجزيت خيرًا يا عم » . وإبراهيم بن عبد الرحمن قال ابن عدي : « أحاديثه عن كل من روى ليست بمستقيمة » ثم قال : « وعامة أحاديثه غير محفوظة » .

(٣) سورة الأعراف ، آية (١٥٧) .

(٤) في ل : ذكره .

ولم ينصره هذه النصرة وقطع فيه رحم قومه إلا وهو مؤمن به ، ولكنه أخفى إيمانه تقية ؛ لأن تدبير الحرب والمكيدة في نصرة[١] اللَّه ورسوله اقتضت ذلك ، ولو أظهر خلافهم في الدين لتمالئوا عليه ، ثم لم يثبت[٢] لهم ، فلما أيقن بالموت أظهر إسلامه كما رواه عنه العباس فيما رواه ابن إسحاق ؛ لأنه لم ييأس من نفسه وحرب قومه إلا ذلك الوقت[٣] .

الثاني : أن أبا طالب كفل يتيمًا ، وكل من كفل يتيمًا فهو في الجنة ، أما الأولى[٤] فلأن أبا طالب كفل محمدًا ﷺ يتيمًا وهو أفضل الأيتام وغيرهم . وأما الثانية فلقوله ﷺ : « **أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة** »[٥] وأشار بأصبعيه ، فإذن أبو طالب في الجنة ، وذلك يستلزم/[٣٢٦ل] إيمانه[٦] .

الثالث : أن النبي ﷺ أقره على نكاح زوجته فاطمة بنت أسد أم علي ، ولولا أنه مؤمن لما أقره ، إذ ليس من دينه نكاح الكافر المسلمة[٧] .

---

(١) في ل : نصر .

(٢) في ل : يلبث .

(٣) الآية لم تذكر النصرة فقط ، بل الإيمان والتوقير والنصرة وإتباع النور الذي جاء به ، فليس فيها دلالة على ما ذكروه ، فإن اللَّه تعالى يؤيد الدين بالرجل الفاجر ، وقد دخل النبي – صلى اللَّه عليه وسلم – مكة في جوار المطعم ، ولم يقل أحد: إن هذا كان في إسلامه ، وكذلك ما كان من شأن قزمان ، بل والعباس قبل أن يسلم في موقف بيعة العقبة– وغير ذلك كثير ، فالنصرة بمجردها لا تدل على الإيمان والإسلام ، ولا تعارض الأحاديث الصحيحة بمثل ذلك ، واللَّه أعلم(خ) .

(٤) في ل : الأول .

(٥) رواه البخاري (٥/ ٢٠٣٢) حديث (٤٩٩٨ البغا) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، حديث (٥١٥٠) (٤/ ٣٣٨) .

(٦) فهل هذا يستلزم إيمان الكفار الأصليين إذا كفلوا الأيتام ؟؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

(٧) بل أقر النبي – صلى اللَّه عليه وسلم – نكاح الجاهلية كله ، وقال: «ولدت من نكاح»=

الرابع : أن الحديث الصحيح ورد بأن المرء مع من أحب ، ولا يشك أحد أن أبا طالب كان / [١٥٥ب/م] يحب النبي ﷺ حتى إن[١] كان ليؤثره على أولاده ، فليكن معه ﷺ عملاً بموجب الحديث ، وذلك مستلزم لإيمانه[٢] .

الخامس : أن النبي ﷺ كان يحب أبا طالب ؛ لأنه كافله وناصره ومربيه وعمه صنو أبيه لأبويه ، لا يشك أحد في ذلك ، وكل من أحبه النبي ﷺ فهو مؤمن في الجنة ؛ لأن من أحب النبي [عليه السلام] إذا كان في الجنة فمن أحبه النبي ﷺ أولى بذلك ، وإن شك شاك في حب النبي ﷺ لأبي طالب فلينظر إلى قوله ﷺ : « **جبلت القلوب على حب من أحسن إليها** »[٣] ولا أحد أحسن إلى النبي[٤] ﷺ إحسان أبي طالب ؛ فوجب أن النبي ﷺ كان يحبه .

السادس : أن أبا طالب جاهد في الله ، وكل من جاهد في الله مؤمن ، أما الأولى فلأنه نصر رسول الله ﷺ ، وكل من نصر رسول الله ﷺ فهو مجاهد في الله ، ومن تأمل السيرة علم أن جهاد أبي

= وقال تعالى : ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ مع كون أنكحتهم أنكحة الكفار ، بل وكان أول الأمر إقرار المؤمنة تحت الكافر حتى جاء النسخ ، بل وكانت ابنتا النبي -صلى الله عليه وسلم- تحت كافرين أول الأمر ، ولم يستلزم ذلك إيمان العاصي وصاحبه(خ) .

(١) في ل : إنه .

(٢) ويعارض هذا بنحو ما تقدم من محبة مؤمن لكافر في الدنيا ، أو العكس ب فإنه لا يستلزم ذلك دخول الكافر الجنة ، وكذلك محبة نوح لابنه ، وإبراهيم لأبيه ومحبتهما لهما لا يستلزم ذلك دخول ابن نوح وأبي إبراهيم الجنة ، ويجاب بذلك أيضًا على الذي يليه (خ).

(٣) رواه القضاعي في مسند الشهاب (١/ ٣٥٠ ، ٣٥١) حديث (٥٩٩ ، ٦٠٠) وأورده الحافظ في لسان الميزان (١/ ٤٤٦) وقال : إسماعيل بن الخياط عن الأعمش : منكر الحديث ، والظاهر أنه ابن أبان ، قال أبو الفتح الأزدي : كوفي زائغ هو الذي روى عن الأعمش ، عن خيثمة ، عن عبد الله حديث : «**جبلت القلوب على حب من أحسن إليها**» قال الأزدي : هذا الحديث باطل .

(٤) في ل : رسول الله .

طالب في نصرة رسول اللّٰه ﷺ وإقامة دينه وذبه عنه ، وحياطته له أفضل الجهاد حين رسول اللّٰه ﷺ وحده ، وقصارى من اتبعه أن يفروا بدينهم إلى الحبشة وغيرها ، وقريش بأسرها وأحابيشها وأتباعها ترميه عن قوس واحدة[١] ، وأبو طالب يلقى عنه بنحره ، هذا مما لا ينكره منصف .

وأما الثانية فلقوله عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[٢] وحسبك به وعدًا يقتضي هداية من جاهد في اللّٰه .

السابع : أن أشعار أبي طالب في ديوانه تنادي بإيمانه ، كقوله في مدح النبي ﷺ :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

إن اقتضى سياقه أنه مدح فيه ولا أحقق ذلك والظاهر خلافه ، وليس هذا بالمقصود ، إنما المقصود مثل قوله :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينًا

وفي رواية :

وعرضت دينًا لا محالة أنه من خير أديان البرية دينًا

وقوله :

ولقد صدقت وكنت قدم أمينا

وقوله :

فاصدع بأمرك ما عليك خصاصة[٣] وافرح وقر بذاك منك عيونا

(١) في ل : واحد .
(٢) سورة العنكبوت ، آية (٦٩) .
(٣) في ل : غضاضة .

فهذا مدح لدينه وتصديق له ، وأمر له بإظهاره والصدع به ، ولا إيمان فوق ذلك ، وأشعاره في هذا المعنى كثيرة لم نستحضرها[١] . فهذا ما نحفظه ونستحضره الآن من حجج[٢] الفريقين في إسلام أبي طالب واعتراض كل طائفة على حجة الأخرى يطول فلنقتصر ./ [١٥٦أ/ م]

وقد رأيت لبعض الشيعة كتابًا مستقلاً في إسلام أبي طالب ، والذي ذكرته لهم جل ما فيه - إن لم يكن كله - فاعلم ذلك .

ثم إن قوله - عز وجل - : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[٣] الآية يحتج بها الجمهور في أن الهداية إلى اللّه - عز وجل - فكذا الضلال مقابل لها هو بقدره خلافًا للمعتزلة .

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ ﴾[٤] الآية سبق نظيرها في الأنعام وهود .

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[٥] يحتج به على أن الصانع فاعل بالاختيار لا الإيجاب ، خلافًا للفلاسفة ،

---

(١) المدح لم يعلق عليه في الشريعة دخول الجنة ، وإنما علق ذلك على الإيمان كما في قوله: «لن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة» ومجرد المدح لا يستلزم الإيمان ، فقد مدح قوم شعيب شعيبًا بقولهم : ﴿إنك أنت الحليم الرشيد﴾ . وقال تعالى : ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ وهذا مدح لأجسام المنافقين وحلو مقالهم ، وهذا لا يستلزم إيمانهم وحتى مدح أبي طالب لدين النبي فإنه في نفس القصيدة يذكر أنه لولا حذار الملامة والمسبة لأسلم وآمن به في قوله

(لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا)

أو كما قال ، فدل على أنه مدحه مدح من لم يؤمن به ، واللّه أعلم (خ) .

(٢) في ل : حجاج .

(٣) سورة القصص ، آية (٥٦) .

(٤) سورة القصص ، آية (٥٩) .

(٥) سورة القصص ، آية (٦٨) .

وعلى رأي الجبرية في أن لا اختيار للعبد في فعله ، بل هو مجبر لا مخير ، يدل عليه : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾[١] أي فيهما ، وإذا كان له الحكم في الدنيا على العموم والإطلاق ، فلا حكم لأحدٍ معه ، ولا اختيار ، وذلك حقيقة الإجبار .

﴿ فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾[٢] فيه أن المستدل إذا طولب بالدليل على دعواه فلم يذكره أو لم ينهض بتقريره أنه يكون منقطعًا ؛ لأن هؤلاء ادعوا الشركاء فإذا طولبوا بالبرهان لم يجدوه .

وقد حكم بانقطاعهم ولزوم الحجة لهم .

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾[٣] قيل : هو الكيمياء ،وقد سبق القول فيها غير مرة ، وذكر في السير أن موسى لما أمر ببناء قبة الزمان بالذهب بنى بما مع بني إسرائيل من الذهب الذي كانوا خرجوا به من مصر ، فلم يكف ، فشكى موسى ذلك إلى ربه فنزل جبريل فعلمه الكيمياء : فعمل منها[٤] ما كمل به بناء القبة ، ثم تركها ، ثم إنه علمها أخته وأخاه هارون ، فسأله قارون أن يعلمه إياها ، فقال : لا خير لك فيها ، فألح عليه حتى علمه فكنز منها الكنوز . ثم كانت سبب هلاكه دنيا وأخرى .

قيل : ومن ثم كان أكثر ما يوجد الكيمياء والزغل في ولد هارون

---

(١) سورة القصص ، آية (٧٠) .

(٢) سورة القصص ، آية (٧٥)

(٣) سورة القصص ، آية (٧٨) .

(٤) في ل : منه .

من اليهود[١] .

﴿ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[٢] أي بعد إقامة الحجة عليهم، إذ لا فائدة في سؤالهم بعد ذلك .

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[٣] قيل : ذاته ، وقيل : صفة تسمى وجهًا ، وقيل : إلا ما أريد به جهة التقرب إليه[٤].

---

(١) هذا لا يصح عن موسى -عليه السلام- ولا سيما والكيمياء التي يتكلمون عنها ما ظنوا أنه به تحوّل المعادن إلى ذهب وهو ما يطلقون عليه (حجر الفلاسفة) ، أو ما يمنع الهرم ، وهو ما يطلقون عليه (إكسير الحياة) وهي بهذا المعنى مرادفة للسيمياء ، وهي التي قال فيها العلماء : إنها أشد تحريمًا من الربا ، وقالوا : «من طلب المال بالكيمياء أفلس» وهي مبنية على السحر في كثير من أمورها .
ومع التقدم العلمي الحديث في علوم الكيمياء الصحيحة تبين عدم إمكانية تحويل المعادن إلى ذهب ، فلكل معدن خصائصه وجزئياته وذراته المختصة به ، مما يجعلنا نقطع بكذب الإسرائيليات التي تحاك حول معرفة موسى -عليه السلام- للكيمياء- فتنبه لذلك ، والله أعلم (خ).

(٢) سورة القصص ، آية (٧٨) .

(٣) سورة القصص ، آية (٨٨) .

(٤) يعني باعتبار الوجه بمعنى الجهة فكل شيء هالك إلا ما كان جهة الله ، أي : ما أريد به وجه الله ، وهو معنى صحيح ، وسبق التنبيه عليه (خ) .

القول في سورة العنكبوت

﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[(١)] يحتج به على استثناء الأقل .

﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾[(٢)] يحتج به القدرية لتصريحه بإضافة خلق الإفك إليهم.

وجوابه : أن معناه : وتكذبون كذبًا ، أو وتكسبون إفكًا ، والخلق مشترك بين الاختراع والكذب وغيرهما[(٣)] ، ومنه/[٣٢٨ل] : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴾[(٤)] ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[(٥)] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ /[١٥٦ب/ م] لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴾[(٦)] احتجاج على التوحيد ، ونفي الشرك بأن الشريك لا يملك الرزق ، وقد سبق هو أو نحوه .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ﴾[(٧)] أي ثم هو يعيده ، وهو احتجاج على الإعادة بالقياس على الابتداء ، وكذا

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (١٤) .

(٢) سورة العنكبوت ، آية (١٧) .

(٣) كالتقدير والتصوير ، ومنه : ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ و﴿فتبارك اللّه أحسن الخالقين﴾ (خ) .

(٤) سورة ص ، آية (٧) .

(٥) سورة الشعراء ، آية (١٣٧) . وفي ل «ألم» بدل ﴿أو لم﴾ .

(٦) سورة العنكبوت ، آية (١٧) .

(٧) سورة العنكبوت ، آية (١٩) .

﴿كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾[١] .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾[٢] الآية لأنه قطعهم وأفحمهم في الجدال والاحتجاج على عادته في حسن النظر والتأييد بالحجة .

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾[٣] إشارة إلى حكمة تحريم اللواط ، وذلك من وجهين[٤] :

أحدهما : أن ذلك يضعف رجوليتهم وهمتهم ، والحاجة داعية إليهم للجهاد ، فإذا[٥] وجد شجاع أو مجاهد منجب ممن فعل به ذلك لم تنتقض هذه العلة ؛ لأنه لو لم يفعل به لكان أشجع وأنجب ، والزيادة في ذلك مطلوبة.

والثاني : قطع سبيل النسل ؛ إذ ليس في محل الحرث .

﴿إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾[٦] مع قول إبراهيم : ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾[٧] وقول الملائكة : ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾[٨] يحتج به على أن للعموم صيغة ؛ لأن إبراهيم فهمه من صيغة أهل هذه القرية حتى عرض بتخصيص لوط .

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (٢٠) .
(٢) سورة العنكبوت ، آية (٢٤) .
(٣) سورة العنكبوت ، آية (٢٩) .
(٤) في ل : وجهتين .
(٥) في ل : فإن .
(٦) سورة العنكبوت ، آية (٣١) .
(٧) سورة العنكبوت ، آية (٣٢) .
(٨) سورة العنكبوت ، آية (٣٢) .

﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1] أي بإغوائه ووسوسته .

﴿ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[2] إشارة إلى غلبة القدرة والإرادة ، وانقهار العقول تحت مجاري الأقدار بحيث لا ينفع الاستبصار ، وربما حمله القدرية على أنهم عاندوا الحق مع استبصارهم به تقريرًا للحجة عليهم.

﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ﴾[3] إلى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾[4] يحتج به المعتزلة ؛ إذ لو كان الله - عز وجل - خالقًا لأفعالهم لكان قد ظلمهم ولم يكن آخذًا لهم بذنبهم .

وجوابه ؛ على[5] ما عرف على أصل الكسبية والجبرية .

﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾[6] أنكروا على الحريري قوله : فأدخلني بيتًا أضيق من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت ، وليس بمنكر ؛ لأن البيت الذي ذكره الحريري مفتعل لا وجود له في الخارج ، إنما هو متصور في الذهن لا غير .

وبيت العنكبوت موجود في الخارج منه ألوف من البيوت ، وما لا وجود له أصلاً أوهن مما له وجود على كل حال .

وإنما ذكرت هذا لأن الإنكار المذكور لو لزم الحريري لاقتضى كفره ، لتضمنه الرد على الله - عز وجل - فيما بالغ فيه ، والتكفير

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (٣٨) .
(٢) سورة العنكبوت ، آية (٣٨) .
(٣) سورة العنكبوت ، آية (٤٠) .
(٤) سورة العنكبوت ، آية (٤٠) . وفي ل « فما » بدل ﴿وما﴾ .
(٥) زيادة من ل .
(٦) سورة العنكبوت ، آية (٤١) .

ونحوه من مسائل أصول الدين .

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[١] فيه مشروعية جدال أهل الكتاب إذا أثاروا شبهة فتكشف ؛ لئلا يظن أن معهم حقًّا ، ثم إن كانوا ذمة أو مستأمنين وجب/[٣٢٩ل] الرفق بهم / [١٥٧أ/ م] ، ولا يعنف عليهم ؛ لئلا يظن أنهم استبقوا حجة لم يقدروا على إظهارها ، ورعاية لعهد الذمة .

وإن كانوا حربًا فحكمهم واضح ؛ إذ قتالهم جائز ، ومن كان عندهم[٢] بدار الحرب ، فإن أمن على نفسه كرسول المسلمين جاز أن يصدعهم بالحجة ، ويغلظ لهم إعزازًا للكلمة ، وإن لم يأمن كالأسير والمستأمن إليهم من المسلمين ففيه الخلاف فيمن أكره على الكفر ، أيهما[٣] أفضل له[٤] ؟ الإجابة أو الامتناع ؟

إن قلنا : الإجابة ، فهناك الأفضل الرفق في الجدال . وإن قلنا : الامتناع فهناك الأفضل الغلظة .

﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[٥] هذا احتجاج على صدقه ﷺ ، أي إنك جئت بكتاب خارق للعادة عظيم الوقع ، مع أنك لم تكن قبله قارئًا ولا كاتبًا ، وكل من أتى بكتاب[٦] على هذا الوجه فهو نبي آت بمعجز ، فأنت نبي آت بمعجز .

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (٤٦) .

(٢) سقط من ل .

(٣) في ل : أيما .

(٤) سقط من ل .

(٥) سورة العنكبوت ، آية (٤٨)

(٦) سقط من ل

أما الأولى فلأنه ﷺ أتى بالقرآن ، وحسبك به كتاب عجز عن معارضة أيسره فصحاء[١] العرب ، وأما أنه ﷺ لم يكن[٢] كاتبًا ولا قارئًا فواضح ، وخصومه من الكفار سلموا ذلك ، حتى أنهم لما اتهموه ،[إنما اتهموه][٣] بأنه يستملي ذلك ممن يقرأ ويكتب ،ولو كان قارئًا كاتبًا لما احتاجوا إلى ذلك ، بل قالوا : أنت قارئ كاتب ، فلا يستكثر لك هذا القرآن ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[٤] .

وأما الثانية : فلأن من أتى[٥] بكتاب على هذا الوجه بهذا الوصف كان خارقًا للعادة ، كما لو[٦] أن راعي غنمٍ لم يكتب قط ولا فارق الصحراء ، ولم يجتمع بكاتب قط فكتب خطًا أعجز فيه ابن مقلة وابن البواب وأضرابهم من مبرزي الكتاب - كان خارقًا للعادة قطعًا .

وكل خارق للعادة مع التحدي وعدم المعارضة فهو نبي آت بمعجز ، فهذا برهان واضح[٧] .

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[٨] يحتج به من قال : إن حقيقة القرآن الذي هو كتاب اللّه - عز وجل - وكلامه في

---

(١) في ل : أفصح .
(٢) في ل : يك .
(٣) سقط من ل .
(٤) سورة العنكبوت ، آية (٤٨) .
(٥) في ل : أوتى .
(٦) سقط من ل .
(٧) هذا برهان واضح وصحيح ، لكن ليست المعجزة دليل النبوة الوحيد ، كما زعمه المتكلمون وسار عليه المصنف في غير ما موضع من كتابه ، وسبق الإشارة لذلك ، واللّه أعلم (خ).
(٨) سورة العنكبوت ، آية (٤٩) .

الصدور لظاهر الآية مع القول بقدمه ، والآخرون قالوا : هذا يوجب حلول القديم في الحادث ، وهو قول بالحلول وهو محال، بل إما أن يقولوا بخلقه ليكون حلول مخلوق في مخلوق ، أو بقدمه قائمًا بذات اللَّه - عز وجل - والحاصل منه في الصدور مثال[1] مطابق له أو ذكره وحفظه ، كما أن اللَّه - عز وجل - مذكور باللسان والقلب محفوظ فيه ، وليست ذاته حالة في شيء .

وقد بالغ بعضهم في التشنيع على من قال بقدم القرآن وحلوله في الصدور حتى قال : هؤلاء أكفر من النصارى / [١٥٧ب/م] ؛ إذ النصارى إنما قالوا بحلول القديم في ذات المسيح/[٣٣٠ل] لا غير ، وهؤلاء يلزمهم حلول القديم في كل شخص حفظ القرآن أو بعضه ولو آية .

واختلف القائلون بظاهر الآية ؛ هل حقيقة القرآن في الصدور كالمظروف في الظرف ؟ أو أنه كظهور الوجه في المرآة ؟ أو كظهور نقش الخاتم في الشمع ؟ على أقوال .

وقال قوم : للقرآن أربع وجودات : وجود عيني ،وهو تقرر حقيقته في الخارج ، إما بذات اللَّه - عز وجل - أو غيره على الخلاف في حدوثه وقدمه ، ووجود ذهني ، وهو حصول صورة في الذهن مطابقة له وحفظه هو ذلك مع إمكان استحضاره لفظًا ونظمًا بحسب الاختيار ، ووجود لساني وهو تلاوته ، وبناني وهو كتابته بالبنان[2] .

---

(١) في م : مثل .

(٢) وهو الصحيح الذي دلت عليه الأدلة ، وأشار إليه ابن حزم بعبارة لم يحسن فيها ، فجعل القرآن (أربعة) ، وفهم هذه المراتب الأربع تزيل الإشكالات الواردة من جهتي المعتزلة والأشاعرة ، والله أعلم . راجع المقدمة (خ).

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾(١) إلى ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾(٢) فيه أن القرآن معجز تام وحجة كاملة لا يحتاج معها على النبوة إلى دليل ؛ لأنه أنكر عليهم عدم الاكتفاء بها ، فدل على أنه كاف شاف ، وقد تبين وجه كونه معجزًا .

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾(٣) يحتج به على أن عموم الرزق من اللّه - عز وجل - حلالاً وحرامًا ، وقد سبق عليه ما هو أدل من هذا .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾(٤) إلى ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾(٥) إشارة إلى دليل البعث بقياس إحياء الأرض بالنبات ، وليس صريحًا فيه كغيره .

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾(٦) أمر تهديد ووعيد كنظيره في النحل.

---

(١) سورة العنكبوت ، آية (٥٠) . وفي ل : « آية» بدل ﴿آيات﴾ .
(٢) سورة العنكبوت ، آية (٥١) .
(٣) سورة العنكبوت ، آية (٦٠) .
(٤) سورة العنكبوت ، آية (٦٣) .
(٥) سورة العنكبوت ، آية (٦٤) .
(٦) سورة العنكبوت ، آية (٦٦) .

القول في سورة الروم

﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْـرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[١] يحتج به القائلون بقدم القرآن بناء على أن الأمر هو القرآن . ومعنى ﴿ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[٢] أي : من قبل كل شيء وبعد كل شيء ، فانتظم الدليل هكذا : القرآن هو الأمر والأمر ثابت للّه - عز وجل - قبل كل شيء وبعده ، فالقرآن ثابت للّه قبل كل شيء وبعده.

واعترض عليه بأن الأمر لفظ مشترك ، والمراد به هاهنا الحكم والتصرف الذي به غلبت الروم وغلبت ، نحو ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾[٣] أي التصرف ، سلمناه[٤] لكن المراد بمن قبل أي : من قبل غلبهم وبعده ، وذلك لا يدل على القدم .

وهب أن المراد قبل كل شيء ، لكن ذلك ليس هو الأزل ؛ لأن العالم حادث ، وقبل حدوثه بلحظة يصدق أنه قبل كل شيء ، اللّهم إلا أن[٥] يعتقدوا قدم العالم فيكون الأمر المذكور قبله بالذات لا بالزمان كما زعمت الفلاسفة في قدم الصانع على العالم ، لكنهم/[ ] لا يقولون بذلك[٦] .

(١) سورة الروم ، آية (٤) .
(٢) سورة الروم ، آية (٤) .
(٣) سورة النمل ، آية (٣٣) .
(٤) في ل : سلمنا
(٥) سقط من ل
(٦) لكن هذا لا يرد على قول من جعل أفعال اللّه متسلسلة في جهتي الأزل والأبد ، فهو سبحانه «فعال لما يريد» وما من وقت يقدر إلا والرب حي قادر مريد عالم ، وهي موجبات=

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[(١)] الآية فيها الإخبار بالبعث ودليله [بعده بيسير][(٢)] يذكر إن / [١٥٨أ/م] شاء اللَّه - عز وجل .

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾[(٣)] هاهنا وفي آخر السورة إخبار بقيامها وذكر بعض أحكامها مما ذكر ، وسيذكر إن شاء اللَّه ، عز وجل.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾[(٤)] إلى ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[(٥)] فيه دليلان على إمكان البعث والمعاد ؛ أحدهما قياس إخراج الموتى من الأرض على إخراج الحي من الميت ، ونظمه هكذا : البعث إخراج حي[(٦)] من ميت ، وهو ممكن ، وكل ممكن مقدور فالبعث مقدور .

أما أن البعث إخراج حي من ميت فلأن الأرض والرمم موات يخرج منها الناس أحياء ، وإنما قلنا : إن ذلك ممكن لأنه لا يلزم منه محال لذاته ، وقياسًا على إخراج الحيوان الحي من حيوان ميت ، وهو كثير مشاهد في بني آدم وغيرهم .

وأما أن كل (ممكن) مقدور فواضح .

= الفعل ، وما من شيء إلا ولله الأمر من قبله ومن بعده ، وما من شيء إلا وقبله شيء إلى ما لا أول ، وما من شيء إلا وبعده شيء إلى ما لا آخر ، والله هو الأول والآخر ، وتم التنبيه على ذلك مرارًا .

فليست الآية دليلًا على قدم القرآن ، وإن أريد القدم النوعي فهو حق ، لكن لا يستلزم ذلك قدم الأفراد فتنبه (خ).

(١) سورة الروم ، آية (١١) .

(٢) في ل : بعد يسير .

(٣) سورة الروم ، آية (١٢) .

(٤) سورة الروم ، آية (١٩) .

(٥) سورة الروم ، آية (١٩) .

(٦) سقط من ل .

الثاني : قياس البعث على إحياء الأرض بالمطر بعد موتها .

وقد سبق تقريره في الأعراف وغيرها ، فهذا دليل إمكانه ، أما وقوعه فإخبار الصادق به .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾[١] يحتج به[٢] على أن اللغات توقيفية ؛ لأن الألسنة هي اللغات ، وقد أضاف اختلافها إليه ، وذاك[٣] ظاهر في التوقيف ، مع احتمال أنه خلق فيهم دواعي الاصطلاح وأقدرهم عليه[٤] ، فيكون[٥] وضعها اصطلاحيًا وخلقه منسوبًا إليه ؟

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾[٦] ذكره عقيب[٧] قوله - عز وجل - : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾[٨] فهو مما سبق من قياس الإعادة على إحياء الارض .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٩] أي عندكم ، أو هو أهون بمعنى هين، وهذا استدلال[١٠] على الإعادة بقياسها على البدء بجامع الإمكان والمقدورية ، وكونها أهون

---

(١) سورة الروم ، آية (٢٢) .
(٢) في ل : بها .
(٣) في ل : وذلك .
(٤) في ل : عليهم .
(٥) في م : فكيف يكون .
(٦) سورة الروم ، آية (٢٥) .
(٧) في ل : عقب .
(٨) سورة الروم ، آية (٢٤) وفي م : «وننزل» بدل ﴿وينزل﴾، وفي ل : «فنحيي» بدل ﴿فيحيي﴾ .
(٩) سورة الروم ، آية (٢٧) .
(١٠) في م . الاستدلال

ضروري ؛ إذ إعادة الجدار المستهدم بآلاته أهون على بانيه من ابتدائه أول مرة قطعًا . وكذلك قدمنا أن الجسم ينحل إلى جواهر مفردة ، كأنقاض الجدار ، ثم اللَّه - عز وجل - يجمع تلك الجواهر ويؤلف[(١)] منها الجسم فيعود كما كان . وهذا في أول سورة ﴿ ق ﴾ أبين منه هٰهنا ، وسيأتي إن شاء اللَّه - عز وجل[(٢)] .

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[(٣)] الآية من أدلة التوحيد شبيهة بآية النحل ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ ﴾[(٤)] الآية .

وتقرير هذه : إن آلهتكم مملوكة للَّه - عز وجل - وكما أن عبيدكم وما ملكت أيمانكم لا يشاركونكم في أرزاقكم وأموالكم كذلك اللَّه - عز وجل - لا تشاركه الآلهة المملوكة له في عبادته /[٣٢٢ل] وخلقه ، وهو قياس جلي ، وكذلك كما لا تخافون / [١٥٨ب/م] عبيدكم فاللَّه - عز وجل - لا يخاف الآلهة المملوكة له .

ولو كانت آلهة حقًا لكان يخافها ؛ إذ كانت تكون مثله ، فتبتغي إلى ذي العرش سبيلاً فيخاف غائلتها ، والتالي باطل ، فالمقدم مثله .

---

(١) في ل: ويلف .

(٢) قضية الجوهر الفرد ، والجواهر المفردة دعوى لا دليل عليها ، ثم إن العلم الحديث دل على بطلانها ، فليست الأجسام مكونة من الجواهر المفردة التي لا عرض ولا طول ولا عمق ولا وزن لها ، فالأجسام مكونة من الذرات التي بها الإلكترونات والبروتونات والنيترونات والبوزيترونات ، وكل هذه الجسيمات لها عرض وطول وعمق ووزن وبعضها شحنة كهربائية ، وكلها أمور معلومة محسوبة بدقة ، والقول بإمكان البعث بسبب عدم تحلل الجواهر المفردة مما قوى شبهة الفلاسفة في إنكار المعاد الجسماني ، وإنما يقال : المبدأ والمعاد نوعان تحت جنس واحد وليست لوازم البداءة هي لوازم المعاد من كل وجه ، وبهذا تنحل الإشكالات ، واللَّه أعلم . (خ)

(٣) سورة الروم ، آية (٢٨) .

(٤) سورة النحل ، آية (٧١) .

فهذان[١] برهانان في هذه الآية .

﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ﴾[٢] صريح في مذهب الجمهور ؛ لأنه أضاف إضلالهم إليه ، وهو موجب لضلالهم فيكون سهم القدرة مصيبًا ، وإلا كان مخطئًا وإنه باطل .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[٣] الآية ، فيه إشارة إلى انحتام الرزق كالخلق والموت والبعث لاقتران الرزق بالثلاثة وسرد الجميع في قرن .

وهذا مما يقوي عزائم الفقراء ونحوهم ، ولعل بعض الناس من هاهنا أخذ قوله : « **الرزق كالأجل يطلبك وأنت [عنه غافل]**[٤] » .

﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾[٥] دليل على التوحيد ونفي الشريك .

ونظمه هكذا : آلهتكم لا تفعل شيئًا من هذه الأربعة ، والإله الحق يفعل هذه الأربعة ، فآلهتكم ليست هي الإله الحق .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾[٦] إلى قوله - عز وجل - : ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[٧] الآية تضمنت الدليل المشهور على الإعادة بقياسها على

---

(١) في ل : فهذا .
(٢) سورة الروم ، آية (٢٩) .
(٣) سورة الروم ، آية (٤٠) .
(٤) في ل : غافل عنه .
(٥) سورة الروم ، آية (٤٠) .
(٦) سورة الروم ، آية (٤٨)
(٧) سورة الروم ، آية (٥٠) . في ل : أثر

إحياء الأرض بالمطر ، ونبه على الجامع وهو الإمكان والقدرة بقوله - عز وجل - : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١] والإمكان من لوازم المقدورية .

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٢] أي يختم عليها ، وقد سبق معناه .

فإن قيل : أي فائدة في الطبع على قلب من لا يعلم ؟ وهل هو إلا تحصيل الحاصل ، أو شبيه به ؟

والجواب : أن المراد يطبع على قلب من لا يستعمل العلم بالنظر في آيات الحق ، فعبر بالعلم عن استعماله ، ألا ترى أن هذا وقع عقيب قوله - عز وجل - : ﴿ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾[٣] أي : يبادرون[٤] بالإنكار والعناد ، ولا ينظرون في أدلة الحق ليعرفوه .

(١) سورة الروم ، آية (٥٠) .
(٢) سورة الروم ، آية (٥٩) .
(٣) سورة الروم ، آية (٥٨) .
(٤) في م : مبادرون .

القول في سورة لقمان

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[١] الآية يحتج بها الفقهاء على تحريم السماع ، وليست نصًا فيه ، ولأهل السماع فيه تفاصيل ، ثم هو معارض بقوله - عز وجل - : ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[٢] الآية ، فلو كان في السماع قول وعظي فاتبعه السامع لدخل تحت هذه الآية .

﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[٣] استدلال على عدم إلهيتهم بعدم كونهم خالقين ، وتقريره هكذا/[٣٣٣/ل] : آلهتكم لا تخلق ، أو لا شيء من آلهتكم بخالق ، والإله /[١٥٩/أ/م] الحق خالق ، فلا شيء من آلهتكم بإله حق ، وهذا يقتضي أن الخلق والإبداع من لوازم الإله وخواصه .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾[٤] قد سبق الخلاف في نبوته والمشهور أنه ليس نبيًا بل حكيم صالح .

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٥] أي اشكر لي على خلقي ورزقي لك ، واشكر لهما على كسبهما لك وكونهما سبب وجودك ، وهذا يدل على أن الأكساب والأسباب ليست مطرحة

(١) سورة لقمان ، آية (٦) .
(٢) سورة الزمر ، آية (١٨) .
(٣) سورة لقمان ، آية (١١) .
(٤) سورة لقمان ، آية (١٢) .
(٥) سورة لقمان ، آية (١٤) .

الاعتبار كما هو المشهور .

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾[١] . يحتمل أن الصبر جملة مستقلة أمرًا[٢] بالصبر على الإطلاق ، ويحتمل ارتباطها بما قبلها ؛ أي : اصبر على ما أصابك من الأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لكن هذا مراد على التقديرين لدخول هذا الصبر الخاص في الصبر على الإطلاق .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٣] الآية تضمنت مفاتح الغيب الخمس المذكورة في الحديث الصحيح[٤] .

---

(١) سورة لقمان ، آية (١٧) .

(٢) في ل : أمر .

(٣) سورة لقمان ، آية (٣٤) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ (٤٦٢٧) ، وأخرجه أحمد (٢/ ١٢٢) ، والنسائي في « الكبرى » كتاب : النعوت (٤/ ٧٧٢٨) من طرقٍ ، عن عبد الله بن عمر ، به .

القول في سورة السجدة .

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[١] الآية تضمنت أن الكتاب حق منزل ، ويحتج به على أنه غير مخلوق ، وفيه ما سبق مرارًا .

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[٢] سبق الكلام عليه في القصص .

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾[٣] الآية تضمنت حكاية إنكارهم للبعث ، وقد سبق غير مرة .

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[٤] فيه إثبات المعاد إلى الله - عز وجل - بعد الموت ، خلافًا للتناسخية القائلين بانتقال الأرواح في الأجسام جسمًا بعد جسم ، فما كمل منها لحق بعالمه العلوي ، وما لم يكمل بقي مترددًا في الأجسام أبدًا ، وهو رأي خيالي لا مستند له يعتمد .

ثم قد ذكر هنا : ﴿ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾[٥] وفي الأنعام : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾[٦] وفي موضع آخر[٧] : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ

---

(١) سورة السجدة ، آية (٢) .

(٢) سورة السجدة ، آية (٣) .

(٣) سورة السجدة ، آية (١٠) .

(٤) سورة السجدة ، آية (١١) .

(٥) سورة السجدة ، آية (١١) .

(٦) الأنعام ، آية (٦١) .

(٧) سقط من ل .

مَوْتِهَـا﴾(١) ووجه الجمع أنه -عز وجل- يتوفى الأنفس بقدرته بواسطة الملائكة وملك الموت بحق التقدم على ملائكة القبض والملائكة الأعوان بالمباشرة ، فيقال : إنهم يعالجون حتى تبلغ الفم فيقبضه ملك الموت بيده ، وهذا كما يقال : قتل السلطان فلانًا ، ويكون ذلك بواسطة الوالي والنائب ، إمرة ثم بمباشرة الجند ، واختلف في البهائم ونحوها هل يقبضها ملك الموت أم لا؟ فقيل : لا ، لعدم السمع فيه ولخصوص يتوفاكم ، وقيل : بلى لعموم : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ /[١٥٩ب/م] إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾(٢) ولأنها تحشر للقصاص/[٣٣٤ل] بينها ؛ فكان القابض لها ملك الموت كالعقلاء ، ولعل الخلاف فيها مبني على أنها عاقلة مكلفة تكليفًا خفيًا عن البشر أم لا ، وفيه خلاف مشهور .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾(٣) الآية يحتج بها الجمهور على أن مشيئته هي المانعة لمن(٤) شاء هداه ، وقد سبق هو واعتراض القدرية عليه .

﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(٥) الآية ، أي فوجب تصديق قوله السابق بمنع(٦) الهدى الخاص من سبق أنه من أهل جهنم بحسب المشيئة وخلق الدواعي

---

(١) سورة الزمر ، آية (٤٢) .

(٢) سورة الأنعام ، آية (٣٨) .

(٣) سورة السجدة ، آية (١٣) .

(٤) بعده في ل : ما.

(٥) سورة السجدة ، آية (١٣) .

(٦) في ل : بمعنى .

والصوارف ، هذا كله مع اعتقاد أن لله - عز وجل - في خلقه المشيئة النافذة ، وله عليهم الحجة البالغة .

﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾[(١)] وقد سبق توجيه ذلك في مقدمة الكتاب .

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[(٢)] زعم بعضهم أن العذاب الأدنى عذاب القبر ، والعذاب الأكبر عذاب النار ، وهو ضعيف بل باطل ، لأنه علل إذاقتهم العذاب الأدنى برجوعهم عن كفرهم بقوله :﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[(٣)] وفي القبر استحال رجوعهم إلى الدنيا ، وإنما العذاب الأدنى يشبه أن يكون السنين التي أصابتهم على عهد النبوة المذكورة في سورة الدخان .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ ﴾[(٤)] الآية هي في سياق : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا ﴾[(٥)] الآية يشير إلى دليل البعث المشهور وهو القياس على إحياء الأرض.

﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾[(٦)] وعيدي محكم .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٢٣) .

(٢) سورة السجدة ، آية (٢١) .

(٣) سورة السجدة ، آية (٢١) .

(٤) سورة السجدة ، آية (٢٨) .

(٥) سورة السجدة ، آية (٢٧) .

(٦) سورة السجدة ، آية (٣٠)

القول في سورة الأحزاب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[١] أي استدم ما أنت عليه من التقوى ، لأن التقوى لم تفارقه لعصمته حتى يؤمر بها أمر استئناف .

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[٢] احتجت الشيعة بهذا مع قوله - صلى اللّه عليه وسلم- : « **من كنت مولاه فعلي مولاه**»[٣] قالوا : لأنه صدر هذا الحديث بالإشارة إلى هذه الآية فقال : « **ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم** » قالوا : بلى . قال : « **فمن كنت مولاه فعلي مولاه**» فاقتضى ذلك بموجب هذا السياق أنه جعل لعليّ عليهم من الطاعة بعده ما جعله لنفسه .

والجمهور منعوا صحة هذا[٤] الحديث بالكلية ، ثم دلالته على ماقالوه ، والبحث فيه طويل .

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ﴾[٥] هذا كقوله -عز وجل- : ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾[٦] ، ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي / [١٦٠أ/ م] بُيُوتِكُمۡ﴾[٧] الآيتين على ما مر .

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (١) .
(٢) سورة الأحزاب ، آية (٦) .
(٣) تقدم مرارًا .
(٤) سقط من ل .
(٥) سورة الأحزاب ، آية (١٦) .
(٦) سورة النساء ، آية (٧٨) .
(٧) سورة آل عمران ، آية (١٥٤) .

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[١] يحتج بها على التأسي به في أفعاله ، ثم اختلف في فعله - صلى الله عليه وسلم - فقيل : يقتضي الوجوب/[٣٣٥ل] ، وقيل : الندب ، وقيل : الإباحة ، والصحيح أن[٢] ما كان عاديًا كالأكل والشرب والجماع فللإباحة ، وهيئاته للندب كالأكل مستوفزًا غير متكئ ، والشرب في ثلاثة أنفاس ، وما كان على وجه القربة ، فإن وقع بيانًا لمجمل فحكمه حكم المبين ، وإن لم يقع بيانًا فإن صرح بحكمه وجوبًا أو ندبًا أو غيره ، أو دل عليه قرينة فهو ذاك ، وإلا فالإباحة متيقنة ، والندب والوجوب في محل الإجمال موقوف على البيان .

احتج من قال بأن فعله للوجوب مطلقًا بقوله -عز وجل- : ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[٣] فإنه جار مجرى الوعيد على ترك التأسي به وذلك يقتضي وجوب التأسي به .

واعلم أن الاستدلال بهذه الآية[٤] على التأسي مبني على أن الآية في نفسها عامة ، ثم على أن الاعتبار في العام بعموم لفظه لا بخصوص سببه ؛ لأن هذه الآية إنما وردت على سبب خاص ، وهو اعتزال المنافقين القتال في غزاة الأحزاب مع مباشرة النبي - صلى الله عليه وسلم - لها ، فقيل لهم : هلا تأسيتم برسول الله في لقاء العدو ، فلقد كان لكم فيه أسوة ، ألا تراه يقول : ﴿يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (٢١) . وكلمة ﴿لكم﴾ سقطت من ل .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة الأحزاب ، آية (٢١) .

(٤) زيادة من ل

عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾[١] الآية وما قبل ذلك يدل على هذا من تقاعد المنافقين وأراجيفهم ، لكن الأصلان ممنوعان ، أما عموم الآية فلأن ﴿أسوة حسنة﴾ مطلق لا عام ، إذ هي نكرة في سياق إثبات ، والمطلق تتأدى وظيفة العمل به في صورة ما ، وقد تأسى به الناس في الإيمان والإسلام وكثير من الأحكام ، فلم يبق في الآية ما يقتضي وجوب التأسي به[٢] في عموم الأفعال ، وأما اعتبار عموم اللفظ دون خصوص السبب ففيه من[٣] الخلاف مع المالكية وغيرهم ما قد عرف وسبقت إليه الإشارة .

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾[٤] تتعلق به الشيعة [أخزاهم اللّه][٥] على عائشة - رضى اللّه عنها ، يقولون : أُمِرَتْ أن تقر في بيتها فخالفت وخرجت إلى تفريق المؤمنين وقتال علي بالبصرة ، حتى قتل بسببها من قتل وهم نحو عشرين ألفًا .

والجمهور أجابوا بأنها خرجت /[١٦٠ب/م] مُصْلِحَةً للفساد مُطْفِئَةً للثائرة مجتهدة في ذلك ، فهي لا تنفك من أجر أصاب اجتهادها أو أخطأ .

قوله -عز وجل- : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٦] احتج بها الشيعة على أن أهل البيت معصومون ، ثم على أن إجماعهم حجة .

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (٢٠ - ٢١) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة الأحزاب ، آية (٣٣) .

(٥) سقط من ل .

(٦) سورة الأحزاب ، آية (٣٣) .

أما أنهم معصومون فلأنهم طهروا وأذهب الرجس عنهم ، وكل من كان كذلك فهو معصوم ، أما الأولى/[٣٣٦ل] فلنص هذه الآية ، وأما الثانية فلأن الرجس اسم جامع لكل شر ونقص ، والخطأ وعدم العصمة بالجملة شر ونقص ، فيكون ذلك مندرجًا تحت عموم الرجس الذاهب عنهم ، فتكون الإصابة في القول والفعل والاعتقاد والعصمة بالجملة ثابتًا لهم .

وأيضًا فلأن اللَّه - عز وجل - طهرهم وأكد تطهيرهم بالمصدر حيث قال : ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] أي : ويطهركم من الرجس وغيره تطهيرًا ، وهو يقتضي عموم تطهيرهم من كل ما ينبغي التطهير منه عرفًا أو عقلاً أو شرعًا ، والخطأ وعدم العصمة داخل تحت ذلك ، فيكونون[2] مطهرين منه ، ويلزم من ذلك عموم إصابتهم وعصمتهم[3] ،

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (٣٣) .

(٢) في م : فيكون .

(٣) هذا بين البطلان من وجوه :أولاً: إن الآية في الإرادة الشرعية لا الكونية ، فهي نظير قوله تعالى : ﴿ ما يريد اللَّه ليجعل عليكم من حرج﴾ ، ﴿يريد اللَّه بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ ﴿ واللَّه يريد أن يتوب عليكم ﴾ ونحوها فهي الإرادة المتضمنة محبة اللَّه لذلك ورضاه ، وأنه شرعه للمؤمنين وأمرهم به ، ليس في ذلك أنه خلق هذا المراد ، ولا أنه قضاه وقدره ، والدليل على ذلك أن النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - بعد نزول الآية قال: «اللَّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا» فطلب من اللَّه إذهاب الرجس والتطهير ، فلو كانت الآية تتضمن إخبار اللَّه بأنه قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم لم يحتج إلى الطلب والدعاء ، وهذا واضح بحمد اللَّه ، فاللَّه أخبر أنه يريد أن يتوب على المؤمنين ، وفيهم من تاب عليه ، وفيهم من لم يتب .

وثانيًا : على فرض أن القرآن دل على طهارتهم وإذهاب الرجس عنهم ، فإن هذا لا يدل على العصمة ، فالتطهر من الذنب على وجهين ، كما في قوله : ﴿وثيابك فطهر﴾ وقوله : ﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ فالتطهير من الذنب إما بألا يفعله العبد ، وإما بأن يتوب عنه ؛ كما في قوله : ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ وما أمر اللَّه به من الطهارة ابتداء وإرادة ، فإنه يتضمن نهيه عن الفاحشة ، فهو سبحانه ينهى عنها ويأمر من فعلها =

ثم أكدوا دليل عصمتهم من الكتاب بالسنة[١] في عليّ وحده ، وفي فاطمة وحدها ، وفي جميعهم .

أما دليل العصمة [في عليّ][٢] فما ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما أرسله إلى اليمن قاضيًا قال : يا رسول الله ، كيف تبعثني قاضيًا ولا علم لي بالقضاء؟ قال : « **اذهب فإن الله سيهدي قلبك ويسدد لسانك** » ثم ضرب صدره وقال : « **اللّهم اهد قلبه وسدد لسانه** »[٣] قالوا : قد دعا[٤] له بهداية القلب وسداد اللسان ، وأخبره بأن سيكونان له ، ودعاؤه مستجاب وخبره حق وصدق ، ونحن لا نعني بالعصمة إلا هداية القلب للحق ونطق اللسان بالصدق ، فمن كان عنده للعصمة معنى غير هذا أو ما يلازمه فليذكره[٥] .

بأن يتوب منها ، كما في قوله : «اللّهم طهرني من الخطايا كما يطهر الثوب الأبيض من الدنس» ، فالتطهير هنا بمعنى إرادة التوبة من العباد لا أنهم لا يذنبون .
وثالثًا : مما يؤكد هذا أن الطاهر كلفظ (الطيب) و(المتقى) و(المزكي) ، وكلها لا تدل على العصمة ، فإنه ليس شرط المتقين العصمة ، وإلا لما كانت الآية منعته ، بل من تاب من ذنوبه دخل في المتقين ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - دعا لأهل بيته ، وإذا دعا النبي - صلى الله عليه وسلم - بدعاء أجابه الله بحسب استعداد المحل ، فإذا استغفر للمؤمنين لم يلزم ألا يوجد مؤمن مذنب ، فدعاء النبي لأهل بيته بالتطهير لا يدل على العصمة بمجرده (خ).

(١) في ل : والسنة .

(٢) سقط من ل .

(٣) رواه أبو داود (٣/ ٣٠١) حديث (٣٥٨٢) ، والنسائي في الكبرى (٥/ ١١٦) حديث (٨٤١٩) ، وأحمد (١/ ٨٣ ، ٨٨ ، ١١١) . وابن حبان (١١/ ٤٥١) حديث (٥٠٦٥) ، والحاكم (٣/ ١٤٥) ، وأبو يعلى (١/ ٣٢٣) .

(٤) في ل : فدعى .

(٥) سبق في الوجه قبله أن دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يقتضي العصمة ، والدعاء بالهداية والسداد قد أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- به عليًا ؛ ففي الحديث الذي أخرجه مسلم والنسائي وأحمد أنه - صلى الله عليه وسلم - أمر عليًا أن يقول : «اللّهم اهدني وسددني» وقال له : «واذكر بهدايتك هداية الطريق ، وبالسداد سداد السهم» وقد جعله العلماء من أذكار كل مؤمن ، فلو كان المراد العصمة لكان كل مؤمن يدعو بالعصمة وهو=

وأما دليل العصمة في فاطمة - رضي اللّه عنها - فكقوله[١] - صلى اللّه عليه وسلم : « **فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها**»[٢] والنبي - صلى اللّه عليه وسلم - معصوم ، فبضعته أي جزؤه والقطعة منه يجب أن تكون معصومة[٣] .

وأما دليل العصمة في جميعهم- أعني عليًا وفاطمة وولديهما فلقوله - صلى اللّه عليه وسلم- : « **إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن**

ممتنع ، ثم إن الحديث كما في رواية المسند أن عليًا توجس من إرساله لليمن قاضيًا مع أنهم أسن منه ، فدعا له النبي - صلى اللّه عليه وسلم - أي لخصوص هذا الأمر ، ثم يقال : هل المراد بالعصمة فعل الطاعة باختيار وترك المعصية باختيار ، أو المراد سلب القدرة على المعصية ؟ فإن كان المراد الأول فالشيعة قدرية ، فعندهم أن اللّه لا يخلق اختيار الفاعلين ، بل العبد يخلق فعله ، فحينئذ فلا حجة لهم في الحديث لأن فيه : «فإن اللّه سيهدي قلبك ويسدد لسانك » وهذا لا يدخل تحت قدرة اللّه عندهم ؛ إذ جعلوا العصمة اختيارية للعبد ، والرب عندهم لا يقدر على مقدور العبد ، وهذا يناقض قولهم غاية المناقضة ، وإن قالوا: بل العصمة سلب القدرة على المعصية كان المعصوم عاجزًا عن الذنب ، كما يعجز الأعمى عن نقط المصحف ، والعاجز عن الشيء لا ينهى عنه ولا يؤمر به ، وإذ لم يؤمر وينه لم يستحق ثوابًا على الطاعة ، فيكون المعصوم عندكم لا ثواب له على ترك معصية ولا على فعل طاعة ، وهذا غاية النقص ، بل يكون أي مسلم فُرِضَ خيرًا من المعصوم ؛ لأنه إذا أذنب ثم تاب محيت سيئاته ، وبدل بكل سيئة حسنة مع حسناته المتقدمة ، فكان ثواب المكلفين خيرًا من المعصوم عند هؤلاء . وبهذا السبر والتقسيم تنتقض دعواهم كلية ، والحمد للّه (خ) .

(١) في ل : فقوله .

(٢) رواه البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب فاطمة -عليها السلام- (٣٧٦٧) . ومسلم ، كتاب فضائل الصحابة، باب : فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام (١٦/ ٣/ ح ٢٤٤٩ (٩٤) . وأبو داود في كتاب النكاح ، باب : ما يكره أن يجمع بينهن من النساء (٢/ ٢٢٤/ ح ٢٠٧١) . والنسائي في الكبرى في كتاب المناقب ، باب : مناقب فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم (٥/ ٩٧/ ٨٣٧٠) . والترمذي في كتاب المناقب ، باب : ما جاء في فضل فاطمة رضي الله تعالى عنها(٥/ ٦٥٥/ ح ٣٨٦٧) وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجه في سننه في كتاب النكاح ، باب : الغيرة (١/ ٦٤٣/ ح ١٩٩٨) .

(٣) هذا الحديث وارد على قصة ، وهي خطبة علي لابنة أبي جهل ، فقال النبي - صلى اللّه عليه وسلم - ذلك ، ومعلوم قطعًا أن خطبة ابنة أبي جهل عليها رابها وآذاها ، والنبي - صلى اللّه عليه وسلم - رابه ذلك وآذاه ، فهل يقول الشيعة بلحوق هذا الوعيد بعلي =

تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا(١) حتى يردا عليّ الحوض»(٢) رواه الترمذي ، ووجه دلالته أنه لازم /[١٦١أ/ م] بين أهل بيته والقرآن المعصوم ، وما لازم المعصوم فهو معصوم(٣) ، قالوا : وإذا ثبت عصمة أهل البيت وجب أن يكون إجماعهم حجة لامتناع الخطأ والرجس عنهم(٤) بشهادة السمع المعصوم ، وإلا لزم وقوع الخطأ فيه وإنه محال .

واعترض الجمهور بأن قالوا : لا نسلم أن أهل البيت في الآية هم

رضى الله عنه ، وإن قيل : لا يلحقه لأنه تاب من هذه الخطبة ورجع عنها ، فهذا قول منهم ببطلان عصمته ، وأن يقع منه الذنب ويتوب ، وهذا واضح بحمد الله تعالى (خ) .

(١) في م : يتفرقا .

(٢) رواه الترمذى فى المناقب ، باب : مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم (٣٧٨٦ ، ٣٧٨٨) ، والحديث صحيح بشواهده ومجموع طرقه ، ويستغرب من رواية الترمذى هذه أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر هذه الخطبة فى حجة الوداع . والمشهور أنه ذكرها يوم غدير خم كما جاء فى صحيح مسلم . لذلك قال الترمذى عقب هذه الرواية : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه . وأخرجه مسلم فى فضائل الصحابة ، باب : من فضائل على بن أبى طالب حديث رقم (٣٤٠٨) من مسند زيد بن أرقم ، وانظر شواهد هذا الحديث وبعض طرقه فى السلسلة الصحيحة (٤/ ٣٥٥) ، (٤/ ٣٦١).

(٣) هذا ليس بلازم ، واللفظ الذي في صحيح مسلم : «إني تارك فيكم ثقلين : كتاب الله» فذكر كتاب الله وحض عليه ثم قال : « وعترتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثًا» وهذا مما انفرد به مسلم ، ولم يروه البخاري ، وطعن غير واحد من الحفاظ في قوله : «إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» والحديث الذي في مسلم فيه التذكير بالعترة لا الأمر باتباعهم .

ثم إنّ رواية الترمذي إن صحت فقد تشير إلى أن مجموع العترة وهم بنو هاشم لا يتفقون على ضلالة ، وهو أحد أقوال أهل السنة ، وهو من أجوبة القاضي أبي يعلى ، نقله شيخ الإسلام في المنهاج عنه ، ثم إن اللازم في المجموع لا يستلزم في الأفراد ، فقوله : ﴿فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ فولاية الله كافية إلا أنه ذكر معها ما ذكر تشريفًا للمذكورين ، وهذا واضح ، والحمد لله ، كما أنه فرع عن ثبوت لفظ الترمذي ، وقد تقدم أنه لا يصح ، وليس في رواية مسلم ما يدل على المدعى ، والله أعلم . (خ)

(٤) في ل : عليهم .

من ذكرتم ، بل هم نساء النبي - صلى اللّه عليه وسلم- بدليل سياقها وانتظام ما استدللتم به معه ، فإن اللّه - عز وجل - قال : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾[1] الآية ، ثم استطردها إلى أن قال : ﴿ وَأَقِمۡنَ/[٣٣٧ل] ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ ﴾[2] الآية ، فخطاب نساء النبي - صلى اللّه عليه وسلم- مكتنفًا[3] لذكر أهل البيت قبله وبعده منتظمًا له ، فاقتضى أنهن المراد به ، وحينئذ لا يكون لكم في الآية متعلق أصلاً ، ويسقط الاستدلال بها بالكلية ، سلمناه[4] لكن لا نسلم أن المراد بالرجس ما ذكرتم ، بل المراد به رجس الكفر أو نحوه من المسميات الخاصة ، وأما ما أكدتم به عصمتهم من السنة فأخبار آحاد لا يقولون بها مع أن دلالتها ضعيفة .

وأجابت[5] الشيعة بأن قالوا : الدليل على أن أهل البيت في الآية هم من ذكرنا النص والإجماع ، أما النص فما ثبت عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم- أنه بقي بعد نزول هذه الآية ستة أشهر يمر وقت صلاة الفجر على بيت فاطمة فينادي : «الصلاة يا أهل البيت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾[6]»[7]

(١) سورة الأحزاب ، آية (٣٢) .
(٢) سورة الأحزاب ، آية (٣٣ - ٣٤) .
(٣) في م : مكتنف .
(٤) في ل : سلمنا .
(٥) في ل : وأجاب .
(٦) سورة الأحزاب ، آية (٣٣) .
(٧) رواه الترمذي (٥/ ٣٥٢) ، وأحمد (٣/ ٢٥٩، ٢٨٥)، وفي الفضائل (٢/ ٧٦١) ، ورواه=

رواه الترمذي وغيره ، وهو تفسير منه لأهل البيت بفاطمة ومن في بيتها ، وهو نص ، وأنص منه حديث أم سلمة أنه - صلى اللّه عليه وسلم- أرسل خلف فاطمة وعلي وولديهما ، فجاءوا فأدخلهم تحت الكساء ثم جعل يقول : « **اللّهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي ، اللّهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي** »[١] وفي رواية : « **حامتي ، اللّهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا** » قالت أم سلمة : فقلت : يا رسول [اللّه][٢] ، ألست[٣] من أهل بيتك؟ قال : « **أنت إلى خير** »[٤] رواه أحمد وهو نص في أهل البيت وظاهر في أن نساءه لسن منهم ؛ لقوله لأم سلمة : « **أنت إلى خير** » [رواه أحمد][٥] ولم يقل : بلى أنت منهم .

وأما الإجماع فلأن الأمة اتفقت على أن لفظ أهل البيت إذا أطلق إنما ينصرف إلى من ذكرناه دون النساء ، ولو لم يكن إلا شهرته فيهم كفى ، وإذا ثبت بما ذكرنا[٦] من النص والإجماع أن أهل البيت عليّ وزوجته وولداه فما استدللتم به من سياق الآية ونظمه على خلافه لا يعارضه ؛ لأنه مجمل يحتمل الأمرين /[١٦١ب/م] ، وقصاراه أنه

= الحاكم (٣/ ١٧٢) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ورواه أبو يعلى (٧/ ٦٠) ، والطبراني (٢٢/ ٤٠٢) ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٥/ ٣٦٠) .

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٩٦، ٣٠٤) وفي فضائل الصحابة (٢/ ٥٨٣) ، والطبراني (٢٣/ ٣٩٣)

(٢) سقط من ل .

(٣) زيادة من ل .

(٤) رواه الترمذي (٥/ ٣٥١، ٦٦٣) حديث (٣٢٠٥، ٣٧٨٧) ، والحاكم (٢/ ٤٥١) ، وقال : على شرط البخاري ولم يخرجاه . ورواه الطبراني (٣/ ٥٢ ، ٩/ ٢٥ ، ٢٣/ ٢٤٩ ، ٣٣٣) والبيهقي (٢/ ١٥٠) .

(٥) زيادة من ل .

(٦) في ل : ذكرناه .

ظاهر فيما ادعيتم ؛ لكن الظاهر لا يعارض النص والإجماع ، ثم إن الكلام العربي يدخله الاستطراد والاعتراض وهو تخلل الجمل[١] الأجنبية بين الكلام المنتظم المتناسب ، كقوله -عز وجل- : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم ﴾[٢] فقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٣] جملة معترضة من جهة الله -عز وجل-/[٣٣٨ل] بين[٤] كلام بلقيس ، وقوله -عز وجل- : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾[٥] أي فلا أقسم بمواقع النجوم إنه لقرآن كريم ، وما بينهما اعتراض على اعتراض ، وهو كثير في القرآن وغيره من الكلام العربي ، فلم لا يجوز أن يكون قوله – عز وجل – : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٦] جملة معترضة[٧] متخللة لخطاب نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – على هذا النهج؟ وحينئذ يضعف[٨] اعتراضكم بمرة[٩] .

---

(١) في ل : الجملة .

(٢) سورة ، آية النمل (٣٤) .

(٣) سورة النمل ، آية (٣٤) .

(٤) في ل : من .

(٥) سورة الواقعة ، يية (٧٥ – ٧٧) .

(٦) سورة الأحزاب ، آية (٣٣) .

(٧) في ل : متعرضة .

(٨) سقط من ل .

(٩) دخول الأزواج في ظاهر الآية لا يحتاج إلى دليل منفصل ، ودعوى أنها جملة اعتراضية تفتقر إلى الدليل ، وما استدلوا به ليس قاطعا ، ثم إن امرأة إبراهيم من آله وأهل بيته ، وامرأة لوط من آله وأهل بيته ، بدلالة القرآن ، فكيف لا يكون أزواج محمد من آله وأهل بيته ، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي- صلى الله عليه وسلم – أنه علمهم الصلاة عليه: «اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته» فالأزواج من آل البيت ، وكذا علي وفاطمة ، وحسن ، وحسين ، وليس تخصيصهم بالكساء يمنع أن أزواجه – صلى الله=

وأما الرجس فإنما يجوز حمله على الكفر أو على مسمى خاص لو كان له معهود ، لكن لا[١] معهود له ، فوجب حمله على عمومه ، إذ هو اسم جنس معرف باللام وهو من أدوات العموم .

وأما ما ذكرناه من أخبار الآحاد فإنما أكدنا به دليل الكتاب ، ثم هي لازمة لكم فنحن أوردناها إلزامًا لا استدلالاً .

واعلم أن الآية ليست نصًا ولا قاطعًا في عصمة أهل البيت ، وإنما قصاراها أنها ظاهرة في ذلك بطريق الاستدلال الذي حكيناه عنهم .

قوله - عز وجل - : ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[٢] يحتج به على أن الإناث لا يدخلن في جمع المذكر السالم ، وإلا لكان والمسلمات تكرارًا ، ولأنه حكي عن أم سلمة أنها قالت : يا رسول الله ، ما بال النساء لا يذكرن مع الرجال ؟ أو كما قالت ، فنزلت هذه الآية ، ففهمت أم سلمة أن صيغة المذكر لا تتناول الإناث ، وأقرت على ذلك ووافقها التنزيل فدل على ما قلنا .

وتفصيل المسألة أن اللفظ المختص بأحد القبيلين لا يتناول غيره كالرجال والذكور وكالنساء والإناث ، واللفظ الموضوع لهما يتناولهما كلفظ من ، واختلف في نحو المؤمنين والمسلمين ، هل تتناول الإناث ما لم يدل عليه قرينة؟ على قولين ؛ **أحدهما** : لا ، لما

= عليه وسلم - لسن من جملة آل البيت ، كما أن قوله : ﴿لمسجد أسس على التقوى﴾ كان بسبب مسجد قباء ، لكن اللفظ تناول مسجده أيضًا - صلى الله عليه وسلم - فليس هناك معارضة بين حديث الكساء وبين كون أزواجه - صلى الله عليه وسلم - من آل البيت ، والله أعلم(خ) .

(١) في ل : ما .

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٣٥) .

ذكرنا[١] ، وكما لا يتناول نحو المسلمات والمؤمنات الذكور . **والثاني** نعم ، لأن أكثر خطاب القرآن بهذه الصيغة والحكم فيها يتناول النساء .

وأجيب عنه بأن ذلك إن ثبت فهو بطريق التغليب لا بالوضع ، والنزاع إنما هو فيه لا في دلالة القرائن ، وأما لفظ القوم فهل يختص الرجال أو يتناول القبيلين[٢] ؟ فيه خلاف موضع ذكره /[١٦٢أ/م] في[٣] سورة الحجرات ، إن شاء الله عز وجل .

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[٤] قال بعضهم : هذا تعريض من الله - عز وجل- برسوله - صلى الله عليه وسلم- حيث قال له : ﴿ وَتُخْفِي /[٣٣٩ل] فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾[٥] كأنه قال : لم تفعل ذلك ، وهلّا تكون كهؤلاء الذين يبلغون ، ولا يخشون أحدًا إلا الله .

وجوابه : أن المعلوم من هذا الكلام : أنه مدح لهؤلاء الرسل وثناءٌ عليهم ، وأما كونه تضمن تعريضًا بالنبي - صلى الله عليه وسلم- فغير معلوم ، وبتقدير أن الأمر كذلك [لا يضر][٦] ، إذ لا قدح بذلك في منصب ولا عصمة ، والله - عز وجل - له التصرف في عباده ، رسلًا كانوا أو غيرهم ، بالفعل والقول ، تصريحًا

---

(١) في ل : ذكرناه .

(٢) في م : القبيلتين .

(٣) زيادة من ل .

(٤) سورة الأحزاب ، آية (٣٨ - ٣٩) .

(٥) سورة الأحزاب ، آية (٣٧) .

(٦) سقط من ل .

وتعريضًا ، وإشارة وكناية وكيف شاء .

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[١] احتج به الحجاج على أن الحسن والحسين ليسا ابني رسول الله ﷺ ، ولا يرد عليه قوله - صلى الله عليه وسلم- للحسن : « **إن ابني هذا سيد**»[٢] ؛ لأن إثبات بنوته مجاز ، باعتبار أنه سبطه ومن ذريته ، وسلب الآية أبوته عنه بالحقيقة ، ولا تعارض بينهما ، ولا يرد على الآية ثبوت بنين النبي[٣] - صلى الله عليه وسلم- كإبراهيم والقاسم والطيب ؛ لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ، والآية إنما سلبت أبوته عن الرجال ، وعند التحقيق فالآية ما سيقت لهذا ، إنما المراد منها نفي أبوته الحقيقة[٤] عن زيد ابن حارثة ؛ لأنه لما تبناه ثم تزوج امرأته ، أرجف به المنافقون ، وقالوا : تزوج امرأة ابنه ، وذلك حرام في دينه ؛ فعرفوا أنه ليس ابنه لصلبه ، والمحرم إنما هي زوجة ابنه لصلبه ، كما صرح به في سورة النساء .

والدليل على أن الحسن من ذرية النبي - صلى الله عليه وسلم- نص القرآن على أن المسيح من ذرية إبراهيم ، مع أنه إنما ينتسب[٥] إليه من جهة أمه مريم في قوله - عز وجل - : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾[٦] إلى قوله : ﴿ وَعِيسَىٰ ﴾ ، ونسبة الحسن إلى النبي -

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (٤٠) .

(٢) رواه البخاري كتاب: الصلح ، باب : قول النبي ﷺ للحسن بن علي - رضي الله عنهما - : « **ابني هذا سيد** ... » (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة .

(٣) في ل : للنبي .

(٤) في ل : الحقيقية .

(٥) في م : ينسب .

(٦) سورة الأنعام ، يية (٨٤) .

صلى اللَّه عليه وسلم- نسبة المسيح إلى إبراهيم فكان من ذريته .

﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١) تضمنت هذه الجملة إثبات رسالته - صلى اللَّه عليه وسلم - وموضع تقريره سورة الفتح إن شاء اللَّه - عز وجل - وأنه خاتم النبيين أى : لا نبي بعده .

والدليل عليه هذا النص المعصوم ، وقوله - صلى اللَّه عليه وسلم- : « **أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي**»(٢) .

فإن قيل(٣) : هذا إثبات الدعوى /[١٦٢ب/م] بنفسها فهل من دليل عليها غير ذلك ، [فإن اليهود والنصارى كل واحد من الفريقين يدعي أن نبيه خاتم النبيين لا نبي بعده ، وقد ظهر كذبهم عندكم فبما تنفصلون أنتم عمن يلزمكم ما لزمهم ، وهؤلاء الفلاسفة يدعون قدم العالم ودوامه ، وأن النبوات لا تنقطع بل هي متصلة مستمرة بحسب الحاجة إليها في كل حين .

والصواب : أن معتمدنا في أن محمدًا خاتم النبيين لا نبي بعده ، إنما هو السمع ؛ إذ العقل لا يمنع من ذلك ، غير](٤) أن السمع الذي هو معتمدنا ، ينتهي إلى دليل العقل ، وتقريره : أن القرآن دل دليل النبوة - وهو المعجز النبوي - على أنه كلام اللَّه -عز وجل- ، ودل السمع والعقل على أن كلام اللَّه - عز وجل - حق وصدق ، لا يلحقه باطل ولا كذب/[٣٤٠ل] ، وقد صرح بأنه خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ، فوجب القطع بصحته بهذا الدليل الذي بذاته السمع

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (٤٠) .

(٢) رواه أحمد في الفضائل (٢/ ٩٤١) ، والطبراني (٣/ ٥٧) حديث (٢٦٧٥) ، (٦/ ٢٠٥) .

(٣) في ل : قلت .

(٤) في ل : قلنا : اعلم .

وغايته العقل ، [ولم يثبت لنا مثل هذا الدليل على ما ادعته اليهود والنصارى في أن لا نبي بعد نبيهم ، بل الواقع كذبهم بظهور محمد - صلى اللّه عليه وسلم - نبيًا بعد المسيح ، والمسيح بعد موسى ، وأما الفلاسفة فدعواهم مبنية على قدم العالم أو أبديته ، فإن كان صاحب هذا السؤال منهم ناظرناه في ذلك الأصل كما سبق ، وإن كان من غيرهم ؛ فقد اتفقنا وإياه على بطلان قولهم ، وزال السؤال واندفع الإشكال .

فإن قيل : قد اعترفتم أن العقل لا يمنع من تجدد النبوة ، ثم زعمتم أن دليلكم على عدم تجددها ينتهي إلى العقل ، فلزم أن العقل يمنع من تجددها ولا يمنع معًا ، وهو تناقض .

قلنا : ليس تناقضًا ، لأن الذي يمنعه وقوع النبوة فيما بعد ، والذي لا يمنعه جواز وقوعها ، ولا تناقض بينهما ، ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز .][(١)]

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[(٢)] يحتج به الجمهور على رؤية اللّه - عز وجل - في الآخرة ، بناء على أن اللقاء يقتضي الرؤية لغة أو عرفًا ، وقد سبق .

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾[(٣)] يحتمل أمرين :

أحدهما : تصديقه - صلى اللّه عليه وسلم- في الرسالة وأنه[(٤)]

---

(١) سقط من ل .
(٢) سورة الأحزاب ، آية (٤٤) .
(٣) سورة الأحزاب ، آية (٤٦) .
(٤) في م : و .

إنما دعا إلى اللَّه - عز وجل - بإذن اللَّه [لا فضوليًا ولا متقولاً][(١)] ، فيكون من باب إثبات الرسالة .

ويحتمل أن المراد : وداعيًا إلى اللَّه ، ثم لا يصل أحد إليه إلا بإذنه ، أو لا يهتدي بدعائك أحد[(٢)] إلا بإذنه ، كقوله[(٣)] : ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ ﴾[(٤)] فيحتج به على القدرية في أن أحدًا لا يستقل بالهداية بدون إذن اللَّه -عز وجل .

﴿ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾[(٥)] أي غير منتظرين نضجه وفراغه ، وهذا أدل للمعتزلة على /[١٦٣أ/م] مطلوبهم من قوله : ﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[(٦)] على ما ذكر هناك .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾[(٧)] الآية ، يحتج بها على استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه معًا على ما سبق ، وجوابه في سورة الحج عند : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[(٨)] الآية .

وفي المسألة خلاف ، والأشبه الجواز إذا لم يورث لبسًا أو خللاً في الكلام يخل بالأفهام .

---

(١) سقط من ل .
(٢) بعده في ل : إليه .
(٣) في ل : كقولهم .
(٤) سورة المائدة ، بية (١٦) .
(٥) سورة الأحزاب ، آية (٥٣) .
(٦) سورة النحل ، بية (٣٤) .
(٧) سورة الأحزاب ، آية (٥٦) .
(٨) سورة الحج ، آية (١٨) . وفي ل «ما» بدل ﴿من﴾ في الموضعين

ويحتج بها أيضًا على جواز ما يفعله بعض الناس عقب[١] الصلاة من قوله : السلام عليك يا رسول اللَّه جهرًا أو خفية ، مشيرًا بأصبعه ، أو غير مشير ، لأن اللَّه - عز وجل - عطف الأمر بالسلام عليه على الأمر بالصلاة عليه ، فكما كانت الصلاة عليه مشروعة في الأحوال المذكورة ، كذلك السلام عليه[٢] ، خلافًا لمن منع ذلك وأغلظ فيه .

ويحتج بها على أن الصلاة على النبي - صلى اللَّه عليه وسلم- واجبة للأمر بها المقتضي للوجوب ، ثم هل وجوبها على العين أو الكفاية فيه نظر ، والأشبه أنه على الأعيان ؛ لأن الصلاة عليه جرت مجرى التعظيم له والتوقير ، وذلك فرض العين ، ثم إذا وجبت[٣] على العين خرج تكرارها على أن الأمر يقتضي التكرار أم لا ؟ ، والأشبه أنه لا يقتضيه ؛ فيخرج المكلف عن عهدة وجوبها عليه[٤] بالصلاة عليه مرة في عمره .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾[٥] ههنا[٦] كلام للشيعة نرغب[٧] عن ذكره لصعوبته.

﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾[٨] يحتمل أن يكون ذلك الإغراء بالأمر التكليفي ، ويحتمل أن يكون بالأمر التكويني ، وهو خلق دواعي

---

(١) في ل : عقيب .
(٢) سقط من ل .
(٣) في م : وجب .
(٤) سقط من ل .
(٥) سورة الأحزاب ، آية (٥٧) .
(٦) في ل : هنا .
(٧) في م : يرغب .
(٨) سورة الأحزاب ، آية (٦٠) .

حربهم في قلبه ؛ فيجليهم عن المدينة .

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[١] يحتج به على اطراد العادات ، لأن السنة هي الطريقة والعادة ، وقد نفى أن تتبدل ، وهو المراد من اطرادها .

﴿فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[٢] أي/[٣٤١ل] بالإغواء والكسب عند الجمهور ، وبالخلق عند المعتزلة .

﴿ وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٣] قيل : كان إشارة إلى أن الظلم والجهل غريزة في طبيعة الإنسان كالشيء المتقادم في معدنه [وكذلك هي في صفات الله - عز وجل - نحو ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٤] إشارة إلى أنها في معاني قديمة ، لم تفارق ذاته][٥] .

---

(١) سورة الأحزاب ، آية (٦٢) .

(٢) سورة الأحزاب ، آية (٦٧) .

(٣) سورة الأحزاب ، آية (٧٢) .

(٤) سورة الأحزاب ، آية (٧٣) .

(٥) سقط من ل .

القول في سورة سبأ

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾[١] الآية ، فيه إنكار البعث من الكفار ، وإثباته عليهم بقوله : ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾[٢] الآية .

وبيانه : أنه عالم بكل شيء ، فهو يعلم أجزاء[٣] الموتى المنحلة إليها أجسادهم ، ثم إذا أراد بعثهم /[١٦٣ب/م] ضم تلك الأجزاء بعضها إلى بعض ، فعادوا كما كانوا أول مرة .

﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٤] الآية بيان لغاية البعث وعلته الحكمية ، وحكمته العليه ، فإذا مبنى البعث على العلم لجمع الأجزاء والقدرة لنظمها وتأليفها[٥] كما كانت .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٦] هذا إنكار آخر منهم استغنى عن جوابه بجواب الأول .

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾[٧] احتج به الجاحظ على أن

---

(١) سورة سبأ ، آية (٣) .
(٢) سورة سبأ ، آية (٣) .
(٣) في ل : بأجزاء .
(٤) سورة سبأ ، آية (٤) .
(٥) في ل : وتألفها .
(٦) سورة سبأ ، آية (٧) .
(٧) سورة سبأ ، آية (٨) .

بين الصدق والكذب واسطة ، وهي الجنة التي ادعوها ، إذ ليست صدقًا قطعًا ولا كذبًا لمقابلتها الكذب ، فلزم أنها واسطة بينهما لا صدقًا ولا كذبًا ، وقد اختلف في الصدق والكذب ؛ فقيل : هما الخبر المطابق واللامطابق مطلقًا فعلى هذا لا واسطة بينهما ؛ لأن الخبر إن طابق فصدق ، وإلا فكذب ، وقيل : إن طابق فصدق وإن لم يطابق ، فإن علم المتكلم بعدم مطابقته فكذب ، وإن لم يعلم فخطأ لا كذب ،وهذا الاصطلاح(١) وعليه الآية ، لأنهم نسبوه إلى أنه أخطأ في إخباره عن البعث عن غير عمد للكذب فصار في خطائه كذي الجنة ، لا يدرى ما يقول .

﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾(٢) أي سبحي معه ﴿ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾(٣) هذه خوارق معجزات ووجهها أن يخلق في الجبال حياة تسبح بها والطير أقرب إلى ذلك لحيوانيتها ، وإلانة الحديد بأن يخلق فيه لينًا ابتداءًا ، أو بنار كامنة فيه ، أو بتغليب الجزء المائي عليه ونحوه والكل ممكن .

[وعند الاتحادية أنه سرى بذاته في الجبال والطير ، وسبح منهَا نفسه كما مرَّ](٤)

﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾(٥) يحتج به على أن الشكر بالعمل والحمد بالقول بدليل : ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾(٦) وقيل : الشكر الاعتراف

---

(١) في ل : اصطلاح .

(٢) سورة سبأ ، آية (١٠) .

(٣) سورة سبأ ، آية (١٠) .

(٤) سقط من ل .

(٥) سورة سبأ ، آية (١٣) .

(٦) سورة النمل ، آية (٩٣)

بالنعمة ، وضده الكفر . والحمد : الثناء على الحي بأوصافه الجميلة وضده الذَّم .

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾[١] يعني قوله : ﴿ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢] ودلت هذه الآية على أنه قال ذلك ظنًّا وحدسًا ، وهو شأنه وشأن كل مخلوق ، إذ لا يعلم الغيب إلا اللَّه - عز وجل/[٣٤٢ل] .

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ﴾[٣] أي من قوة وتصرف يجبرهم به على المعصية ، إنما كان يدعوهم ويوسوس لهم ، وهو موافق لقوله :

﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾[٤] ، ﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[٥] أى لنعلم العلم [العام][٦] المشترك بيننا وبينهم ، الذي تلزمهم به الحجة في ظاهر العدل ، وإلا فاللَّه - عز وجل - لم يزل عالمًا بالمؤمن من غيره قبل خلقهم /[١٦٤أ/ م] لكن علمًا اختصّ به لا تلزمهم به الحجة في ظاهر العدل ، وإن لزمتهم به في باطن العدل ، كما قالته[٧] الجبرية ، إذ اللَّه - عز وجل- غير متهم على خلقه .

---

(١) سورة سبأ ، آية (٢٠) .

(٢) سورة الإسراء ، آية (٦٢) .

(٣) سورة سبأ ، آية (٢١) .

(٤) سورة إبراهيم ، آية (٢٢) .

(٥) سورة سبأ ، آية (٢١) .

(٦) زيادة من ل .

(٧) في ل : قالت .

﴿ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾[١] اعلم أن المكلف إما مصدق بالآخرة جازم أو مكذب بها جازم أو شاك فيها متردد ، وهو ملحق بالمكذب ، لأن الإيمان هو التصديق الجازم والشك والتردد ينافي الجزم .

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٢] هذا وعيدي محكم .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[٣] قيل : معناه للناس كافة ، ففيه التصريح بعموم الدعوة وقيل : كافًا لهم عن الشرك والشر ، والتاء للمبالغة مثلها في : علامة ونسابة[٤] وداهية[٥] .

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾[٦] الآية ، تقتضي أن الجن ليسوا من الملائكة ، وإلا كان ذلك ضعفًا في حجة الملائكة ، إذ ينفون المعبودية عنهم ويضيفونها إلى طائفة منهم ، ويتبع هذا أن إبليس من الجن ، لا من الملائكة كما سبق .

---

(١) سورة سبأ ، آية (٢١) .
(٢) سورة سبأ ، آية (٢٥) .
(٣) سورة سبأ ، آية (٢٨) .
(٤) في ل : كسابة .
(٥) في ل : دهاية .
(٦) سورة سبأ ، آية (٤٠) .

القول في سورة الملائكة

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾[(١)] دليل[(٢)] على عصمتهم إذ لا يؤمن على الوحي يبلغه إلا معصوم .

﴿ أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[(٣)] هذا خرق لعادة الناس ، فبين أن ذلك زيادة في الخلق ، وأنه إلى اختياره ومشيئته ؛ فقال : ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾[(٤)] .

﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم ﴾[(٥)] الآية من أدلة التوحيد كما سبق .

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[(٦)] يحتج به الجمهور كما سبق ودل على أنه هو الذي يزين للمجرم سوء عمله ، في قوله - عز وجل - ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[(٧)] ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾[(٨)] إلى ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[(٩)] إثبات للبعث والمعاد بالقياس على إحياء الأرض بالمطر والنبات .

---

(١) سورة فاطر ، آية (١) .

(٢) في ل : دليلاً .

(٣) سورة فاطر ، آية (١) .

(٤) سورة فاطر ، آية (١) . وفي ل : « كيفما » بدل ﴿ما﴾ .

(٥) سورة فاطر ، آية (٣) .

(٦) سورة فاطر ، آية (٨) .

(٧) سورة فاطر ، آية (٨) .

(٨) سورة فاطر ، آية (٨) .

(٩) سورة فاطر ، آية (٩) .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[(١)] يحتج به أصحاب الجهة ؛ لأن حقيقة الصعود إلى فوق ، وقد بينه النبي[(٢)] - صلى الله عليه وسلم- بقوله : ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم الحديث ، وينتظم الدليل هكذا الأعمال تصعد إلى [الله ، والأعمال تصعد إلى][(٣)] فوق ، فالله في جهة فوق . وأجيب/ [٣٤٣ل] عنه بما سبق من أن[(٤)] الصعود والفوقية معنويان لا حسيان ، وإلا لزم التحيز والجسمية[(٥)] .

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾[(٦)] احتج به المعتزلة على أن القاتل يقطع حياة المقتول ، وينقص من عمره ، وقد دلت هذه الآية على جوازه وإليه وإلى نحوه الإشارة بها كالطبيب يسيء تدبير مزاج المريض ، فيقتله ونحو ذلك .

وجوابه أن الأجل /[١٦٤ب/م] والعمر لا ينقص عما في علم الله -عز وجل- لما مر من النصوص عليه نحو : ﴿ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[(٧)] ، ومعنى هذه الآية ، ما يعمر من معمر ، ولا ينقص غيره عن عمره بأن يعيش المعمر مائة سنة ، وينقص آخر من عمر ذلك المعمر فيعيش خمسين ، وقيل : ينقص الإنسان من عمره بالنسبة إلى بنيته الصالحة لتعميره أكثر من ذلك مثل أن يعيش خمسين

---

(١) سورة فاطر ، آية (١٠) .

(٢) زيادة من ل .

(٣) زيادة من ل .

(٤) سقط من ل .

(٥) بل هما على حقيقتهما ، ولا يلزم من ذلك التحيز والجسمية ، والله أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات ، وراجع المقدمة .

(٦) سورة فاطر ، آية (١١) .

(٧) سورة يونس ، آية (٤٩) .

وبنيته وتركيبه يصلح لتعمير مائة ، وقيل غير ذلك ، وبالجملة ليست نصًا فيما قالوه[١] ، فلا تعارض النصوص فيما[٢] قلناه .

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[٣] الآية ، إن قيل : كيف يكون المصطفى ظالمًا ؟ قيل : إنما يمتنع ذلك في شخص واحدٍ من وجه واحد ، والمصطفى ههنا[٤] أمة متعددة الأفراد ، فاصطفاؤها من حيث جملتها وظلمها من جهة أفرادها ، وذلك لا يمتنع .

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾[٥] ، أى : بإرادته ، ويحتج به الجمهور في أن إذن اللّه وإرادته وعلمه وقدرته هي المؤثرة في السبق والظلم والاقتصاد والشقوة والسعادة ، وأن الإنسان لا يستقل بشيء من ذلك .

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٦] يحتج به على أن دخول الجنة بفضل من اللّه -عز وجل- لا عوض عن الطاعات .

---

(١) في ل : قاله .

(٢) في ل : على ما .

(٣) سورة فاطر ، آية (٣٢) .

(٤) في ل : هنا .

(٥) سورة فاطر ، آية (٣٢) .

(٦) سورة فاطر ، آية (٣٥) .

القول في سورة يس

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[١] إثبات لرسالته - صلى اللّه عليه وسلم - وبرهانها يأتي إن شاء اللّه -عز وجل .

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾[٢] احتج بها بعض النصارى على اختصاص رسالة محمد - صلى اللّه عليه وسلم - بالعرب ؛ لأنهم هم الذين لم ينذر آباؤهم ، أما بنو إسرائيل من اليهود والنصارى فقد أنذر آباؤهم بالرسل والكتب ، فليس هو مرسّلا إليهم .

والجواب أن المراد ما أنذر آباؤهم [بالرسل والكتب][٣] في الفترة ، وهي ما بين عيسى ومحمد ؛ فيعم الأمم كلها ثم هذا [الاستدلال][٤] بمفهوم ضعيف ؛ فلا يعارض النصوص على عموم دعوته ، وأيضًا من سلم أنه رسول إلى العرب لزمه تصديقه في دعوى عموم الرسالة والدعوة .

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٥] يعني القول المذكور/[٣٤٤ل] في قوله :﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٦] ، ولما حق القول القديم عليهم[٧]

(١) سورة يس ، آية (٣) .

(٢) سورة يس ، آية (٦) .

(٣) زيادة من ل .

(٤) في ل : استدلال .

(٥) سورة يس ، آية (٧) .

(٦) سورة السجدة ، آية (١٣)

(٧) سقط من ل

بذلك وجب تحقيقه عند وجودهم بإجبارهم على المراد منهم بخلق الدواعي والصوارف في قلوبهم الموجبة لذلك ، وإليها الإشارة بالأغلال في أعناقهم والسَّد من بين أيديهم ومن خلفهم ومن أراد أن ينظر إلى عظمة اللَّه -عز وجل- /[١٦٥أ/ م] فلينظر إلى هذا حيث جبر خلقه على ما يريد منهم ، بحيث لا خروج لهم عنه ولا خلاص لهم منه ، ثم هو يحاكمهم إلى عقولهم فتقضي عقولهم عليهم ، وما ذاك إلا لأن الخلق[١] عبيده والعقول خلقه وجنوده ، فلم يجعل في فطرها إلا ما عليه فطرها ، وهو القضاء على ذويها بحكم كسبها الظاهر ، وعدم إقامة عذرهم بالجبر الإلهي الباطن ، فللَّه فيهم الإرادة الغالبة وعليهم الحجة البالغة .

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾[٢] استدلال على التوحيد ، وتقريره هكذا : لا شيء من الآلهة بنافذ الإرادة ، والإله الحق نافذ الإرادة ، فلا شيء من الآلهة بإله حق .

﴿وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ﴾[٣] هذا إثبات للبعث .

﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾[٤] إشارة إلى دليل البعث المذكور قبلها ، وهو الدليل المشهور في قياس البعث على إحياء الأرض .

وكذلك ﴿ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ ﴾[٥] حجة على البعث ؛ لأن

---

(١) سقط من ل .
(٢) سورة يس ، آية (٢٣) .
(٣) سورة يس ، آية (٣٢) .
(٤) سورة يس ، آية (٣٧) .
(٥) سورة يس ، آية (٣٧) .

الليل مظلم كثيف كالعظام البالية مظلمة ، لعدم الحياة ، كثيفة لتمحض طبيعة[١] الأرض فيها ، ثم إن النهار مشرق لطيف ،كالجسم الحي مشرق بنور الحياة ، لطيف بما فيه من العنصر المائي اللطيف ثم لما كان سلخ النهار من الليل ممكنًا ، فكذلك إخراج الأجساد الحيَّة من العظام البالية ، ثم ذكر مع هاتين الحجتين على البعث حججًا أخر على وجود الصانع لمن ينكره ، وهي جريان الشمس لمستقر لها ، وتقدير القمر منازل ، وحمل الناس في الفلك المشحون ، وتقريره : أن هذه أفعال وآثار عظيمة ؛ فتستدعي مؤثرًا قطعًا ، ثم يستدل على قدمه ووحدانيته كما سبق .

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾[٢] الآيات فيهن إثبات البعث ونفخ الصور ونحوه . من أحكام الآخرة .

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾[٣] أي تطيعوه ، وفيه إشارة إلى أن العبادة هي الطاعة ، وهي كذلك ، غير أنها في العرف العام هي الطاعة على جهة الذل والخضوع .

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾[٤] يعني بالإغواء والوسوسة ، إذ لم يكن له عليهم سلطان إلا أن دعاهم فاستجابوا له ، فبقيت الأفعال مترددة بين الله - عز وجل - بالخلق ، والعباد بالكسب .

﴿ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[٥] /

---

(١) سقط من ل .

(٢) سورة يس ، آية (٤٩) .

(٣) سورة يس ، آية (٦٠) .

(٤) سورة يس ، آية (٦٢) .

(٥) سورة يس ، آية (٦٥) .

[٣٤٥ل] هذا من خوارق العادات في الآخرة ؛ لأن العادة اطردت اليوم بظهور الكلام من فم وشفتين ولسان ومخارج وأسنان ، فإذا سمع العقل بصدور كلام[١] على غير هذه الصفة استغربه ، وحقيقة الكلام إنما [هي صوت][٢] مفهم خارج من /[١٦٥ب/م] جسم ، وهو من اليد والرجل وسائر الأعضاء ممكن ، قريب بأن يخلق فيها الصوت المفهم ، وقد يمكن أن ينقل الفم إلى اليد ؛ فتنطق به ، وهل اختصاص الفم بالوجه إلا عادة اطردت ، وإلا فنسبته من حيث هو إلى سائر الأعضاء واحدة .

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[٣] ، بقطع مادة الروح الباصر عنها ، أو بالتحام الجفنين أو غير ذلك .

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ[٤]﴾[٥] بسلب الحياة والرطوبة من أجسادهم ، فتتمحض طبيعة الأرض فيها فيعودون جمادًا .

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾[٦] يعني صيانة لمعجز القرآن أن ينسب إلى الشعر ، فتمكن الشبهة وتضعف الحجة ، وهو من باب ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾[٧] وعلى هذا اختلف فيما ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - [من قوله][٨] :

---

(١) في ل : الكلام .
(٢) في ل : هو صدور .
(٣) سورة يس ، آية (٦٦) . وفي ل : «شئنا» ، بدل ﴿نشاء﴾ .
(٤) في م : مكاناتهم .
(٥) سورة يس ، آية (٦٧) .
(٦) سورة يس ، آية (٦٩) .
(٧) سورة العنكبوت ، يية (٤٨) .
(٨) زيادة من ل .

«أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبد المطلب»[١]

وقوله :

«هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت»[٢] .

وقوله :

«إن تغفر اللهم تغفر جمًا وأي عبد لك ما ألما»[٣] .

وقوله :

«اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا»[٤] .

فمن أهل العلم من قال : هذا رجز ، وحكم بأن الرجز ليس بشعر ، طردًا لعموم ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾[٥] ومنهم من سلم أن الرجز شعر ، وهو مذهب الخليل والأكثرين ، لكن أجابوا بوجوه :

أحدها : أن هذا كلام موزون كان يصدر عنه - صلى الله عليه وسلم - إتفاقًا لا قصدًا لوزنه[٦] ، ويسمى انسجامًا لجودة القريحة وكمال الفطرة ، وقد وقع مثله في القرآن كثير ، نحو ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٧] ، وفي كلام الناس قول بعض المرضى

---

(١) رواه البخاري (٣/١٠٥١ ، ١٠٥٤ ، ١٠٧١، ١١٠٧ البغا) حديث (٢٧٠٩ ، ٢٧١٩ ، ٢٧٧٩ ، ٢٨٧٧) ، ومسلم (٣/١٤٠) حديث (١٧٧٦) .

(٢) رواه البخاري في الجهاد باب : من يُنكب في سبيل الله .... ، حديث (٢٨٠٢) ، وطرفه في (٦١٤٦) ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، حديث (١٧٩٦) .

(٣) تفسير الطبرى (٢٧/٦٦) .

(٤) رواه البخاري (٣/١٠٤٣ ، ١١٠٣ ، ١٥٠٧ ، ١٥٣٧ البغا) حديث (٢٦٨١ ، ٢٦٨٢ ، ٢٨٧٠ ، ٣٨٨٠ ، ٣٩٦٠ البغا) ، ورواه مسلم (٣/١٤٢٧) رقم (١٨٠٢) .

(٥) سورة يس ، آية (٦٩) .

(٦) في ل : لرويه .

(٧) سورة الحجر ، آية (٤٩) .

لأهله : اذهبوا بي إلى الطبيب ، وقولوا قد اكتوى .

ويحكى أن جماعة من الشعراء جاءوا إلى منزل أوس بن حجر ليشاعروه ؛ فخرجت إليهم بنت له صغيره ، فقالت : ما تريدون من أبي ، قالوا : جئنا للنشاعره[١] ؛ فقالت :

تجمعتم من كل أوبٍ ووجهة على واحد لازلتم قرن واحد

فعادوا مغلوبين ، وهذا شعر جيد متين صدر عنها انسجامًا ، ما[٢] لم تقصده ، فهذا سبيل ما صدر عنه - صلى اللّه عليه وسلم- من الرجز على قلته وندوره .

الوجه الثاني : أن الشعر هو ما سمي به الإنسان شاعرًا ، وهو نظم القصيد المتعدد الأبيات اللازم للوزن والروي ، ويطرد ذلك من صاحبه [٣٤٦ل] وليس كذلك ما صدر عنه[٣] - صلى اللّه عليه وسلم - فإن مجموع ما صدر عنه من ذلك هذا الذي أوردناه لا نحفظ[٤] عنه غيره ، وهو أبيات رجزية ، فاذة في أغراض مختلفة .

الثالث : أنهم أوردوا /[١٦٦أ/م] الكلام المذكور عنه بتحريك أواخره ، أو سكونها ليخرج عن حد النظم إلى حد النثر ؛ فقالوا : أنا النبي لا كذبَ ، بفتح الباء أنا ابن عبد المطلب بكسرها ، وكذلك دميت ولقيت بسكون التاء فيهما ، وما عدا هذين البيتين فمسموع قبله لغيره ، فقوله : «إن تغفر اللّهم» البيت محفوظ عن زيد بن عمرو بن نفيل ، أو عن أمية بن أبي الصلت ، وقوله : لولا أنت ما اهتدينا ،

---

(١) في ل : لنشاعره .
(٢) زيادة من ل .
(٣) في ل : منه .
(٤) في ل : يحفظ .

محفوظ عن عامر بن الأكوع رجزية في طريقهم إلى خيبر ، وحينئذ يكون النبي - صلى اللّه عليه وسلم - حاكيًا له متمثلاً به لا منشئًا له ، كما كان يتمثل بقول طرفة : ويأتيك من لم تزود بالأخبار ، وبكسره هكذا تحقيقًا لقوله - عز وجل - : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾[1] وكذا قوله : «**اللّهم لا عيش إلا عيش الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجرة**» وهو نثر لا نظم ، وربما قال : **فاغفر للمهاجرين والأنصار**» .

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[2] إلى قوله - عز وجل - : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[3] الآية ذكر في الأثر أن أبي بن خلف ، أو عقبة بن أبي معيط أخذ عظمًا نخرًا ، وقال : يا محمد ، أترى اللّه يبعثني إذا صرت مثل هذا؟ قال : « **نعم يبعثك ، ثم يدخلك النار** »[4] ، فنزلت هذه الآيات[5] مشتملة على جملة من أدلة البعث أحدها هذا وهو قياس الإعادة على الإبداء أي الذي ابتدأها ، أولاً يعيدها ثانيًا بجامع الإمكان والقدرة التامة ، وقد سبق هذا .

ثم احتجت النصارى بهذه الآية على إلهية المسيح إلزامًا للمسلمين ، وتقريره : أن المسيح أحيا العظام وهي رميم ، وكل من

---

(١) سورة يس ، آية (٦٩) .

(٢) سورة يس ، آية (٧٧) .

(٣) سورة يس ، آية (٧٩) .

(٤) رواه الطبري (٢٣/ ٣٠) ، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩) من طريق هشيم بل مثل رواية ابن أبي حاتم . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٠٧) عن ابن عباس ، وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث ، والضياء في المختارة.

(٥) في ل : الآية .

أحيا العظام وهي رميم فهو الذي أنشأها أول مرة ، فالمسيح هو الذي أنشأها أول مرة ، أما الأولى فلنصوص القرآن والإنجيل وإجماع الملتين على أن المسيح [أحيا الموتى ، وأما الثانية فلهذه الآية إذ اقتضت أن لا محيي للعظام إلا منشئها أول مرة ؛ فثبت أن المسيح][١] منشىء العظام أول مرة ، ومنشيء العظام أول مرة هو اللَّه فالمسيح هو اللَّه ، وهذه شبهة روجوها هكذَا والغلط فيها واضح ، فإن قولهم : المسيح أحيا العظام وهي رميم ، إن أرادوا أنه أحياها مستقلاً بإحيائها ، فهو ممنوع ، وإن أرادوا أنه أحياها بإذن اللَّه كما صرح به القرآن ، فإن أخذوا المقدمة الأخرى مقيدة بهذا القيد منعناها أيضًا ، وإن أخذوها بدونه لم[٢] يتحد الأوسط/[٣٤٧ل] في القياس ، فلا تنتج ، إذ يصير هكذا : المسيح أحياها بإذن اللَّه ، وكل من أحياها مطلقًا هو الذي أنشأها ، فالوسط كما تراه غير متحد ، ثم ما ذكروه معارض بأن اللَّه يحيى العظام /[١٦٦ب/ل] مستقلاً بإحيائها والمسيح أحياها غير مستقل بإحيائها ، فاللَّه غير المسيح فالمسيح غير اللَّه ، أو نقول المسيح أحياها بإذن اللَّه ، ولا أحد ممن أحياها بإذن اللَّه بإله[٣] ؛ فالمسيح ليس بإله[٤] ، أما الأولى فلنص كتابنا ونص الإنجيل أنه كان إذا أراد إحياء ميت صلى ودعا وبكى وخضع ، وذلك دليل على عدم استقلاله بذلك[٥] بدون إذن اللَّه[٦] ، وأما الثانية ؛ فلأن الحاجة إلى

---

(١) سقط من ل .

(٢) في ل : فلا .

(٣) في ل : بالإله .

(٤) في ل : بالإه .

(٥) سقط من ل .

(٦) سقط من ل .

الإذن دليل على قصور في القدرة ، ولا أحد ممن هو قاصر القدرة بإله[١] فهذا هو البرهان الواضح لا ما روجوه وغالطوا فيه .

ثم قوله - عز وجل - : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[٢] ، إشارة إلى ما ذكرناه في قوله : ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾[٣] الآية في سبأ .

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾[٤] الآية تضمنت الدليل الثاني على البعث ، وبيانه أن الذي أحاله منكر.

والبعث هو إخراج الجسم الحي المشتمل على الحرارة والرطوبة من عظم نخر ، قد استولت عليه طبيعة التراب الباردة اليابسة ، وذلك إخراج ضد من ضد وإيجاد طبع الحياة من طبع الموت ، وأنه محال فيما زعموا فقيل لهم : فهذا الشجر الأخضر الرطب قد أخرجنا لكم منه نارًا في غاية اليبوسة ، أنتم تستخرجونها بأيديكم من المرخ والعفار وغيرهما من الأشجار وهو إخراج يابس من رطب وضد من ضد ؛ فإذا[٥] جاز إخراج يابس النار من رطب الشجر ، فلم لا يجوز إخراج رطب الحي من يابس العظم النخر ؟ فإما أن تأتوا بفرق صحيح بين الصورتين ولن تجدوا ، أو تمنعوا الجواز في الصورتين ولن تستطيعوا لثبوته عيانًا في إخراج النار من الشجر أو تسلموا الجواز في الصورتين وهو المطلوب .

---

(١) في ل : بالإله .

(٢) سورة يس ، آية (٧٩) .

(٣) سورة سبأ ، آية (٣) .

(٤) سورة يس ، آية (٨٠) .

(٥) في ل : وإذا .

فإن قال قائل : إن إخراج الجسم الرطب الحي من العظم اليابس ، محال لاحتياج الجسم إلى الرطوبة وهي معدومة في العظم الترابي اليابس بخلاف إخراج النار من الشجر الأخضر لجواز كمون[١] النار في الشجر لغلبة العنصر الناري عليه ، فتقاوم رطوبة الشجرة[٢] ما يقابلها من النار وتبقى بقية النار لا معارض لها تخرج عند استخراجها بالقدح ، ومثل هذا التوجيه لا يتأتى[٣] في إخراج الحي من العظم فظهر الفرق . [٣٤٨ل]

فالجواب أن الاحتجاج لم يقع على توجيه إخراج الحي من العظم [الميت][٤] بالتوجيه الطبيعي الذي ذكرتموه ، حتى يصح مقتضى[٥] هذا الفرق ، وإنما وقع على جواز إخراج الضد الطبيعي من ضده على طريق الإلزام لكم على [مقتضى] شبهتكم ، وإخراج الضد من ضده مشترك بين الصورتين ، إذ إخراج اليابس /[١٦٧أ/ م] من الرطب ، وإخراج الرطب من اليابس كلاهما يجمعه إخراج ضد من ضد[٦] .

أما توجيه حصول الرطوبة للجسم ، فذاك ثبت[٧] بدليل آخر وهو أنه ممكن ، وكل ممكن مقدور ، وبيان إمكانه أنه يجوز أن تستخرج له رطوبية[٨] مائية من الأرض ، أو تمطر عليه من السماء ، أو تخترع

---

(١) في ل : أن تكون .
(٢) في ل : الشجر .
(٣) في ل : يأتي .
(٤) سقط من ل .
(٥) زيادة من ل .
(٦) في ل : ضده .
(٧) في ل : يثبت .
(٨) في ل : رطوبة .

له اختراعًا ، وقد ورد أن الأرض تمطر عند إرادة البعث أربعين يومًا مطرًا كمني الرجال .

وحينئذ لا يبعد أن تجعل في الأرض حرارة كحرارة الرحم يتولد منها ، ومن ذلك الماء الغليظ اللزج ما تقوم به الأجسام حية ، ثم هذا البذر يقع يابسًا في أرض يابسة فتهتز بعد أيام خضراء يعصر فيخرج منه الماء ، فمن أين ذلك؟

والجواب مشترك ، أما قولكم لجواز كمون النار في الشجر : فالكُمون عندنا باطل ، وأنتم عند المحاقة لا تقدرون على إثباته ، فإنا لو قطعنا شجرة النار[1] وشرحناها بأبلغ ما يكون ما وجدنا للنار أثرًا لا عيانًا ولا لمسًا ولا غيره ، وإنما النار يخلقها اللّٰه -عز وجل- عند القدح ، وغاية ذلك أن يكون اختصاص هذه الشجرة بإخراج النار منها لطبيعة مناسبة للنار لكن ذلك لا يدل على كمون النار فيها على أن في كل شجر نارًا ، فلا اختصاص لبعضه دون بعض بذلك ، وإنما هو كما قلنا مخترع عند استخراجه .

قوله : لغلبة الجزء الناري عليه ، قلنا : العنصر الناري الكامن في الشجرة إما فاسد الصورة أو موجود الصورة ؛ فإن كان فاسد الصورة فليس ذلك بنار كالعنصر الناري في الإنسان لا يسمى نارًا موقدة ولا يوقد منها .

وإن كان موجود الصورة قائمها ، فإما أن يكون غالبًا للجزء المائي ، أو مغلوبًا[2] له أو مكافئًا مقاومًا ، فإن كان غالبًا له ، وجب

---

(١) سقط من ل .

(٢) في ل : معلومًا .

أن يحرقه ثم يستولي على أثره في الشجرة ، وهو رطوبتها فيذهبها ثم على جرم الشجرة فيحرقها بالكلية ، والعيان بخلافة ، وإن كان مغلوبًا للمائي وجب أن ينطفيء لغلبة المائي عليه .

وحينئذ [يجب][1] أن لا تخرج النار من الشجرة بالقدح والاستخراج ، والعيان بخلافه ، وإن كان مكافئًا مقاومًا ، وجب إذا شرحنا الشجرة أن نحسه عيانًا ، أو لمسًا/[٣٤٩ل] لأن الفرض أن صورته النارية قائمة لا فاسدة والعيان خلافه ، فهذه الأقسام حاصرة وكلها باطلة ، فبطل قولكم بكمون النار في الشجر لغلبة العنصر الناري عليه ، ثم قوله : تبقى بقية النار لا معارض لها يخرج عند استخراجها ، قلنا : إن بقيت فاسدة الصورة ، فليست بنار ، وإن بقيت بصورتها النارية ، وجب أن تحرق ما تلاقيه من أجزاء الشجرة / [١٦٧ب/م] إذ الفرض أنه لا معارض لها ، فتبين بطلان الفرق المذكور من كل وجه .

ثم إن المزاج إنما هو كيفية متوسطة حاصلة عن تفاعل العناصر بعضها في بعض وإذا تفاعلت كسر كل منها صورة[2] الآخر وذهبت صورته بالكلية ، ففرض كمون أحد العناصر بصورته في الجسم محال ، نارًا كان ذلك أو غيره .

وإنما أطلنا الكلام ههنا لوجهين :

أحدهما : لئلا يظن ظان أن الفرق المذكور مؤثر ، فلا يثق بدليل القرآن ،

---

(١) في ل : وجب .

(٢) في م : سورة .

الثاني : الإعلام بأن براهين القرآن بعد كل سؤال وجواب وتشكيك من ذي ارتياب تظهر أنها قوية متينة واضحة مبينة سالمة عن المبطلات[١] ، مستولية بالإبطال على الشبهات .

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ﴾[٢] الآية تضمنت الدليل الثالث على البعث ، وقد سبق ، وتقريره : أن خلق السماوات والأرض أعظم من إعادتهم يعني منكري البعث ، والقادر على الأعظم هو على الأيسر أقدر ، أو يقال : إعادتهم أهون من خلق السماوات والأرض ، فهو قادر عليها بطريق أولى ، ودليل ذلك النص والنظر ، أما النص فقوله -عز وجل- : ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[٣] وأما النظر فلأن الإنسان عالم صغير والسماوات والأرض هما العالم الأكبر ، والأكبر أعظم من الأصغر ، كما أن الأصغر أيسر من الأكبر ، ومن أتقن علم الهيئة والطب بحيث يقف على عجائب أشكال الأفلاك ودوائرها ، وبدائع عجائبها وأجناس ما في السماوات والأرض وأنواعها وأصنافها وأشخاصها علم أن في ذلك من الحكمة وبديع الصنعة أضعاف ما في بدن الإنسان من الحكمة التي عرفت بالتشريح .

ثم إنه - عز وجل - لما قرر أدلة البعث ، ذكر مستندها جملة وهو عموم القدرة على جميع الممكنات فقال : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٤] أي ، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه غيره من الآلات/[٣٤٩ل] والعلاجات .

---

(١) في ل : البطلان .

(٢) سورة يس ، آية (٨١) .

(٣) غافر (٥٧) .

(٤) سورة يس ، آية (٨٢) .

وربما قال قائل : إنما دلَّ هذا الدليل على أنه قادر على أن يخلق مثل الناس ، وهو ابتداء خلق والنزاع في الإعادة لا في ابتداء الخلق ، فيقال : لعله نبه بهذا على أنه على الإعادة أقدر ، إذ قد[1] تقرر في سورة الروم وغيرها أن الإعادة أهون من الابتداء ، أو يكون مراده بيخلق مثلهم يعيدهم مثل ما كانوا ، والأمر قريب ، والله -عز وجل- أعلم بالصواب .

---

(١) زيادة من ل .

القول في سورة الصافات

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾[١] احتجاج على[٢] /[١٦٨أ/م] الوحدانية أي أن رب هذا الملك لا ينبعى أن يكون إلا واحدًا بدليل التمانع السابق ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾[٣] الآيات فيها إثبات الشياطين واستراقهم السمع ورميهم بالشهب .

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٤] فيه إنكار البعث من الكفار .

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾[٥] إشارة إلى نفخة البعث في الصور .

﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٦] إثبات لنبوته - صلى الله عليه وسلم- وتصديقه الرسل في التوحيد .

﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾[٧] إلى ﴿ يُهْرَعُونَ ﴾[٨] متضمن لإثبات

---

(١) سورة الصافات ، آية (٤ ،٥) .
(٢) سقط من ل .
(٣) سورة الصافات ، آية (٧)
(٤) سورة الصافات ، آية (١٦) .
(٥) سورة الصافات ، آية (١٩)
(٦) سورة الصافات ، آية (٣٧)
(٧) سورة الصافات ، آية (٣٨)
(٨) سورة الصافات ، آية (٧٠)

العذاب والنعيم الحسيين خلافًا للفلاسفة والنصارى .

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾[١] وجه الفتنة فيها أنهم قالوا : النار تأكل الشجر ، فلا تبقى شجرة الزقوم فيها ؛ فكذبوا بها ، وإنما فتنهم الارتباط بالمعتاد ، والآخرة تنخرق فيها العادات .

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[٢] تنازع الفريقان في هذا ؛ فالجمهور قالوا : معناه والله خلقكم وعملكم ، وجعلوا ما مصدرية ؛ فتدل على أن أعمالهم مخلوقة لله عز وجل .

والمعتزلة قالوا : [معناه][٣]خلقكم والذي تعملون فيه يعني : الأصنام ؛ لأن المعنى عليه ، إذ[٤] المراد : أن الله خلقكم وخلق معبودكم ، ومعبودهم هو الوثن المنحوت المعمول فيه النحت [٥] ، لا نفس العمل الذي هو النحت ، قالوا : ولو كان المراد : خلقكم وأعمالكم ،لقالوا لإبراهيم : إذا كان قد خلقنا وأعمالنا فلا لوم علينا في أعمالنا كما لا لوم علينا في ذواتنا المخلوقة له .

والجمهور قالوا : أراد[٦] بذلك الإخبار [بعموم إلهيته][٧] وقدرته

---

(١) سورة الصافات ، آية (٦٢ - ٦٤) .

(٢) سورة الصافات ، آية (٩٥ - ٩٦) .

(٣) زيادة من ل .

(٤) في ل : أن .

(٥) هذا ليس بمسلم ، لأنه حينئذ يكون أنكر الخشب والحجر عليهم ، وإنما أنكر إبراهيم - عليه السلام- معبودهم المنحوت ، ولم يصر منحوتًا إلا بعملهم ، فلو لم تكن الآية تتناول أعمالهم فإلى أي شيء يتوجه الإنكار ، فإنه ليس وراء ذلك إلا الخشب والحجر ، وهذا نبه عليه جمع من أهل العلم ، فتأمله فإنه دقيق(خ) .

(٦) في ل : أريد .

(٧) في ل : لعموم الإلهية .

على العامل وعمله ومحل عمله ، حتى لا يخرج عن دائرة قدرته شيء ، كما قال : ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[١] وهم تمسكوا بظاهر اللفظ وعمومه ، والمعتزلة تمسكوا بمعناه على ما قلناه[٢] ، وغايتها / [٣٥١ل] أن تكون من متشابه هذا الباب ، فيرد إلى محكمه ، وهو مع الجمهور كما عرف في مواضعه[٣] .

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[٤] يعارض به نفاة الجهة مثبتيها إذا احتجوا بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - عرج به إلى ربه إلى فوق فدل على أنه فوق ، قالوا : فقد أخبر إبراهيم أنه ذاهب إلى ربه ، ثم ذهب إلى الشام ؛ فليزمكم[٥] أنه في الشام .

وقد يجاب بأن إبراهيم يظهر من كلامه وحاله أن[٦] ذهابه مجاز ، وأن مراده : إني ذاهب إلى قدرة ربي [أو رضى][٧] ربي ، بخلاف عروج محمد - صلى الله عليه وسلم- فإنه إلى ذات ربه قطعًا .

﴿ قَالَ /[١٦٨ب/م] يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾[٨] أي إني رأيت ، فعبَّر عن الماضي بالمضارع ، ثم تابعه ابنه على ذلك .

فقال ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾[٩] أي ما أمرت ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا ﴾[١٠] أي :

---

(١) سورة الأنعام ، آية (١٠٢) .

(٢) في ل : قلنا .

(٣) في ل : موضعه .

(٤) سورة الصفات ، آية (٩٩) .

(٥) في ل : فلزمكم

(٦) في ل : أنه

(٧) في ل : وأرض .

(٨) سورة الصافات ، آية (١٠٢) .

(٩) سورة الصافات ، آية (١٠٢) .

(١٠) سورة الصافات ، آية (١٠٣) .

استسلما لأمر اللَّه - عز وجل - وطاعته ﴿ وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾[(١)] أضجعه للذبح ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾[(٢)] أي : صدقت في عزمك على ذبح ابنك ، وإنما المقصود امتحان صدقك لا ذبحه ، وقد حصل ذلك بصدق عزمك ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[(٣)] هو كبش هابيل المذكور في قصة ابني آدم في التفسير .

واحتج الجمهور بهذه القصة على جواز نسخ الفعل قبل وقوعه ؛ لأن إبراهيم - عليه السلام - أمر بذبح ابنه ، ثم نسخ عنه قبل أن يفعل ، ومنع ذلك المعتزلة .

ومأخذ الخلاف نظرًا أن مثل هذا الفعل هل له فائدة أم لا .

فالجمهور[(٤)] قالوا : له فائدة وهي امتحان المكلف بصدق العزم على الامتثال كما كان من إبراهيم .

والمعتزلة قالوا : لا فائدة لذلك ؛ إذ حاصله افعل لا تفعل ، وهو تهافت ، ثم أجابوا عن هذه القصة بوجوه :

أحدها : لا نسلم أنه رأى أنه مأمور بذبحه وإنما ظن أنه سيرى بدليل قوله : إنى أرى وهو مستقبل لا ماض ، ولهذا قال ابنه : افعل ما تؤمر بصيغة المستقبل ، أى إن أمرت بذبحي كما خطر لك أنه سيكون ، فافعل .

الثاني : سلمنا[(٥)] أنه أمر بشيء ، لكنه لم يؤمر بنفس الذبح بل

---

(١) سورة الصافات ، آية (١٠٣) .
(٢) سورة الصافات ، آية (١٠٤ - ١٠٥) .
(٣) سورة الصافات ، آية (١٠٧) .
(٤) في ل : الجمهور .
(٥) في ل : سلمناه .

بمقدماته كأخذ المدية والإضجاع والربط ونحوه ، وقد فعل ذلك بدليل : ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ﴾[١] ولو كان مأمورًا بنفس الذبح لما كان قد صدقها .

الثالث : سلمنا أنه أمر بذبحه ؛ لكن لا نسلم أنه نسخ قبل فعله ، بل فعله ، وكان كلما قطع جزءًا من عنقه التحم ، فلم يفرغ من قطعها حتى التحمت جزءًا فجزءًا ، واعلم أن من تأمل القصة/[٣٥٢ل] وسياقها علم بطلان هذه الوجوه بالضرورة واستغنى عن تكلف الجواب[٢] ، لكن لابد من جوابها على العادة .

والجواب عن الأول ما[٣] سبق من استعمال المضارع بمعنى الماضي ، والمضارع أريد به الحال لا المستقبل ؛ لأنه لما رأى رؤياه في الليل أصبح وهو يتذكرها ويتخيلها في الحال ، وهو حال كل ذي رؤيا يذكرها ، فلذلك عبَّر عن الماضي بلفظ الحال ، وكذا قول ابنه ﴿ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾[٤] أي ما أنت مأمور به في الحال ؛ لأنه مأمور في الحال بما كان أمر به في الماضي استصحابًا لحاله ، إذ لم ينسخ عنه بعد ، وعن الثاني بأنه خلاف نص قوله : ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾[٥] ولم يقل ، إني أعزم على ذبحك ، ولأنه لو كان مأمورًا بمقدمات الذبح لا غير /[١٦٩أ/ م] لما كان فيه امتحان ، ولا بلاء مبين ، والنص مصرح بأنه كان بلاء مبينًا ، وأيضًا لما كان فيه مزية لإبراهيم - عليه السلام - على غيره ، إذ صغار الناس إذا علم أنه

---

(١) سورة الصافات ، آية (١٠٥) .

(٢) في ل · جواب .

(٣) في ل : بما .

(٤) سورة الصافات ، آية (١٠٢)

(٥) سورة الصافات ، آية (١٠٢)

مأمور بمقدمات ذبح نفسه لا غير ، لم يتوقف في فعل ذلك ، ورأى أنه مأمور بأنه يلعب .

وعن الثالث بأنه لو صح ، لكان أولى ما ذكر في القصة هو ، إذ هو أعظم وأعجب وأغرب وأتم نعمة على إبراهيم وابنه من الفداء بالكبش ، وقد ذكر وعظم إذ قال : ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[(١)] سلمنا أنه لا يلزم ذكره ، لكن لو صح ما ذكرتموه ، لما كان للفداء بالكبش معنى ؛ لأن معنى الآية : وفديناه من الذبح بذبح عظيم فلو كان قد ذبح كما زعمتم لكان هذا الإخبار غير مطابق .

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[(٢)] يحتج به من رأى أن الذبيح إسماعيل ، لأنه لما فرغ من قصة الذبيح[(٣)] بشر بإسحاق ، وهو يدل على أن الذبيح غيره ، وليس إلا اسماعيل وليس بنص ، إذ العطف بين القصتين ، أعنى : قصة الذبح[(٤)] والبشرى بالواو ، وهي لا تفيد الترتيب واحتمل[(٥)] أنه بشر بإسحاق أولاً ثم أمر بذبحه ثانيًا ، وقد اختلف الناس في الذبيح ، فالمسلمون على أنه إسماعيل ، وأهل الكتاب على أنه إسحاق وعن أحمد فيه القولان .

احتج الأول بوجوه : أحدها : ما ذكرناه من سياق القصة وهو إن لم يكن نصًا فهو ظاهر .

الثاني : أن إسماعيل هو أكبرهما ؛ [فالظاهر أن][(٦)] الامتحان كان

(١) سورة الصافات ، آية (١٠٧) .
(٢) سورة الصافات ، آية (١١٢) .
(٣) في ل : الذبح .
(٤) في ل : الذبيح .
(٥) في ل : فاحتمل .
(٦) في ل : والظاهر .

فيه ؛ لأنه الأنفس والأفضل عند الأب عادة .

الثالث : قوله : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ /[٣٥٣ل] رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾[١] ثم استطرد قصته دل على أن المذبوح هو أول ما وهب له من الولد وهو إسماعيل ، وهذا الوجه كالدليل والمستند للذي قبله وبينهما اشتباه وتغاير .

الرابع : قوله : ﴿ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾[٢] والأب تظهر أخلاقه في أولاده ، والعرب الذين هم بنو إسماعيل أحلم من بني إسرائيل الذين هم بنو إسحاق فالظاهر أن الحليم المأمور بذبحه هو إسماعيل .

الخامس : من قوله ههنا[٣] : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾[٤] مع قوله في الأنبياء : ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴾[٥] فوصف بالصبر[٦] هنا مبهما ، وفي الأنبياء مبينًا والمبين يقضى على المجمل المبهم ، فالظاهر أن الصابر هناك هو الصابر المذبوح[٧] هنا .

السادس : قوله - صلى الله عليه وسلم- : **«أنا ابن الذبيحين ولا فخر »**[٨] وهو من ولد إسماعيل لا إسحاق .

---

(١) سورة الصافات ، آية (٩٩ - ١٠١) .

(٢) سورة الصافات ، آية (١٠١) .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة الصافات ، آية (١٠٢) .

(٥) سورة الأنبياء ، آية (٨٥) .

(٦) في ل : الصبر .

(٧) في ل : الممدوح .

(٨) قال العجلوني في كشف الخفا : قال الزيلعي وابن حجر : لم نجده بهذا اللفظ ، وقال في المقاصد : رواه الحاكم في المناقب من مستدركه ، والحديث حسن ، بل صححه الحاكم والذهبي ؛ لتقويه بتعدد طرقه اهـ . وقال السيوطي : إن هذا الحديث غريب ، =

السابع : قوله :- عز وجل - : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾[(١)] والظاهر أنها بشرت بيعقوب على صفته من أنه[(٢)] [من][(٣)] ولد إسحاق ، ثم لا يخفى مثل ذلك عن[(٤)] /[١٦٩ب/م] إبراهيم وحينئذ يكون إسحاق معلوم الحياة إلى أن يولد له بالبشرى الإلهية ، ومثل ذلك لا يفيد الامتحان بالأمر بذبحه[(٥)] ، لأن من علم قطعًا أن ابنه يعيش إلى بعد البلوغ لا يخشى عليه قبل البلوغ من أمر بذبحه ، ولا غيره ، فتعين إسماعيل للقصة .

واحتج الآخرون بقوله -عز وجل- : ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾[(٦)] فذكر إسحاق مع من أخلص بالامتحان ؛ ثم قال : ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾[(٧)] ولم يذكر ما يقتضي امتحانًا فدل على أن الذبيح هو إسحاق ، وهذا ليس بشيء وجوابه من وجوه : **أحدها** : أن ذكره مع المخلصين لا يدل على أن إخلاصه بالامتحان بجواز أنه وصف له بالإخلاص في العبادة والطاعة .

الثاني : سلمناه[(٨)] لكن لا نسلم أن امتحانه بخصوصية الذبح لجواز أنه امتحن بالعمى كابنه يعقوب ، وقد عمي إسحاق فلم يمت

=وفي إسناده من لا يعرف .

(١) سورة هود ، آية (٧١) .

(٢) سقط من ل .

(٣) في ل : على .

(٤) سقط من ل .

(٥) في ل : بذبح .

(٦) سورة ص ، آية (٤٥ - ٤٦) .

(٧) سورة ص ، آية (٤٨) .

(٨) في ل : سلمنا .

إلا مكفوفًا أو بغير العمى .

الثالث : أن ما ذكرتموه منقوض بيوسف وأيوب وذي النون وداود وموسى ذي الفتون ، وغيرهم ممن أخلص بالامتحان ولم يذكر ههنا .

الرابع : أن ما ذكرتموه معارض بوصف إسماعيل بالصبر في قوله -عز وجل- : ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[(١)] .

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[(٢)] أي : قد أتى بما يلام عليه يحتج [به من يرى وقوع المعاصي من الأنبياء ولحوق اللائمة لهم على بعض أفعالهم ، وقد سبق القول فيه ، وأن معاملة اللَّه -عز وجل- لهم على طريق حسنات الأبرار سيئات المقربين][(٣)] .

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾[(٤)] إنكار على من زعم أن الملائكة بنات اللَّه وقد سبق .

﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[(٥)] لاستحالة ذلك في حقه لما سبق في سورة النحل ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[(٦)] هو كما سبق من قوله -عز وجل- : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾[(٧)] أي كيف

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٨٥) .

(٢) سورة الصافات ، آية (١٤٢) .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة الصافات ، آية (١٤٩ - ١٥٠) .

(٥) سورة الصافات ، آية (١٥١ - ١٥٢) .

(٦) سورة الصافات ، آية (١٥٣ - ١٥٤) .

(٧) سورة النحل ، آية (٥٧) .

هذا الحكم الفاسد يجعلون الأنقص للأكمل وبالعكس والحكم الجيد إذا لم يكن بد من هذا الاعتقاد الرديء خلاف ذلك ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾[١] ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾[٢]، ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾[٣] زعموا أن الملائكة بنات الله من الجن، وأنه تزوج إليهم، فأولد الملائكة، وهذا إنما جاءهم من قبل أنهم تكلموا في الإلهيات بغير دليل شرعي، ولا نظر عقلي، فإن النظر العقلي يفضي إلى بطلان ما قالوه كالفلاسفة لم يقولوا بالشرع، وقد أبطلوا ما زعمه هؤلاء الكفار /[١٧٠أ/ م] إذ النكاح والولادة يستلزم الجسمية، وهي محال في حق القديم الواجب الوجود سبحانه[٤].

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[٥] أي العذاب[٦] من كفر منهم، ولو كانوا[٧] كما زعم الكفار لكانوا صهرًا له ونسبًا، فلم يعذبهم أو المراد [أن الكفار][٨] يكذبون على الجن[٩] بأنهم أصهار الله - عز وجل - والجن تعلم كذبهم في ذلك، إذ يعلمون أنهم[١٠] لا نسبة لهم إليه إلا بالعبودية، وأنهم ما بين محضر العذاب يوم القيامة ومرحوم.

---

(١) سورة الإسراء، آية (٤٠).

(٢) سورة النجم، آية (٢٢).

(٣) سورة الصافات، آية (١٥٨).

(٤) سبق أن هذا استدلال بالأخفى على الأظهر، فانتفاء الولد أظهر من أن يستدل عليه بالجسمية، وهو مفتتح باب نزاع، فتنبه (خ).

(٥) سورة الصافات، آية (١٥٨).

(٦) في ل: لعذاب.

(٧) سقط من ل.

(٨) في ل: كان.

(٩) في ل: الحق.

(١٠) في ل: أنه.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١] أي تنزه عن قولهم إذ لا يليق به وهو محال في حقه - عز وجل - ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٢] مستثنى من قوله : ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾[٣] أي لمحضرون النار والعذاب إلا المخلصين منهم فلا يعذبون ، وهذه قسمة للجن إلى مخلص وغيره كانقسام الإنس إليهما في قوله : ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٤] .

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾[٥] يحتج به الجمهور على أن لا فتنة من مخلوق ، إذ معنى ذلك أنكم أيها الكفار لا تفتنون أحدًا بعبادة معبودكم إلا من سبق عليه القول بأنه يصلى الجحيم ، فيكون المؤثر في فتنته إرادة اللَّه -عز وجل- لا إغواؤكم وفتنتكم أنتم .

والمعتزلة يوجهونها على مذهبهم ؛ فيقولوا معناها : أنكم لا تفتنون من يعبد آلهتكم بل هو يفتن نفسه ويضلها .

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[٦] هذا حكاية قول الملائكة ، وهم متفاوتون في مقاماتهم كالإنس في درجاتهم ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٧] ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾[٨] وقياسًا على حاشية الملك مقاماتهم عنده

---

(١) سورة الصافات ، آية (١٥٩) .

(٢) سورة الصافات ، آية (١٦٠) .

(٣) سورة الصافات ، آية (١٥٨) .

(٤) سورة ص ، آية (٨٢ - ٨٣) .

(٥) سورة الصافات ، آية (١٦١ - ١٦٣) .

(٦) سورة الصافات ، آية (١٦٤) .

(٧) سورة آل عمران ، آية (١٦٣) .

(٨) سورة الأنعام ، آية (١٣٢)

متفاوته .

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾[١] هذا كالتفسير للصافات صفًا ، فالتاليات ذكرًا في أول السورة ، وأنهم الملائكة يصفون أجنحتهم أو أقدامهم ويتلون تسبيح الرب[٢] عز وجل .

(١) سورة الصافات ، آية (١٦٥ - ١٦٦) .

(٢) في ل : الله .

القول في سورة ص

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ﴾[١] نظيره : ﴿أكان للناس عجبًا أن أوحينا إلى رجل منهم﴾[٢] ووجه عجبهم لزوم الترجيح بلا مرجح في زعمهم ، وقد سبق ، وجوابه في سورة إبراهيم وغيرها .

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾[٣] لما ألفت نفوسهم الكثرة نفرت من التوحيد فهم في ذلك على محض التقليد ولو وفقوا لحسن النظر لعلم كل منهم ما يأتي ويذر .

﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ﴾[٤] هو إلزام الترجيح بلا مرجح بزعمهم ، وهو غير لازم وجوابه ﴿ **أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب**﴾[٥] /[١٧٠ب/م] أي أنت خصصت من بينهم [بالنبوة][٦] برحمة ربك .

﴿أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ﴾[٧] الآية أي أنت خصصت بإنزال الذكر دونهم برحمة اللّه وإرادته ، وهو ذو الملك المتصرف فيه بما يختار ، فإن كانوا هم[٨] أهل التصرف والملك أو

---

(١) سورة ص ، آية (٤) .
(٢) سورة يونس ، آية (٢) .
(٣) سورة ص ، آية (٥) .
(٤) سورة ص ، آية (٨) .
(٥) سورة ص ، آية (٩) .
(٦) سقط من ل .
(٧) سورة ص ، آية (١٠) .
(٨) سقط من ل .

شركاء صاحب الملك .

﴿ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾[١] أي في الحبال إليه لينازعوه ملكه ، ويحتمل أن الارتقاء في الأسباب مثل ومعناه كمعنى قوله : ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾[٢] ، وحاصل الكلام أن اعتراضهم في تخصيصي إياك بالنبوة دونهم شأن منازع لي في ملكي لا شأن من يعترف بأنه عبدي .

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴾[٣] أي مسبح ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[٤] ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾[٥] وقد سبق توجيه ذلك

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾[٦] يحتج به على أن أقل الجمع اثنان لأن هذا الخصم كان اثنين ، وقد رد إليهم ضمير الجمع ؛ فقال : تسوروا .

وأجيب بأنه[٧] يحتمل أنه[٨] كان معهم غيرهم ؛ فصاروا جمعًا ، ويحتمل أن جمع الضمير باعتبار لفظ الخصم ، فإنه من المصادر يصدق على القليل والكثير .

---

(١) سورة ص ، آية (١٠) .
(٢) سورة المرسلات ، آية (٣٩) .
(٣) سورة ص ، آية (١٨ - ١٩) .
(٤) سورة الأنبياء ، آية(٧٩) .
(٥) سبأ (١٠) .
(٦) ص (٢١) .
(٧) في م : أن .
(٨) في م : أن .

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾[١] ؛ لأنهم دخلوا عليه في غير وقت التحاكم فأنكرهم ، ففزع إما لما تخشاه الملوك من غوائل الإنس ، أو لما تفرسه وكان يتوقعه من إلزام الحجة له على لسان بعض خلق اللَّه -عز وجل- .

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾[٢] قيل حقيقة ، وقيل : كنَّى عن المرأة بالشاة لما ذكر في القصة ، وكقوله :

يا شاة ما قنص لمن حلت له ....

وقوله :

والشاة ممكنة لمن هو مرتمي ....

البيتين .

﴿ وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ /[٣٥٦ل] أَكْفِلْنِيهَا ﴾[٣] أى أعطنيها ، واجعلنى أكفلها ﴿ وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾[٤] أي غلبنى ، وفى المثل : من عزَّ [يزَّ] ، أي : من غلب سلب .

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ ﴾[٥] إلى قوله :﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾[٦] أي علم أننا أصبناه بالمحنة ، وألزمناه الحجة .

وتلخيص القصة أن داود فيما حكي في السير قال : يا رب نوه بذكري كما نوهت بذكر آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب : فقال له :

---

(١) سورة ص ، آية (٢٢) .
(٢) سقط من ل .
(٣) سورة ص ، آية (٢٣) .
(٤) سورة ص ، آية (٢٣) .
(٥) سورة ص ، آية (٢٤)
(٦) سورة ص ، آية (٢٤)

أولئك ابتليتهم ، فصبروا ، قال داود : فابتلينى[(١)] حتى أصبر ، قال : فاستعد لذلك يوم كذا وقت كذا ؛ فلزم داود محرابه في ذلك الوقت محترزًا يقرأ في الزبور ؛ فبينا هو كذلك ، إذ وقع بين يديه طائر صغير ، بديع الخلقة جدًّا ؛ فأعجبه فمد يده ليأخذه لبعض صغار ولده ؛ فتأخر الطائر يسيرًا ؛ فتقدم له داود ؛ فتأخر يسيرًا ، فلم يزل كذلك يستتبع داود مطمعًا له ، حتى صعد سطح المحراب ، طار فأتبعه داود بصره ؛ فوقعت /[١٧١أ/م] عينه على امرأة تغتسل ، فأعجبه جمالها ، وكان زوجها : أوريا بن حنان في الجهاد ؛ فكتب داود إلى أمير الجيش : أن قدم أوريا بالتابوت ، وكان لا يتقدم به أحد ، فيرجع إلا مفتوحًا عليه أو مستشهدًا ؛ فقدمه بالتابوت مرارًا ، ويفتح عليه ؛ ثم قتل بعد ذلك ، لما ألظ الأمر به ؛ فتزوج داود امرأته ، وكان له غيرها تسع وتسعون امرأة ؛ ولم يكن لأوريا إلا تلك المرأة ؛ فلذلك جاءه الخصمان ، فألزماه الحجة على لسانه بقياس جلي واضح .

وقد اختلف الناس فمنهم من صحح هذه القصة [وجوز على الانبياء الكبائر بسببها وما أشبهها][(٢)] ، ومنهم من منع صحتها ، لأنها من أخبار القصاص وغبرات أهل الكتاب أهل التحريف والتبديل ، وهم لا يرون عصمة الأنبياء ؛ فلا يتحاشون من نسبة مثل هذا وأعظم منه إليهم ، فقد ذكر[(٣)] في توراتهم على ما شاهدته أن روبيل بن يعقوب وطأ سرية لأبيه فغضب عليه يعقوب ، وقال : نجست فراشي

---

(١) في ل : فابتلني .

(٢) سقط من ل .

(٣) في ل : ذكروا .

وإن بعض كنائن يعقوب وقفت لزوجها في الطريق من حيث لا يعرفها فوطئها ، غير عالم أنها زوجته ، وأعطاها[١] جديًا من المعز ، وإن لوطًا لما نجا بابنتيه إلى مغارة في الجبل ، قالت إحداهما للأخرى : إن أبانا لازرع له فهلمي نسقيه خمرًا فيواقعنا ؛ فيحصل له منا زرع ؛ فأسكرتاه فواقعهما فأحبلهما ، فكان من ولد إحداهما من ذلك الحمل بنو موات[٢] يعنى المواتين[٣] ، وزعموا أن داود من ذلك النسل وحينئذ فلعل هذه القصة في حق داود[٤] من أكاذيبهم على الأنبياء فلا يترك لها ما ثبت من دليل عصمتهم ، وهذا هو اللائق بحالهم .

وإن[٥] كان الظاهر من حال داود - عليه السلام- وقوع ذلك منه ؛ لأن الذي حكاه ثقات المسلمين ، كوهب بن منبه/[٣٥٧ل] وكعب الأحبار ، وغيرهم ، وكانوا أئمة أثباتًا نقادًا ، فلو علموا فيها مغمزًا لما حكوها عنه ، ولأنه لولا مثل هذه القصة من مثل داود لما بكى ذلك البكاء ، وناح ذلك النواح[٦] المحكي عنه فاللّٰه - عز وجل - أعلم بحقائق المغيبات بما[٧] كان ، وما هو آت ، وبتقدير صحة القصة يحتج بها على إثبات القياس ، إذ حاصلها أنك ما كان لك أن تغلب أوريا على امرأته مع أن لك تسعًا وتسعين امراة كما لم يكن لأحد الخصمين أن يغلب صاحبه على نعجته مع أن له تسعًا وتسعين

---

(١) في ل : وأعطى .
(٢) في ل : مواب .
(٣) في ل : الموابين .
(٤) في ل : يعقوب .
(٥) في ل : فإن .
(٦) في ل : النوح .
(٧) في ل : ما .

نعجة [١] .

﴿ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ ﴾[٢] فيه إشارة إلى أن عصمتهم من وقوع الضلال [لا من جوازه][٣] ، وقد سبق له نظائر .

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ﴾[٤] /[١٧١ب/ م] قيل : هو صخر المارد الذي أخذ خاتمه ، وتشكل بشكله ، وجلس على سريره ؛ فسلب ملكه بسببه مده ، ثم عاد إليه ، وقيل : هو ولده الذي حصل له من طوافه على تسعين امرأة في ليلة ثم[٥] أشفق عليه من الموت فسلمه إلى الغمام تكفله فقبض ثم ألقي ميتًا على سريره .

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴾[٦] الآية .

تكلم الناس في هذا فربما ظن قوم أنه [حب للدنيا][٧] ، وآخرون أنه استئثار على أبناء الجنس ، وآخرون غير ذلك وكله مما لا يليق نسبته[٨] إلى سليمان خصوصًا مع حكمته ، وتمام معرفته بالله -عز وجل- .

---

(١) الآية ليس فيها ما ذكر في هذا الخبر ، وليس كون وهب وكعب رويا ذلك يدل على صحة الخبر في نفس الأمر ؛ لاحتمال كونه إسرائيليًا مما جاز التحدث به إن ثبت سنده عنهما ، ولذا أعرض عنها الحافظ ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات ، وإنما أراد المصنف ههنا تفريع جواز القياس عليها إن ثبت ، وإلا فقد أشبع العلماء الكلام على تلك القصة بحثًا وتفنيدًا ، وراجع الإسرائيليات لأبي شهبة لمعرفة المزيد عن ذلك (خ) .

(٢) سورة ص ، آية (٢٦) .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة ص ، آية (٣٤) .

(٥) سقط من ل .

(٦) سورة ص ، آية (٣٥) .

(٧) في ل : أحب الدنيا .

(٨) في ل : بنسبته .

والأشبه أن ذلك كان أمارة على عناية اللَّه - عز وجل - به وحظوته عنده ، فلذلك سأله ،كما قيل : إن سؤال إبراهيم إحياء الموتى كان لكونه أمارة على خلته ، أو لأن هذا جرى من سليمان مجرى الاستكثار من فضل اللَّه وبركته ، والتخصص بمزيد فضله كما أن أيوب مع كثرة ماله لما أمطر اللَّه[1] عليه جراد[2] من ذهب جعل يحثي في حجره ؛ فلما قيل له : ألم نكثر مالك قال : بلى ، يا رب ، ولكن لا غنى بي[3] عن بركتك .

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾[4] الآيات ، فيها إثبات النعيم الحسي ، وفيما بعدها من ذكر الحميم والغساق ونحوه إثبات العذاب الحسي خلافًا للنصارى والفلاسفة كما سبق .

﴿إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[5] فيه دوام رزق الجنة وأكلها من غير انقطاع ، وأن المعدوم إذ لا يجوز انقلابه دائمًا أبدًا ، واعلم أن المعلوم إما أزليّ أبدي ، وهو الحق سبحانه وتعالى ، أو لا أزليّ ولا أبدي كالأعراض تحدث وتفنى على الفور ، أو أزلي لا أبدى كعدم العالم ، أو أبدي لا أزلي كنعيم الجنة وعذاب النار وأهلهما ، واللَّه - عز وجل- أعلم بالصواب .

---

(١) زيادة من ل .

(٢) في ل : جرادًا .

(٣) في ل : لي .

(٤) سورة ص ، آية (٤٩) .

(٥) سورة ص ، آية (٥٤) .

القول في سورة الزمر

﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾(١) فيه الاهتمام بالإخلاص لوصية اللّه -عز وجل-رسوله به مع أنه معصوم من الرياء وغيره .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ ﴾(٢) أي يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللّه زلفى هذا رأي الوثنيين وعبدة الكواكب من الصابئين يحتجون بذلك [تنصلاً](٣) من الشرك .

﴿ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾(٤) فإن اللّه - عز وجل - إنما يتقرب إليه بعبادته وطاعته من غير واسطة ، ثبت ذلك بتواتر الرسل والكتب ، ومن ذلك قوله : ﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾(٥) .

قوله - عز وجل - : ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾(٦) الآية ، زعم /[١٧٢أ/ م] أبو محمد بن حزم الظاهري في كتاب «الملل والنحل » له أن اللّه - عز وجل - قادر على(٧) أن يتخذ ولدًا لظاهر هذه(٨) الآية ، وهو قول شنيع باطل .

(١) سورة الزمر ، آية (٢-٣) .
(٢) سورة الزمر ، آية (٣) .
(٣) في ل : تنصيلاً .
(٤) سورة ص ، آية (٣) .
(٥) سورة العلق ، آية (١٩) .
(٦) سورة الزمر ، آية (٤) .
(٧) سقط من ل .
(٨) سقط من ل .

أما شناعته فلمضارعته النصرانية ؛ فإنهم إذا حاجوا في ذلك قالوا : الولد صفة كمال ، فانتفاؤه في حق اللَّه -عز وجل- نقص وامتناعه على اللَّه - عز وجل - عجز .

وأما بطلانه ، فلأن ما زعمه إنما يصح أن لو قال : لو أراد اللَّه أن يتخذ ولدًا لولد[١] أو لتزوج ونسل ، أو لاتخذ ونحو ذلك ، لكنه إنما قال : لاصطفى مما يخلق ما يشاء ، [ونحن قد بينا قبل أن الولدية تنافي المخلوقية كما تنافي المملوكية ، فلو قدر أنه اتخذ ولدًا مما يخلق لم يكن ذلك الولد ولدًا ، وإنما يكون على جهة التبني ، لا على حقيقة البنوة والولدية ، فإن زعم هذا القائل أن معنى الآية : لو أراد اللَّه أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق زوجة ، فأولدها ولدًا كما قال : ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾[٢] أي : زوجة نلهو بها لزمه أن يجيز عليه التزوج والنكاح والنسل ونحوه من لوازم الأجسام ، وذلك محال باطل بإجماع ، وإنما يصح ذلك على رأي الاتحادية الذين يجيزون عليه الظهور في المظاهر الطبيعية ، وابن حزم لا يقول ذلك][٣] ، وإن[٤] قال : إن الولد الذي يقدر على اتخاذه روحاني لا جسماني كالنور مولود للشمس ، والحكمة مولودة[٥] للعقل ، فلا يلزم التجسيم[٦] .

---

(١) في ل : ولد .
(٢) سورة الأنبياء ، آية (١٧) .
(٣) سقط من ل .
(٤) في ل : فإن .
(٥) في ل : مولود .
(٦) سبق أن هذا استدلال بالأخفى على الأظهر ، والراجح في معنى الآية هو ما ذكره آخر الأمر ، وجعله قريبًا من ظاهرها ، إلا أنني أحببت التنصيص على أن إقحام قضية (التجسيم) في ذلك مما لا يصح ، وراجع في ذلك القاعدة السادسة من (القدرية) لشيخ

قلنا : هذا هو عين مذهب النصارى ، فإنهم لما ألزموا ما ألزمت من التجسيم ، ادعوا ما ادعيت من الولادة الروحانية ، فإن قال : النصارى ادعوا وقوع اتخاذ الولد ، وأنا إنما ادعيت القدرة عليه وجوازه[١] ؛ قلنا : يلزمك أن مذهب النصارى جائز ، وأجمع المسلمون - بل العقلاء - على أنه محال ، فقد كنت بدعواك هذه تخالف الشرع ، فالآن خالفت الشرع والعقل جميعًا ، فإن قال : لو لم يقدر على اتخاذ ولد ، لكان عاجزًا ، قلنا : لا يلزم ذلك ؛ لأن اتخاذ الولد عليه محال ، والمحال لا يدخل تحت المقدورية أي : لا يقبل تأثير القدرة فيه ليكون عدم تأثيرها فيه عجزًا فإن تأثير القدرة في الشيء تارة ينتفي لقصورها عنه وتارة لعدم قبول ذلك الشيء لتأثيرها فيه لعدم إمكانه بوجوب أو امتناع ، والعجز هو الأول لا الثاني ، وإلا لزمك أن /[١٧٢ب/م] تجيز عليه جميع المحالات بعلة أنه لو لم يقدر عليها ، لكان عاجزًا .

[فإن قال : فما معنى قوله : ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ﴾[٢]][٣] الآية إذن قلنا معناه : لو احتاج إلى ولد لاستغنى عنه بمن يختاره من مخلوقيه ، كما لو قيل لرجل : لو تزوجت لجاءك ولد يخدمك ؛ فقال : لو أردت ولدًا يخدمني أو لو احتجت إلى خدمة الولد ، لاشتريت بمالي عبيدًا يخدموني .

وهذا التأويل قريب من ظاهرها جدًا ، وهو خير من اقتحام

الإسلام ابن تيمية (خ) .

(١) سقط من ل .

(٢) سورة الزمر ، آية (٤) .

(٣) سقط من ل .

الشناعة والمحال .[١]

﴿ سُبْحَانَهُۥ ﴾[٢] أي[٣] : تنزه عن اتخاذ الولد وقوعًا[٤] وجوازًا إذ[٥] ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[٦] أي : أن حكمة الولد التكثر به من قلة أو[٧] الاستعانة/[٣٥٩ل] به عن غلبة وانقهار ، والله -عز وجل- واحد لا يجوز عليه الكثرة ، ولا التكثر ؛ قهار لا يلحقه الانقهار ،وإذا انتفت حكمة الولد في حقه ، وجب انتفاؤه وقوعًا وجوازًا ، إذ ما لا حكمة فيه ، لا يجوز وجوده .﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ ﴾[٨] احتج به المعتزلة ؛ لأن من لا يرضى لهم الكفر ، لا يخلقه فيهم ، ولا يقدره عليهم ، ولا يتسبب[٩] إليه بوجه كما أن في الشاهد من لا يرضى شيئًا لا يفعله .

وأجيب بوجوه : **أحدها** : أن المعنى لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر لسابق علمه فيهم بالعصمة منه .

الثاني : لا يرضى لهم الكفر عبادة وطاعة وقربة ، وإن رضيه ابتلاءً ومحنة بدليل :﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾[١٠] .

---

(١) في ل : تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا .
(٢) سورة الزمر ، آية (٤) .
(٣) في ل : أنه .
(٤) سقط من ل .
(٥) زيادة من ل .
(٦) سورة الزمر ، آية (٤) .
(٧) في ل : و .
(٨) سورة الزمر ، آية (٧) .
(٩) في ل : ينسب .
(١٠) سورة الأنبياء ، آية (٣٥) .

الثالث : أن لا يرضى معناه : يكره ، وكراهته[١] الشيء لا تقتضي عدم فعله بدليل أن اللّه -عز وجل- خالق[٢] عين الكافر ، وهو يكرهه ، كذلك جاز أن يخلق الكفر وهو يكرهه[٣] .

﴿ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ﴾[٤] الكلام كما في ﴿ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴾[٥] وقد سبق هناك .

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾[٦] الآية شرح الصدر[٧] هو[٨] كشف حجاب القلب بما يخلق فيه من براهين الحق ودواعي اتباعه ، وهو النور المذكور ، وقد أخبر اللّه -عز وجل- أنه الذي يشرح الصدر[٩] ، فكذا هو الذي[١٠] يجعله ضيقًا حرجًا ، بضد ما يشرحه به من الطبع عليه ، وخلق ظلمات الشكوك والريب فيه ؛ فيقسوا عن اتباع الحق .

﴿ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[١١] .

---

(١) في ل : وكراهة .

(٢) في ل : خلق .

(٣) هذا الثالث هو المعتمد ، وهو أن الإرادة الشرعية لا تنافي الإرادة الكونية ، فكراهية اللّه للشيء لا تنافي إرادته وجوده وخلقه ، وراجع المقدمة في ذلك (خ) .

(٤) سورة الزمر ، آية (١٦) .

(٥) سورة الإسراء ، آية (٥٩) .

(٦) سورة الزمر ، آية (٢٢) .

(٧) في ل : الصدور .

(٨) في ل : وهو .

(٩) في ل : الصدور .

(١٠) سقط من ل .

(١١) سورة الزمر ، آية (٢٢) .

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾[(١)] أي : يشبه ، ويصدق بعضه بعضًا .

﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾[(٢)] الآية هو سبحانه وتعالى يخلق الخوف في قلوبهم ، ثم /[١٧٣أ/م] يترتب على الخوف الاقشعرار ، ثم لين الجلود والقلوب إلى ذكر اللَّه ، كل ذلك بفعل اللَّه -عز وجل- وإرادته .

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[(٣)] أضاف هذا الهدى إليه لأنه مرتب على أسباب مخلوقة له .

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾[(٤)] صريح في إضلاله من يشاء ؛ بأن يخلق في قلبه ضد ما خلق في قلب المهتدي

﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾[(٥)] قيل : غير مخلوق ، وقد سبق القول فيه .

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ﴾[(٦)] هو من أدلة التوحيد ؛ وبيانه أن التوحيد أصلح للموحد ، كما أن المالك الواحد للعبد أصلح له من تعدد الملاك ؛ لأن كثرة الأرباب/[٣٦٠ل] والملاك تتنازع الواحد ؛ فيهلك ، أو يشقى ويتعب ؛ بخلاف الرب الواحد ؛ والمالك الواحد ، إذ لا تنازع مع الوحدة وهذه المادة شبيهة

---

(١) سورة الزمر ، آية (٢٣) .

(٢) سورة الزمر ، آية (٢٣) .

(٣) سورة الزمر ، آية (٢٣) .

(٤) سورة الزمر ، آية (٢٣) .

(٥) سورة الزمر ، آية (٢٨) .

(٦) سورة الزمر ، آية (٢٩) .

بمادة ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[١] .

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٢] الآيات تنازعها الفريقان : السنة : فزعموا أنها لأبي بكر الصديق[٣] ؛ لأنه الصديق ، والشيعة [لعنهم الله][٤] فزعموا أنها لعليّ لأنه عندهم الصديق الأكبر ، وأول من أسلم .

واعترض الجمهور عليهم بأن في سياق هذا[٥] ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾[٦] وعليّ عندكم معصوم ، لا سيئة له ؛ فليست الآية له ، فهي لأبي بكر - رضي الله عنه - ، وأجاب الشيعة بأنا قد أثبتنا عصمة علي فيما سبق ، والعصمة لا تنافي اليسير من سوء العمل ، [بدليل : أن الأنبياء عندكم تجوز عليهم الكبائر والصغائر ، و][٧] قوله -عز وجل- : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٨] .

والجواب مشترك ، والحق أن الآية ليست لواحد بعينه ، بل هي عامة لكل من اتصف بالصدق والتصديق ، بدليل ما اكتنف الآية قبلها وبعدها .

أما قبلها فقوله - عز وجل - : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٢٢) .
(٢) سورة الزمر ، آية (٣٣) .
(٣) سقط من ل .
(٤) سقط من ل .
(٥) في ل : هذه .
(٦) سورة الزمر ، آية (٣٥) .
(٧) سقط من ل .
(٨) سورة الفتح ، آية (٢) .

وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[١] وهو ذم ووعيد عام ، ثم[٢] قابله بالذي جاء بالصدق وصدق به ، أي صدق وصدق ، وهو مقابل لمن كذب وكذّب في الآية قبلها ، وهو مدح ووعد عام ، وأما بعدها ، فقوله : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ﴾[٣] الآيات بصيغة الجمع المقتضي للعموم ، ولا مقتضى لاختصاصها بأحد الرجلين ، إلا عصبية الفريقين ، نعم هم[٤] داخلان تحت الوعد فيها ، ومن أحق الناس بها .

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ ﴾[٥] صريح في مذهب الجمهور ، وتأوله المعتزلة على أنه يهدي بفعل الألطاف ، ويضل بمنعها .وقد سبق القول في ذلك .

﴿ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾[٦] الآية /[١٧٣ ب] هي شبيهة بقول إبراهيم : ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾[٧] وقول صاحب يس : ﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴾[٨]وهو استدلال على التوحيد ، ونفي إلهية الشركاء بعدم[٩] ملكهم التصرف بالضر والنفع أي : هؤلاء لا تصرف لهم ،

---

(١) سورة الزمر ، آية (٣٢) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة الزمر ، آية (٣٣ - ٣٤) .

(٤) في ل: هما .

(٥) سورة الزمر ، آية (٣٦ - ٣٧) .

(٦) سورة الزمر ، آية (٣٨) .

(٧) سورة الشعراء ، آية (٧٣) .

(٨) سورة يس ، آية (٢٣) .

(٩) في ل : لعدم .

وكل من لا تصرف له ؛ فليس بإله ، فهؤلاء ليسوا آلهة[١] .

﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ ﴾[٢] يحتج به المعتزلة ؛ لأنه نسب الهداية والضلال إليهم على وجه يقتضي تفويض أفعالهم[٣] إليهم وإلا كان[٤] معناه : من هديته أنا فلنفسه ومن أضللته فعليها ، وهذا محض جور لا تقوم به حجة في حكم العدل ، ويجاب بأن جميع ذلك أعني نسبة الضلال إليهم والاحتجاج والوعيد لهم يتعلق بالكسب عند الكسبية وبالخلق على تقدير التفويض عند المجبرة ، كما تقرر في مقدمة الكتاب ./[٣٦١ل]

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[٥] الآية أي : أن اللّه -عز وجل- تارة يقبض الأرواح بالكلية ، وهو الموت ، وتارة تعرج إليه على عزم معاودة البدن ، وهو النوم ثم قد يقضي الموت على النائم ، فيمسك روحه عنده فيموت ، وقد لا يقضي عليه الموت ؛ فيرسل روحه إلى جسده ؛ فيستيقظ حيًا ، وهو ضرب من الموت والبعث ، يقال : إن النفس تعرج والروح تبقى يتحرك به النائم ، فإن قضى عليه الموت نائمًا قبض الروح إلى النفس ، وإلا عاد النفس إلى الروح ، وقد سبق نحو هذا في الأنعام .

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٦] هو كقوله : ﴿وَمِنْ

---

(١) في ل : بآلهة .

(٢) سورة الزمر ، آية (٤١) .

(٣) في ل : أعمالهم .

(٤) في ل : لكان .

(٥) سورة الزمر ، آية (٤٢) .

(٦) سورة الزمر ، آية (٤٢) .

ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[١] .

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾[٢] أي : شركاء يرجون شفاعتهم ، قل : أتتخذونهم شركاء ، وإن كانوا لا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ، ولا يعقلون شيئًا ، إذ هم أصنام جماد ، فإن قالوا : نعم فقد لزمهم غاية السفه والضلال ، وإن قالوا : لا ، فقل : فإن شركاءكم كذلك لا يعقلون ولا يملكون فلا تتخذوهم[٣] .

وهو دليل سبري على التوحيد تلخيصه : أن اتخاذكم لهؤلاء الآلهة ، إما مع علمكم بأنهم لا يملكون ولا يعقلون ، فهو سفه وضلال ، أو مع عدم علمكم بذلك ، فقد أعلمناكم فدعوهم ولا تدعوهم آلهة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[٤] هذا عام مخصوص في المغفور والمغفور له . أما في المغفور ، فلأن الشرك لا يغفر ،لقوله –عز وجل– : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾[٥] .

وأما في المغفور له ؛ فلقوله – عز وجل – : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٦] فمن لا يشاء أن يغفر له مخصوص من عموم العباد المغفور لهم ههنا .

فإن قيل : فما[٧] فائدة قوله : ﴿جميعًا﴾ ، قلنا : يعني يغفر جميع

---

(١) سورة الروم ، آية (٢٣) .

(٢) سورة الزمر ، آية (٤٣) .

(٣) في م : تتخذونهم .

(٤) سورة الزمر ، آية (٥٣) .

(٥) سورة النساء ، آية (٤٨) .

(٦) سورة النساء ، آية (٤٨)

(٧) في ل : ما .

ما سوى الشرك لمن شاء أن يغفر له ، أو[١] جميع الذنوب حتى الشرك بالإيمان .

﴿ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾[٢] زعم أبو عبد اللَّه / [١٧٤أ/م] ابن حامد : أن للَّه - عز وجل - صفة ذاتية تسمى الجنب ، كما قال في اليد والوجه ، وهو ضعيف جدًا ؛ لغلبة المجاز على هذه الكلمة ، إذ يقال : طمع فلان في جنب فلان وجانبه ، وخذ هذا الدرهم في جنب اللَّه ، فإثبات صفة ذاتية بمثل ذلك لا وجه له[٣] .

﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ ﴾[٤] احتج المعتزلة بهذا ، ووجهه أنه -عز وجل- رد على الكافر قوله : ﴿ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[٥] بقوله هذا ، ومعناه : قد هديتك بمجيء آياتي ، فكذبت واستكبرت ،فلو كان هو الذي أضله أو منع عنه الهدى لما اتجه هذا التكذيب حتى قال : ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌ ﴾[٦] أي الذين كذبوا عليه بقولهم : ما

---

(١) في ل : و :

(٢) سورة الزمر ، آية (٥٦) . وفي ل : «فرضت» ، بدل ﴿فرطت﴾ .

(٣) بوب أبو عمر الطلمنكي في كتابه في الصفات بباب «الجنب للَّه» وقد استدرك الذهبي عليه ذلك في ترجمته في السير ، والحق أن الآية لا تدل على صفة خبرية ، لكن ليس هذا من باب المجاز كما زعم المصنف ، بل لأن الآية فيها لفظ ﴿فرطت﴾ ولا يقال ذلك للصفات الخبرية ، فإنها لا يقع فيها تفريط من العبد ، وإنما تفريط العبد يكون في حقوق اللَّه تعالى ، وليس هذا تأويلًا أو مجازًا ؛ لأن الظاهر هو اللفظ بقرينته ؛ إذ ليس هناك لفظ مقطوع عن جميع قرائنه ، فتنبه(خ) .

(٤) سورة الزمر ، آية (٥٩) .

(٥) سورة الزمر ، آية (٥٧) .

(٦) سورة الزمر ، آية (٦٠) .

هدانا ؛ فدل على أنه هداهم/[٣٦٢ل] ، ولم يضلهم .

والجواب: أن الهدى مشترك بين الإرشاد و[بين][1] العصمة من الضلال بما يخلق في القلوب من موجبات الإيمان ، والكافر إنما أنكر الهدى بمعنى الإرشاد ، ولا شك في أنه كذب ، لأن اللّٰه - عز وجل - قطع الحجة وأوضح المحجة بالإرشاد بالكتب على ألسنة[2] الرسل ، وإنما الذي فات الكافر هو الهدى بالمعنى الثاني ، فاللّٰه -عز وجل- هداه تكليفًا ، ولم يهده تكوينًا ، فلا تناقض ، وعدنا إلى قاعدة الكسب والجبر في قيام الحجة على الكافر .

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[3] عام خص بالإجماع بذات اللّٰه وصفاته ، ثم اختلف فيه بعد ذلك ؛ فطرده الجمهور فيما عدا ذلك ، حتى أفعال الناس مخلوقة له ، وخصَّها المعتزلة منه بدليلهم العدلي فيما زعموا .

﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[4] يحتج بظاهره على جواز الشرك من الأنبياء ، وإن عصموا من وقوعه ، وتأول بعضهم هذه على أن الخطاب فيها له ، والمراد أمته ، وهو ضعيف ؛ لأن قوله -عز وجل- ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ ﴾[5] عطف عليه ، وهو مراد منه باتفاق فكذا ما قبله يكون مرادًا منه .

﴿ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ

---

(١) سقط من ل .

(٢) في ل : لسان .

(٣) سورة الزمر ، آية (٦٢) .

(٤) سورة الزمر ، آية (٦٥) .

(٥) سورة الزمر ، آية (٦٦) .

﴿بِيَمِينِهِۦ﴾[١] اختلف الناس في آيات الصفات مثل هذه في القبضة واليمين ، ونحو : ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾[٢] ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[٣] و﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[٤] « **يضع الجبار قدمه**»[٥] «**يحمل السماوات على إصبع**»[٦] الحديث ، ونحو ذلك على أقوال :

أحدها : إمرارها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل ، وهو مذهب أهل الحديث .

الثاني : حملها على ظاهرها في التشبيه وصرحوا به ، وهو قول الكرامية ، ورد عليهم بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[٧] وباستحالة التجسيم على القديم .

الثالث : حملها على صفات لله -عز وجل- حقيقية مقولة على صفات المخلوقين/[١٧٤/م] بالاشتراك اللفظي ، [اللَّهم كأنهم][٨] قالوا : لله يد هي[٩] صفة لائقة به لا تشبه يدنا ، ولنا يد هي هذه

---

(١) سورة الزمر ، آية (٦٧) .

(٢) سورة الرحمن ، آية (٢٧) .

(٣) سورة المائدة ، آية (٤٦) .

(٤) سورة القلم ، آية (٤٢) .

(٥) رواه الخطيب البغدادي في تاريخه في حديث طويل (٥/ ١٢٥) .

(٦) رواه البخاري (حديث (٤٨١١) : عن عبد الله بن مسعود ؛ قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : يا محمد ؛ إنا نجد أن الله - عز وجل - يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع . فيقول : أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، تصديقًا لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة ...**﴾ الآية . وأطرافه عند البخاري (٧٤١٤،٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣) .

(٧) سورة الشورى ، آية (١١) .

(٨) في ل : كانوا .

(٩) سقط من ل .

الجارحة مستحيلة في حقه عز وجل . وهو محكي عن الظاهرية ، وإليه يرجع المذهب الأول[١] .

الرابع : تأويل ما أوهم منها التشبيه على ما يزيل تلك الشناعة مما يحتمله اللفظ في كلام العرب ، وهو مذهب الأشعرية ، ومن وافقهم .

الخامس : أن اللفظ إن ظهر منه إرادة الحقيقة حمل عليها على المذهب الأول ، أو إرادة المجاز حمل عليه كلفظ الجنب ، و«قلب المؤمن بين إصبعين»[٢] ، و«الحجر يمين الله في الأرض»[٣] ونحوه[٤] ، وإن لم يظهر منه أحدهما اجتهد فيه المجتهد في الأصول ، وقلد فيه المقلد ، والأشبه الأخذ بالمذهب الثالث .

---

(١) ليس مذهب أهل الحديث القول بالاشتراك اللفظي ؛ لأنه يقتضي عدم إثبات المعنى وهو باطل ، بل مذهب أهل الحديث إثبات المعنى أيضًا ، وإن كان كليًا عامًا لفهم الخطاب ، ثم بعد الإضافة والتخصيص ، فلكل ما يخصه ، وراجع المقدمة (خ) .

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٤/ ٤١٤) (٧٧٣٨) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما انكرت الجهمية (١/ ٧٢) حديث (١٩٩) ، وأحمد (٤/ ١٨٢) ، وابن حبان كما في الموارد (٢٤١٩) . والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٥) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وله شاهد بإسناد صحيح ، عن أنس بن مالك . وقال الذهبي : صحيح ، ورواه (٢/ ٢٨٩) من حديث ابن جابر ، وقال : على شرطهما ووافقه الذهبي . ورواه البغوي في شرح السنة (١/ ١٥٣ - ١٥٤) حديث (٨٨) ، كلهم من حديث النواس بن سمعان ولفظه : « **ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين ، إن شاء أن يقيمه أقامه ، وإن شاء أن يزيغه أزاغه** » . وقال البوصيري : إن إسناده صحيح . وقد ورد من حديث أم سلمة رواه الطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٦٦) ، وعن عائشة رواه الطبراني في الأوسط (٢/ ٣١٩) (١٥٥٣) ، وعن نعيم بن همار رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٤٧٥) .

(٣) رواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٣٦٤)(٢١٣) وابن عدي في الكامل (١/ ٣٤٢) في ترجمة إسحاق بن بشر أبو يعقوب الكاهلي : عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبدالله ، وقال ابن عدي : قد روى غير هذه الأحاديث ، وهو في عداد من يضع الحديث .

(٤) كل نص من هذه النصوص فيه ما يدل على المراد ، بحيث يكون ظاهره التنزيه لا التمثيل ، فقوله : «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» قيده بقوله: «في الأرض» واليمين التي هي الصفة الخبرية لا اختصاص لها بمكان دون آخر ، ثم إن آخر النص: «فمن قبله

ولعلك تقول : هل يجوز التقليد في أصول الدين حتى يقول : وقلد فيه المقلد؟ فنقول : نعم .

وتحرير ذلك أن مسائل الشريعة : إما/[٣٦٣ل] ظني كالفقهيات ، أو علمي قاطع كالتوحيد والنبوات ، أو واسطة بينهما ، كهذه المسائل الدائرة بين أهل الحديث والمعتزلة والجهمية[١] ونحوهم ، فهذه ارتفع دليلها عن القسم الأول ، وانحط عن القسم الثاني ، لكن تعارضت فيها الشبه[٢] وتصادمت الحجج ؛ فجاز فيها التقليد للعامي[٣] ، ولم يسغ فيها التكفير ، والله -عز وجل- أعلم بالصواب .

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾[٤] هذه نفخة الصعق ونفخة البعث ، وقبلها نفخة الفزع المذكورة في سورة النمل ، فهي ثلاث نفخات ، وهذا من أحكام اليوم الآخر و﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[٥] قيل : من في الجنة ، وقيل : بعض الملائكة .

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[٦] إن قيل : ما يمنعها الآن أن تشرق به ؟

أو صافحه» فكأنما قبل يمين الله» فالقضية واضحة أن الحجر ليس اليمين ؛ لأن المشبه ليس هو المشبه به ، وأما قوله : «بين إصبعين» فالبينية لا تقتضي المماسة كما في قوله : ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ وعلى هذا فلا يحتاج إلى تأويل أو قول بالمجاز ، وما أشبه ذلك ، والله أعلم(خ) .

(١) سقط من ل .

(٢) في ل : الشبهة .

(٣) في م : العامي .

(٤) سورة الزمر ، آية (٦٨) .

(٥) سورة الزمر ، آية (٦٨) .

(٦) سورة الزمر ، آية (٦٩) .

قيل : دون أنواره الخاصة حجاب العزة ، بدليل قوله - صلى الله عليه وسلم - :**«حجابه النور لو كشف عنه ، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**[١] . أو كما قال .

ويوم القيامة يكشف هذا الحجاب ؛ فتشرق الأرض بنور رب الأرباب .

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾[٢] إلى قولهم :﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣] احتج عليهم بالعدل ، واحتجوا بالجبر ، فلم ينفعهم لما قررناه في سورة يس .

﴿وتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ ﴾[٤] هذا يمنع من تأويل العرش على الملك على ما زعمه قوم .

---

(١) رواه مسلم (١/١٦١) حديث (١٧٩) .

(٢) سورة الزمر ، آية (٧١) .

(٣) سورة الزمر ، آية (٧١) .

(٤) سورة الزمر ، آية (٧٥) .

القول في سورة غافر

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[١] فيه ذم الجدال بالباطل ، إذ المراد يجادل في آيات الله ليبطلها ، كما قال بعد : ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾[٢] .

﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾[٣] أي : وجبت ولزمهم /[١٧٥أ/ م] حكمها مع تعلق العلم والإرادة بكفرهم ، ويلزم[٤] الجبر .

واعلم أن الجبر على ضربين : جبر محسوس ، كمن يقبض على أطواق شخص ويجره إلى الدار ، وجبر معقول كمن يزين[٥] له دخولها بما يخيله إليه من الأسباب المقتضية لذلك ، أو يجذبه إلى ذلك بجاذب حالي نفساني ، ونحوه .

والضرب الأول من الجبر مجمع على عدمه في أحكام القدر ، وإنما النزاع في الضرب الثاني فالجبرية أثبتوه ، والمعتزلة نفوه .

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾[٦] إلى قوله -عز وجل- :

---

(١) سورة غافر ، آية (٤) .
(٢) سورة غافر ، آية (٥) .
(٣) سورة غافر ، آية (٦) .
(٤) في م : ويلزوم .
(٥) في م : زين .
(٦) سورة غافر ، آية (٧) .

﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[١] الآية احتج بها من فضل مؤمني البشر على الملائكة ؛ لأنهم لم يستغفروا لهم إلا وقد علموا أنهم أشق عملاً وأفضل منزلة .

وقال بعضهم : بل الملائكة أتقياء ، فتقواهم حملتهم على الاستغفار للمؤمنين ، جبرًا لما وقع منهم في حقهم بقولهم في البدء : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾[٢] وهذه كلمة استرسلت على جميع أفراد بني آدم/[٣٦٤ل] ، فالكافر ونحوه وقعت منه موقعها ، والمؤمن لم تقع منه موقعها ؛ فرأوها غيبة أو قذفًا ؛ فاستدركوها بالاستغفار لهم ، وهذا حكم من اغتاب شخصًا أو قذفه أن يعرفه ما قال فيه ، ويستوهب منه ، فإن لم يمكنه تعريفه استغفر له حتى يعلم أنه[٣] قد تدارك أمره معه .

فإن قيل : فما يمنع الملائكة أن تستوهب ذلك من بني آدم ؟ قيل : لأنهم من أركان الإيمان ، وهم غيب ، فلو ظهروا ليستوهبوا صار الإيمان بهم وبسائر أركان الإيمان ضروريًا ، وبطلت فائدة التكليف ؛ فلذلك عدلوا إلى التدارك بالاستغفار[٤] .

﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾[٥] سبق ذكره في أوائل البقرة عند : ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾[٦] الآية .

---

(١) سورة غافر ، آية (٧) .

(٢) سورة البقرة ، آية (٣٠) .

(٣) في ل : أن .

(٤) هذا فيه تكلف ؛ واستغفار الملائكة لمؤمني البشر بأمر الله ؛ لأنهم **﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾** فلم يفعلوا غير ما أمروا به ، فلا يحتاج المقام لمثل هذا التكلف ، والله أعلم (خ).

(٥) سورة غافر ، آية (١١) .

(٦) سورة البقرة ، آية (٢٨) .

[﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ ﴾[١] يحتج بظاهره مثبتوا الجهة حملاً له على الرفعة الحسِّية بدليل اقترانه بذكر العرش ، وتأوله الآخرون على الرفعة المعنوية .][٢]

﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾[٣] الآية فيها إثبات النبوات على ما تقرر في نظيرها في أول النحل .

﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾[٤] يحتج به المعتزلة ، ويجيب الجمهور بما قبله ، وهو ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[٥] فلا ظلم عليهم إذ هم مجزيون على كسبهم .

﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[٦] احتج به المعتزلة في إنكار الشفاعة ؛ للمذنبين لعموم لفظ الظالمين .

وأجيب بأن المراد الكفار ؛ بدليل : ﴿ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٧] ، ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٨] ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾[٩] أي كفرهم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾[١٠] أي : كفر ونحوه ، لا الظالمون من أهل الإيمان ، فإذن

(١) سورة غافر ، آية (١٥) .
(٢) سقط من ل .
(٣) سورة غافر ، آية (١٥) .
(٤) سورة غافر ، آية (١٧) .
(٥) سورة غافر ، آية (١٨) .
(٦) سورة البقرة ، آية (٢٥٤) .
(٧) سورة لقمان ، آية (١٣) .
(٨) سورة الرعد ، آية (٦) .
(٩) سورة الأنعام ، آية (٨٢) .
(١٠) سورة غافر ، آية (٢٨) .

/[١٧٥ب/م] احتجاجهم بعام مخصوص ، أو أريد به الخصوص ، وهو غالب ما يعتمدون عليه في هذه المسألة ، ونحوها من السمعيات .

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾[(١)] الآية[(٢)] احتجت بها الشيعة على جواز التقية ؛ لأن هذا المؤمن استعملها ، وقد أثنى اللّه - عز وجل - عليه ومدحه ، وعلى أن أبا طالب كان مؤمنًا ، لكنه استعمل التقية مع قريش في نصرة محمد -صلى اللّه عليه وسلم- كما استعملها هذا المؤمن في نصرة موسى ، وقد سبقت المسألتان في موضعهما من آل عمران والقصص[(٣)] .

﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم﴾[(٤)] الآية يحتج بها على أن لا واسطة بين الصدق والكذب ؛ لأنه احتج عليهم بالسبر والتقسيم ،ولو كان هناك واسطة لما كان تقسيمه حاصرًا [(٥)] ، ولكانت حجته فاسدة ، لكن القرآن يقتضي صحتها ، فيكون التقسيم حاصرًا ، فلا يكون بين الصدق والكذب واسطة ، وقد سبق تفصيل هذا في أول سورة سبأ ، والمراد هنا بالصدق والكذب مطلق المطابقة ، وإلا مطابقة من غير تقييد ، فمن ثم انتفت الواسطة .

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴾[(٦)] /

---

(١) سورة غافر ، آية (٢٨) .
(٢) زيادة من ل .
(٣) وسبق أن التقية كتمان ، والنفاق كذب ، والشيعة تدور على الثاني لا الأول .
(٤) سورة غافر ، آية (٢٨) .
(٥) في ل : حصرًا .
(٦) سورة غافر ، آية (٣٧) .

[٣٦٥ل] على ما لم يسم فاعله يحتج بها[١] الجبرية .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[٢] دعاهم إلى التوحيد ، والإيمان بالله واليوم الآخر ، وإلى الإعراض عن الدنيا ، والإقبال على الآخرة ، على ما هو ظاهر في كلامه .

﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ ﴾[٣] أي : في البرزخ ، ويستدل به على عذاب القبر ؛ بدليل : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾[٤] فإنه يقتضي أن عرضهم على النار غدوًا وعشيًا قبل يوم القيامة ، وليس ذلك في الدنيا فتعين أنه في البرزخ ، وهو ما[٥] بينهما .

﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ ﴾[٦] يحتج به المعتزلة ، إذ لو كانت أعمالهم مخلوقة لله -عز وجل- لنفعتهم[٧] معذرتهم بأن يقولوا : خلقت فينا ما لا خروج لنا عنه ، فكنا[٨] مجبورين فعلام تعذبنا ؟ وجوابه ما سبق من أن جبره إياهم جبر معقول يدركه ولا تنكره العقول[٩] ، فعقولهم تقضي عليهم باللائمة بحسب كسبهم ولا يعذرهم بجبرهم .

---

(١) في ل : به .

(٢) سورة غافر ، آية (٣٨) .

(٣) سورة غافر ، آية (٤٥ - ٤٦) .

(٤) سورة غافر ، آية (٤٦) .

(٥) سقط من ل .

(٦) سورة غافر ، آية (٥٢) .

(٧) في م : لنفعهم .

(٨) في ل : فكانوا .

(٩) في م : النقول .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ ...﴾[١] الآية فيها وفي نظيرتها قبل بقليل دليل على ذم[٢] الجدال بغير علم وبغير الحق، وأن ذلك إما عن جهل أو /[١٧٦أ/م] عناد واستكبار.

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ ...﴾[٣] الآية مع قوله بعد[٤]: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾[٥] إشارة إلى دليل البعث والمعاد، وينتظم هكذا: إعادة الناس أهون من ابتداء خلقهم، وابتداء خلقهم أهون من خلق السماوات والأرض، فإعادتهم أهون من خلق السماوات والأرض، فهو عليها أقدر. أو هكذا: خلق السماوات أكبر من خلقكم وخلقكم أكبر من إعادتكم، فخلق السماوات أكبر من إعادتكم، فالقادر عليه يكون عليها أقدر، وقد سبق هذا في آخر سورة يس وغيرها.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[٦] فيه كلام سبق في ﴿أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ﴾[٧]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾[٨] ظاهر في تسمية الدعاء عبادة، وأن الاستكبار عنه حرام، إذ فيه إظهار الاستغناء عن الله - عز وجل - وفي الحديث: «**الدعاء مخ**

---

(١) سورة غافر، آية (٥٦).

(٢) في ل: عدم.

(٣) سورة غافر، آية (٥٧).

(٤) في ل: بعده.

(٥) سورة غافر، آية (٥٩).

(٦) سورة غافر، آية (٦٠).

(٧) البقرة (١٨٦).

(٨) سورة غافر، آية (٦٠).

العبادة»[١] وذلك لأنه[٢] إنما يكون عن محض التوحيد .

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣] يحتج به الجمهور كما سبق في آخر الزمر وغيره .

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾[٤] الآية إلى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾[٥] احتجاج على البعث والإعادة بقياس الابتداء كما في أول الحج .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ﴾[٦] الآيات منطبقة[٧] على الفلاسفة ، صادقة عليهم ، إما بخصوصهم/[٣٦٦ل] ، أو في عموم مدلولها ؛ لأن الفلاسفة بنوا أمرهم على أن البرهان العقلي لا يعارضه شيء ، ثم تسامحوا حتى عدوا ما ليس ببرهان برهانًا ، إما وهمًا منهم أو هوى ، أو عصبية ، أو غير ذلك ، فإذا قرروا شبهة هي عندهم برهان ؛ جادلوا بها الكتب المنزلة على الأنبياء ، إما بالتكذيب المحض ، أو بالتأويل الباطل ، فإذا سمعوا الكتب تثبت

---

(١) رواه الترمذي (٥/٤٠٦) حديث (٣٣٧١) ، وقال : غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة . ورواه أبو داود بلفظ : « الدعاء هو العبادة» (٢/٧٦) حديث (١٤٧٩) ، وكذا الترمذي (٥/٢١١) حديث (٢٩٦٩) وقال : حسن صحيح . ورواه أيضًا ابن ماجه (٢/١٢٥٨) حديث (٣٨٢٨) ، وأحمد (٤/٢٦٧ ، ٢٧١) وابن حبان (٣/ ١٧٢) ، والحاكم (١/٦٦٧) جميعهم من حديث النعمان بن بشير ﷺ .

(٢) في ل : أنه .

(٣) سورة غافر ، آية (٦٢) .

(٤) سورة غافر ، آية (٦٧) .

(٥) سورة غافر ، آية (٦٨) .

(٦) سورة غافر ، آية (٦٩ - ٧٠) .

(٧) في ل : مطبقة .

الصفات للَّه ، تأولوها على أن مقاصدها ثابتة له لذاته ؛ لئلا يلزم تعدد القدماء ، ويتأولون الملائكة على قوى الأفلاك ونحوها ، والرسل على قوم حكماء ، ذوي سياسة ونفوس قوية ، تنفعل لها العنصريات يضعون قوانين حافظة لنظام العالم ، وأنها دائمة أبدًا بدوام العالم أبدًا لا تنقطع ، وكلما دثرت ملة ظهرت أخرى .

[وإذا سمعوا من يقول : إن محمدًا خاتم النبيين لا نبي بعده، سخروا من عقله ، كما حكي عن بعضهم أنه رأى الناس يركضون عند إقامة الجمعة ، ليدركوها ، فوقف متعجبًا يقول : سبحان اللَّه ، ما فعل هذا العربي بالناس ؟ يعني النبي ﷺ نسبه إلى العرب - إنما يستخف عقول الناس حتى أجابوه إلى مثل هذه الخفة /[١٧٦ب/م] : زعم . ويتأولون المعاد على الروحاني دون الجسماني ، ويثبتون قدم العالم ، وأنه أزلي أبدي ، وأن اللَّه - عز وجل - إنما يفعل بالطبع والإيجاب ، لا بالقدرة والاختيار ، وغير ذلك من أصولهم ، كقولهم :](١) إن النعيم والعذاب فيما بعد الموت عقلي لا حسي ، كل ذلك على خلاف ما جاءت به الرسل ، وأنزلت به الكتب .

وإذا تأدبوا مع الشرائع تأولوا نصوصها على ما يوافق أصولهم ، ثم لا يبالون كان التأويل قريبًا من الظاهر ، أو بعيدًا جدًّا شبيهًا بالتلاعب ، كقول بعضهم في عصى موسى : ﴿ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾(٢) - : إنه كناية عن حجته غلبت حجة فرعون وقومه ، وفي انفجار اثنتي عشرة عينًا من الحجر ، إنه إشارة إلى منافذ الإنسان كعينيه وأذنيه

---

(١) سقط من ل .

(٢) سورة الشعراء ، آية (٤٥) .

ومنخريه وفمه وقبله ودبره وسرته ، وليت شعري هذه عشر فأين الآخران ؟!! وأشباه ذلك من تلاعبهم ، فالآية بالضرورة صادقة عليهم مع نظرائهم[(١)] من المشركين[(٢)] .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[(٣)] الآية لما كان سنة ثمان وسبعمائة ، رأيت المسيح عيسى بن مريم في النوم : رجلاً أشقر إلى الحمرة ، ما هو رشيق القامة ، عليه ثوب قطن غليظ دسم ، وهو مفرق[(٤)] الثنايا ، في يده عصى لطيفة كالقضيب ، أشبه الناس به الحسين بن عُلا رجل من أهل العلث من الصالحين ، ورأيته صلى ركعتين إلى قبلة المسلمين ؛ فلما فرغ ، وكان مني على خطوات يسيرة ؛ فجاء حتى وقف عليَّ ، وقال لى : كم أرسل اللّه رسولاً ؟ ففكرت في أمري ، وقلت : هذا رسول ، وهو عالم ، فإن أجبته بغير علم لم تكن مصلحة ، فتلوت عليه هذه الآبة ، وقلت : إن كتابنا لم يذكر عددهم ، ولكن قال :﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[(٥)] فرأيته ضحك حتى رأيت أسنانه ، فترددت في النوم في ضحكه : هل هو استقصارًا لعلمي أو لأني تحريت الصدق ، ولم أعد الحق وهذا هو أظهر الاحتمالين ، ثم لما استيقظت نظرت/[٣٦٧ل] في تأويل هذه الرؤيا ، فذكر فيها بعض المعبِّرين أن من رأى المسيح في النوم ،

---

(١) في ل : نظائرهم .

(٢) وأشباههم من المتكلمين في تأويلاتهم لنصوص السمع ، وتلاعبهم في ذلك مشهور معلوم (ح).

(٣) سورة غافر ، آية (٧٨) .

(٤) في ل : مفروق .

(٥) سورة غافر ، آية (٧٨) .

فقدّر له الاشتغال بالطب في ذلك العام برز فيه ، فشرعت من حينئذ في قراءة القانون في الطب ، فقرأت فيه يومين أو ثلاثة ، ثم لم يقدر لى الاستمرار .

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[1] الآية سبق نظيرها والكلام فيه .

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾[2] الآية إشارة إلى أنه لا ينبغي لأحد أن /[١٧٧أ/م] يعارض علم الرسل بغيره ، فإنه حينئذ كمن يعارض طب بقراط وجالينوس بطب العجائز ، بل أسخف عقلاً وأضعف رأيًا ؛ إذ الأنبياء يستندون في علمهم إلى كشف عياني مستند إلى قدرة وعلم رباني ، وهذا المعارض لهم بعلمه مستند إلى عقله وفهمه ، وأين عقل الإنسان[3] الضعيف من علم الحكيم اللطيف .

(١) سورة غافر ، آية (٧٨)

(٢) سورة غافر ، آية (٨٣)

(٣) سقط من ل

القول في سورة فصلت

﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(١) الآية يحتج بها على أن الكفار مكلفون بفروع الدين ، لأنه ذمهم وتوعدهم على منع الزكاة وهي فرع ، كما توعدهم على الشرك وترك الإيمان ، وهو أصل فدَّل على أنهم مكلفون بهما ، إذ ما لا مدخل له في العلة لا يعلل به ، وما ليس بواجب لا يتوعد على تركه .

احتج الخصم بأنهم لو كلفوا بالفروع لصحت منهم حال الكفر ، أو لوجب عليهم قضاؤها بعد الإسلام ، واللازم باطل فالملزوم كذلك ، بيان الملازمة أنهم لو كلفوا بها لم يكن للتكليف بها بد من فائدة ، ولا فائدة إلا صحة أدائها أو وجوب قضائها ، بيان انتفاء اللازم الإجماع على أن الأداء لا يصح منهم ، والقضاء لا يجب عليهم .

وجوابه : أنا لا نسلم انحصار فائدة التكليف بها فيما ذكرتم . بل له فوائد المشهور منها تضعيف العذاب عليهم في الآخرة لأجلها مثل : إن استحق أن يجلد على الكفر سوطين من نار ؛ فيجلد عليه وعلى ترك الزكاة ثلاثة أسواط ونحو هذا مثلاً ، [بواقي فوائده](٢) ذكرها القرافي في شرحه نحو ثنتي عشرة فائدة ، فلتطلب من هناك . وأما عدم صحتها منهم ، حال الكفر فلأنها عبادات لابد فيها من النية،

---

(١) سورة فصلت ، آية (٦،٧) .

(٢) في م : وباقي فوائدها .

ولا نية لكافر ، فانتفاء صحتها منهم لانتفاء شرط الصحة ،لا لعدم وجوبها كانتفاء صحة الصلاة من المحدث ، وأما عدم وجوب قضائها ، فإما لأن القضاء بأمر جديد ، ولم يرد في حقهم ، أو لأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله ، أو لأن الكافر كالميت فالإسلام كابتداء / [٣٦٨/ل] وجوده وولادته ولا قضاء عليه لما قبل ولادته ، أو لئلا ينفر الكفار عن الإسلام لكثرة ما يلزمهم قضاؤه في أزمنة كفرهم المتطاولة ، أو لغير ذلك من حكمة الشرع ، وفي المسألة أقوال :

ثالثها : أن الكفار مكلفون بالنواهي دون الأمر ، لصحة الترك منهم لعدم توقفه على النية ، دون الفعل لتوقفه عليها وفيه كلام . والطرفان قد وجهناهما .

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾[١] الآيات اقتضت أنه خلق السماوات/ [١٧٧ب/ م] والأرض في ثمانية أيام ؛ هذين اليومين والأربعة بعدهما[٢] واليومين بعدها ، وهو مخالف لباقي النصوص على أنه خلقها في ستة أيام .

والجواب : أن اليومين الأولين داخلان في الأربعة بعدهما ، وذلك مع اليومين الآخرين ستة أيام ، كأنه قال : خلق الأرض في يومين ، وقدر فيها أقواتها في تمام أربعة أيام[٣] ، أو في أربعة أيام مع اليومين السابقين . وبعضهم يسمى هذا فذلكة الحساب ، مشتق من قولهم مثلاً : أضف اثنين إلى اثنين فذلك أربعة ، وإنما قلنا ذلك لأن هذه الآية مجملة لاحتمالها إرادة ثمانية أيام ، واحتمالها إرادة ستة ، وباقي

---

(١) سورة فصلت ، آية (٩) .

(٢) في م : بعدها .

(٣) زيادة من ل .

النصوص مبينة ناصة مجمعة على الستة .

والقاعدة : حمل المجمل على المبين .

ثم تضمنت هذه الآيات خلق الأرض قبل السماء ، وفي النازعات ذكر خلق السماء ، ثم قال : ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[١] .

وجوابه : أنه خلق الأرض غير مدحوة ، ثم بنى السماء ثم دحا الأرض ، ودحوها غير خلقها إنما كانت كحصير ملفوف ، ثم فرش ، ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾[٢] .

وقد اختلف الناس في أيهما خلقت قبل الأخرى على قولين ، أظنهما سبقا .

﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾[٣] ظاهره أنهما نطقا[٤] حقيقة بحياة خلقت فيهما ، وحمله قوم على مجاز سرعة الإجابة والانقياد للقدرة والإرادة ، فكأنهما لذلك مصرحتان[٥] بالطاعة .

﴿قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾[٦] هذه شبهة الكفار على الرسل ، وهي لزوم الترجيح بلا مرجح ، وقد سبق وجوابه .

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾[٧] يحتج به المعتزلة في أن اللَّه - عز وجل - هدى خلقه ، ولم يضلهم ، وإنما

(١) سورة النازعات ، آية (٣٠) .
(٢) سورة الذاريات ، (٤٨) .
(٣) سورة فصلت ، آية (١١) .
(٤) في ل : نطقتا .
(٥) في ل : مصرحان .
(٦) سورة فصلت ، آية (١٤) .
(٧) سورة فصلت ، آية (١٧) .

هم أضلوا أنفسهم[١] ، وجوابه ما سبق من أن الهدى على ضربين : هدى إرشاد ودلالة . وهدى[٢] عصمة ورعاية ، فالهدى الذي حصل لثمود هو هدى الإرشاد والدلالة ، لا هدى العصمة والرعاية ، وإلا لاستحال تخلف أثره عن مؤثره ، ومخالفة مخبره لخبره /[٣٦٩ل]، وأما استحبابهم العمى على الهدى ، فهو بحسب كسبهم واختيارهم الذي هو معلول مشيئة اللّه -عز وجل- واختياره ، ومعلول المعلول معلول ، فكسبهم واختيارهم معلول للإرادة الأزلية كما تقرر في قوله- عز وجل- : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٣] .

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٤] قد سبق في آخر يس الإشارة إلى كيفية إنطاق الجوارح ، وقد أحاله ههنا على مجرد القدرة والحكمة .

و﴿ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[٥] عام أريد به الخاص ، وهو الأعيان بخلاف الأعراض ، فإنها لا يتصور منها النطق /[١٧٨أ/م] فلعله[٦] أشار إلى كيفية إنطاقها بأنه خلق النطق في الناطق ، وذلك يستوي فيه جميع الأعيان من جارحة وغيرها ، ونظمه هكذا : الجارحة عين ، وكل عين يمكن أن يخلق فيها النطق فتنطق ، فالجارحة يمكن[٧] أن يخلق فيها النطق فتنطق .

---

(١) سقط من ل .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة الإنسان ، آية (٣٠) .

(٤) سورة فصلت ، آية (٢١) .

(٥) سورة فصلت ، آية (٢١) .

(٦) في ل : ولعله .

(٧) في ل . ممكن .

﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(١) إن كان هذا من قول الجوارح يوم القيامة - عطفًا على : ﴿ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾(٢) فهو توجيه ثان لإنطاقها ، وتقريره : أن(٣) إنطاق الجوارح أيسر من خلقها أول مرة ، فالقدرة عليه أولى ، وإن كان ابتداء كلام من اللّه -عز وجل- فهو مع ما بعده دليل على الإعادة بقياس الابتداء ، أي : أنه يبعثكم كما خلقكم أول مرة ، ثم ترجعون إليه ، [وأما على رأى الاتحادية فهو الناطق منها ؛ لأنه سار بذاته فيها(٤) .](٥)

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾(٦) يحتج به الجمهور على أن اللّه -عز وجل- يضل خلقه بتقدير الأسباب ، فإن تقييض القرناء ، وهم الشياطين ، للتزيين كان مع ما خلق فيهم من الأكساب الظاهرة ، وفي قلوبهم من الدواعي والصوارف ، كان علة تامة لضلالهم ، وكون القول حق عليهم ، وكل ذلك منه لا شيء لهم فيه إلا حركات اكتسابية مقارنة(٧) لاختيارات جبرية .

﴿ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾(٨) أي تسببا في ضلالنا بالإغواء والوسوسة والمشورة والقدوة .

---

(١) سورة فصلت ، آية (٢١) .
(٢) سورة فصلت ، آية (٢١) .
(٣) سقط من ل .
(٤) فما الفرق بين نطق وأنطق ؟! وهذا لأن القول بإنكار صفة الكلام للّه هو بريد الاتحاد حقًّا (خ) .
(٥) سقط من ل .
(٦) سورة فصلت ، آية (٢٥) .
(٧) في م : مقارنات .
(٨) سورة فصلت ، آية (٢٩) .

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾[(١)] ، أما في الآخرة فبالإكرام والسلام والخدمة ونحوها ، وأما في الدنيا فبلمة الملك المشار إليها في الحديث النبوى : « **إن لكل إنسان لمة من الملك ولمة من الشيطان والمعصوم من عصم اللّه**»[(٢)] أو كما قال ، وهذا يدل على أن[(٣)] استقامة من استقام في الدنيا بإعانة من اللّه بتولي الملائكة له[(٤)]، ينفثون في روعه بالخير وتقبيح الشر .

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾[(٥)] هذا يدخل فيه الملائكة يدعون الأنبياء إلى اللّه -عز وجل- بما يوحون إليهم ، والأنبياء يدعون الأمم إلى اللّه بما يبلغونهم ، /[٣٧٠ل] والعلماء والأولياء يدعون إلى اللّه هؤلاء بأقوالهم وهؤلاء بأحوالهم ، فيكشفون عن القلوب الغيايات[(٦)] ويبلغون في البيان أقصى الغايات . والدعاء إلى اللّه -عز وجل- هو اجتذاب القلوب إلى معرفته وطاعته ، بتنبيهها على آياته وعظيم[(٧)] ربوبيته ، وإنما كان هذا القول أحسن الأقوال / [١٧٨ب/م] لأنه وسيلة إلى المعرفة التي هي أحسن الأحوال .

﴿ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾[(٨)] إشارة إلى الملائكة ، وهو من باب :

---

(١) سورة فصلت ، آية (٣١) .

(٢) روى الحاكم طرفه الأول في المستدرك (٣/ ٥٤٣) من حديث أبي بكر الصديق ، رضي اللّه عنه ، موقوفًا .

(٣) سقط من ل .

(٤) زيادة من ل .

(٥) سورة فصلت ، آية (٣٣) .

(٦) في ل : الغيابات . والغياية : كل ما أظلّ الإنسان فوق رأسه كالسحابة والغبرة والظل .

(٧) في ل : وعظم .

(٨) سورة فصلت ، آية (٣٨) .

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[١] أي الملائكة مع شرفهم لا يستكبرون عن عبادته ، فأنتم أولى ألا تستكبروا .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾[٢] إلى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾[٣] استدلال على البعث بإحياء الأرض كما سبق في مواضع ، وينتظم القياس اقترانيًا واستثنائيًا .

أما الاقتراني فهكذا : إحياء الموتى كإحياء الأرض ، وإحياء الأرض ممكن مقدور ، فإحياء الموتى ممكن مقدور . أما الأولى فلأن الأرض تكون يابسة قد غلب عليها اليبس والغبار ، وهي هامدة خاشعة ، أي : متواطئة ، فينزل عليها ماء المطر ، فيتخلل أعماقها فتربو وترتفع ، وتنبت الحب الذي فيها ، فإذا هي تهتز خضراء ، وكذلك الموتى غلب عليهم اليبس الذي هو طبيعة الأرض ؛ فيجمعها اللَّه - عز وجل - ثم يمطر عليها ماء قدرته ، إما حسًّا كما قيل : إن السماء تمطر أربعين يومًا كمني الرجال ، أو عقلًا كما يشاء اللَّه - عز وجل- فيعود إلى العظام ما كان لها حال الحياة من رطوبة وغيرها[٤] ، ثم تعاد إليها الأرواح ، ﴿فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[٥] وأما الثانية فمشاهدة ؛ إذ الأرض تكون مواتًا فتحيا .

وأما الاستثنائي فهكذا : إن كان إحياء الأرض بعد موتها ممكنًا ، فإحياء الموتى ممكن ، والمقدم حق ؛ فالتالي مثله ، والتقرير ما سبق

(١) سورة النساء ، آية (١٧٢) .
(٢) سورة فصلت ، آية (٣٩) .
(٣) سورة فصلت ، آية (٣٩) .
(٤) في ل : ونحوها .
(٥) سورة الزمر ، آية (٦٨) .

أنه على كل شيء قدير ، إشارة إلى الجامع في القياس ، وهو المقدورية وتمام القدرة ، أي : أن المصحح لإحياء الأرض المقدورية والإمكان ، وهو وإحياء الموتى في ذلك سيان .

﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[١] أي : لم يتضمن كذبًا في إخباره بما كان ولا في إخباره بما سيكون ، والمراد لا يلحقه الباطل ولا الإبطال بجهة من الجهات ، لا بمناقضة ، ولا معارضة[٢] ، ولا تنكيت[٣] ، ولا تبكيت ، ولا شيء من جنس ذلك .

وربما احتج بهذا من منع النسخ في القرآن كأبي مسلم الأصفهاني[٤] ؛ لأن النسخ إبطال للنص ، وهو باطل منفي عن الكتاب بالنص ، ويجاب بمنع أن النسخ إبطال/[٣٧١ل] ، ثم بمنع أن هذا الإبطال باطل ، بل هو حق من حق ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾[٥] ، وقد سبق القول في مسألة النسخ .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾[٦] الآية يحتج بها على أن لا معرَّب في القرآن ، لاقتضائها نفي الأعجمية عنه ، وإثبات العربية له ./[١٧٩ أ/ م]

ولا حجة فيها على ذلك ؛ لجواز أن يكون فيه ألفاظ يسيرة من

(١) سورة فصلت ، آية (٤٢) .
(٢) في ل : بمعارضة .
(٣) في ل : تنكيب .
(٤) في ل : الأصبهاني .
(٥) سورة الرعد ، آية (٣٩) .
(٦) سورة فصلت ، آية (٤٤) .

المعرب كالمشكاة والسجّيل[١] ونحوها ، لا يوجب له لقلتها العجمية ، ولا تسلبه[٢] العربية ، وبالجملة فالاحتجاج بعمومها ، وباب التخصيص مفتوح وطريقه مهيع[٣] فسيح .

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾[٤] ونظيرتها[٥] في سورة الروم : ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ...﴾[٦] الآية ، يحتج بهما[٧] المعتزلة ، وإلا لكان الوعد والوعيد فيهما على فعله وما هو مخلوق له ، وإنه محال .

وجوابه ما عرف من تعلق الوعيد بالكسب تحقيقًا عند الكسبية ، أو تقديرًا عند الجبرية .

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[٨] وقد عرفت شبهتهم منها ، وجوابها .

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[٩] الآية . أي لا يعلم هذه الأشياء سواه ، وهي من مفاتح الغيب .

﴿وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾[١٠] أي : علموا وتيقنوا ، وقد سبقت نظائره .

---

(١) في ل : وسجيل .
(٢) في ل : تسلب .
(٣) المهيع : الطريق الواضح البيّن .
(٤) سورة فصلت ، آية (٤٦) .
(٥) في ل : ونظيرها .
(٦) سورة الروم ، آية (٤٤) .
(٧) في م : بها .
(٨) سورة فصلت ، آية (٤٦) .
(٩) سورة فصلت ، آية (٤٧) .
(١٠) سورة فصلت ، آية (٤٨) .

﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ ﴾[١] الآية يحتج بها القدرية لنسبة كفرهم ، وعملهم إليهم ، وتعذيبهم[٢] عليه . وجوابه باعتبار الكسب .

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾[٣] الآية ، أي في الآفاق بفتحها ، وفي أنفسهم بهلاكهم حتى يتبين لهم أن اللّه ودينه ورسوله هو الحق .

ويحتمل أن معناه : سنريهم آياتنا في آفاق السماوات والأرض وأقطارها من بديع الصنعة ،ولطيف الحكمة ، وفي أنفسهم من عجائب خلق الإنسان التي أفادها علم التشريح وغيره ؛ ويشهد لهذا التأويل قوله - عز وجل - : ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[٤] وهذه الآية لشدة إجمالها وكثرة احتمالها يستشهد بها المتكلمون والفلاسفة[٥] والصوفية ، كل على بعض مطالب علمه ، فلكل منها وِردٌ وعنها صَدْرٌ .

﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾[٦] فيه عموم العلم ، أحاط بكل شيء علمًا .

---

(١) سورة فصلت ، آية (٥٠) .

(٢) في ل : ويعذبهم .

(٣) سورة فصلت ، آية (٥٣) .

(٤) سورة الذاريات ، آية (٢١) .

(٥) سقط من ل .

(٦) سورة فصلت ، آية (٥٤)

القول في سورة الشورى

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾[١] أي : لكثرة الملائكة ، ما فيها موضع قدم إلا فيه ملك قائم ، أو راكع ، أو ساجد . «**أطت[٢] السماء ، وحق لها أن تئط** »[٣] .

﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾[٤] وهذا يدل على جسمية الملائكة ، وأن لهم ثقلاً تئط منه السماء حتى تكاد تتفطر ، وإذا جاز أن يكون في الملائكة ثقل ، جاز أن يكون في السماء والأفلاك/[٣٧٢/ل] ؛ لأن الجميع عالم سماوي .

وزعم الفلاسفة أن الفلك لا ثقيل ولا خفيف ، لأنه غير متحرك عن[٥] الوسط كالنار . ولا إلى الوسط كالأرض ، وكل ما / [١٧٩ب/ م] كان كذلك ، فلا ثقل فيه ، وإلا لتحرك إلى الوسط ،

---

(١) سورة الشورى ، آية (٥) . وفي ل : ينفطرن بدل ﴿يتفطرن﴾.

(٢) أط الشيء : صوّت ، والظهرُ صوّت من ثقل الحمل ، والإبل أنّت من تعبٍ أو ثقلِ حِمل أو حنين .

(٣) رواه الترمذي في كتاب : الزهد ، باب : في قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً » . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : الحزن والبكاء ، حديث (٤١٩٠) (٢/ ١٤٠٢) . ورواه أحمد في المسند (٥/ ١٧٣) . والحاكم (٢/ ٥٥٤) ، (٤/ ٦٢٢) ، والبيهقي (٧/ ٥٢) ، كلهم من حديث أبي ذر ﷺ ، وقال الترمذي : « حسن غريب ، ويروى عن أبي ذر موقوفًا » .وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأورده الألباني في الصحيحة (١٧٢٢) ، وحسنه في صحيح سنن ابن ماجة.

وقد روي من حديث العلاء بن سعد ؛ رواه محمد بن نصرٍ المروزي في كتاب الصلاة (١/ ٢٦١) (٢٢٥) . قال الحافظ ابن كثير : وإسناده غريب جدًا . وأورده ابن حجر في ترجمة العلاء بن سعد في كتاب الإصابة (٤/ ٥٤٢) .

(٤) سورة المدثر ، آية (٣١) .

(٥) في م : من .

ولا خفة وإلا لتحرك عن الوسط .

والجواب بمنع[١] عموم الثانية ، فإن قولهم : كل ما كان كذلك ؛ إن أرادوا بطبعه فنعم ، وإن أرادوا بتسخير القادر المختار فممنوع ، لجواز أن يوجد جسم ثقيل أو خفيف ، ثم يتحرك بإرادة القادر المختار حركة دورية كرية لا إلى الوسط ، ولا عنه .

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٢] سبق القول على نظيره في سورة غافر .

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[٣] يحتج به[٤] الجمهور كما سبق من نظائره .

﴿ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[٥] الآية ، فيه إثبات البعث إحالة على القدرة كما سبق ، وإثبات التوحيد ، ونظمه : أولياؤكم لا يحيون الموتى ولا يقدرون ، والإله الحق يحيي ويقدر ، فأولياؤكم لا شيء منهم بإله حق .

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٦]يحتج به[٧] الظاهرية في نفي القياس ؛ لأنه ليس هو الله حتى ترد إليه الأحكام ، ويجاب عنه بأن المراد : فحكمه إلى دين الله ، أو كتاب الله ، والقياس من

---

(١) في م : يمنع .
(٢) سورة الشورى ، آية (٥) .
(٣) سورة الشورى ، آية (٨) .
(٤) في ل : بها .
(٥) سورة الشورى ، آية (٩) .
(٦) سورة الشورى ، آية (١٠) .
(٧) في ل : بها .

دين اللّه وكتاب اللّه ، وهذا البعث الذى هو أهم أركان الإيمان يحتج عليه في القرآن بالقياس ، فما الظن بفروع مستندها الظن .

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[(١)] هذه الآية أولها تنزيه وآخرها إثبات ، فمن جمع بينهما بأن أثبت للّه ما أثبت ، ونزهه عما لا يليق به من مشابهة المخلوقات وأثبت غير ممثل ، ونزه غير معطل ؛ فقد أصاب ، ومن انحرف في التنزيه حتى عطل ، أو في الإثبات حتى شبه ومثل ، فقد أخطأ ، وتوفيقه عنها[(٢)] أبطأ ، ونظيرها[(٣)] في الجمع بين طرفين : قوله -عز وجل- : ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[(٤)] إذ أولها اعتزال قدري وآخرها تفويض جبري ، فمن توسط بينهما فاعتقد أن للّه في خلقه المشيئة الغالبة ، وعليهم الحجة البالغة ، فقد أصاب ، ومن انحرف فاعتزل أو ظلّم ربًا لم يزل ، فقد زل ، ومن أوج التوحيد نزل .

ثم هنا مسألتان : **إحداهما** في الكاف في : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[(٥)] فقيل : زائدة أى : ليس مثله ، وقيل : على أصلها في التشبيه ، ومثل[(٦)] بمعنى هو أى : ليس كهو أو كذاته شيء ، أما أن الكاف ومثل على أصلهما فمحال ؛ إذ يبقى تقديره : ليس مثل مثله أو ليس يشبه مثله شيء ، وهو محال لوجهين :

أحدهما : إثبات مثل له ، والقديم/[٣٧٣/ل] لا مثل له .

---

(١) سورة الشورى ، آية (١١) .

(٢) في ل : عنه .

(٣) في ل : ونظائرها .

(٤) سورة الأنعام ، آية (١٤٩) .

(٥) سورة الشورى ، آية (١١) .

(٦) في ل : وقيل .

والثاني : أن له مثلاً مع أن مثله لا مثل له [١٨٠أ/م] فيكون مثله أكمل منه ، وإنه محال ، ويحتمل صحة ذلك على طريق الفرض والتقدير ، أي : لو فرض له مثل لكان ذلك المثل لا مثل له ، وإذا لم يكن لمثله الفرضي مثل فهو أولى ألّا يكون له مثل .

المسألة الثانية : ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[١] أي يدرك المسموعات والمبصرات بصفتي سمع وبصر ليستا بجارحتين ، وقد سبق تحقيقه .

وعند بعض المعتزلة : أن معنى السميع البصير العالم بالمسموعات والمبصرات ، وعند بعضهم : معناه سلب الصمم والعمى عنه ، والأول هو الصواب ، وقد سبق جميع هذا .

واعلم أن لنا سمعًا ومحله ومسموعًا وسامعًا وسميعًا ، فالسمع القوة المدركة للمسموع ، وهي من اللّه - عز وجل-تسمى صفة قديمة ، ومحل السمع يسمى جارحة وأذنًا ، واللّه -عز وجل- منزه عنها ، والمسموع هو الأصوات المدركة بقوة السمع ، والسامع هو المدرك للأصوات بالفعل[٢] واللّه - عز وجل - متصف بذلك من حين وجود الأصوات ، أما قبلها فمحال ، وإلا لزم قدمها أو وجودها حال عدمها وإنه محال ، والسميع من له صفة السمع ، واللّه -عز وجل- متصف بذلك في الأزل ؛ إذ لا يلزم من وجود الصفة وجود متعلقها ، وإلا للزم قدم المعلومات والمقدورات والمرادات لقدم الصفات المتعلقة هي بها ، وهي العلم والقدرة والإرادة ، وإنه محال ، والكلام في البصير على هذا التفصيل ، وهو تحقيق في هذا المكان .

---

(١) سورة الشورى ، آية (١١) .

(٢) في ل : بالنقل .

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾[١] الآية ، يحتج بها على أن شرع من قبلنا شرع لنا ؛ لأنها تضمنت أن شرائع أولي العزم الخمسة واحدة .

ويعترض عليه بأن ذلك في أصول الدين كالتوحيد ونحوه ؛ بدليل قوله : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ﴾[٢] وهذا تفسير لما شرعه لهم وأخبر أنه يكبر على المشركين ، وإنما كبر على المشركين التوحيد ونحوه من الأصول لا من الفروع ؛ فإذن شرع من قبلنا شرع لنا في التوحيد ونحوه ، وأما في الفروع فهو[٣] محل خلاف ، ولا دليل في الآية عليه .

﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ ﴾[٤] يحتج به الجمهور [لتعليق الاجتباء][٥] بالمشيئة .

﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[٦] يحتج به الفريقان ؛ الجمهور لإضافة الهداية إليه ، والمعتزلة لترتيب الهداية على الإنابة المضافة إليهم .

وجوابه : أنها أضيفت إليهم كسبًا وهي له خلق ، فإذن إنما يهدي[٧] إليه من جعله منيبًا بخلق الإنابة فيه .

---

(١) سورة الشورى ، آية (١٣) .
(٢) سورة الشورى ، آية (١٣) .
(٣) في ل : فهل .
(٤) سورة الشورى ، آية (١٣) .
(٥) في ل : لتعلق القضاء .
(٦) سورة الشورى ، آية (١٣) .
(٧) في ل: هدى .

﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۢ ﴾(١) فيه إيجاب الإيمان بجميع الكتب المنزلة لا المبدلة ؛ لأن ما أمر به النبي(٢) - صلى اللّه عليه وسلم- فنحن مأمورون به إلا ما خصه دليل ، ولقوله -عز وجل- : ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾(٣) ، ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾(٤) وقوله(٥) : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(٦) ونحوه/[].

﴿ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٧) فيه إثبات البعث والحشر .

﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴾(٨) فيه أن من أنكر القيامة ضال كافر ؛ لأنها من أركان الإيمان الخمسة ، وهذا إجماع حتى قال العلماء : لو قال لامرأته أو أمته : أنت طالق أو حرة إن قامت القيامة ، عالمًا بمقتضى حرف الشرط - كفر ؛ بخلاف : إذا قامت - فرقا بينهما بأن «إذا» تقتضي وجوب وقوع ما علق عليها ، و«إن» تقتضي إمكانه الإمكان الخاص الذي لا يقتضي وجوب الوقوع ولا امتناعه ، وذلك ينافي وجوب اعتقاد وجوب(٩) قيام القيامة ، فكان كفرًا ، كما لو قال : أنت طالق إن كان اللّه موجودًا ، أو محمد رسولاً .

---

(١) سورة الشورى ، آية (١٥) .
(٢) زيادة من ل .
(٣) سورة الأنعام ، آية (١٥٣) .
(٤) سورة آل عمران، آية (٣١) .
(٥) زيادة من ل .
(٦) سورة الأحزاب ، الآية (٢١) .
(٧) سورة الشورى ، آية (١٥) .
(٨) سورة الشورى ، آية (١٨) .
(٩) زيادة من ل .

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ﴾[١] فيه إشارة إلى أن تخصيصه من يشاء بالرزق وقبضه وبسطه لطف[٢] منه بعباده ورعاية لمصالحهم ؛ لئلا يفسد الفقر منهم قومًا والغنى آخرين ، وقد شرح ذلك في قوله - عز وجل - : ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٣] الآية[٤]، وأشار إليه في آخر العنكبوت في قوله : ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[٥] وأوضحه النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - غاية الإيضاح في الحديث الإلهي : « **إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده الغنى**»[٦] وبالعكس ، وكذلك ذكر في العافية والبلاء ثم قال : « **إني أدبر عبادي بعلمي**

---

(١) سورة الشورى ، آية (١٩) .

(٢) في ل : لطيف .

(٣) سورة الشورى ، آية (٢٧) .

(٤) زيادة من ل .

(٥) سورة العنكبوت ، آية (٦٢) .

(٦) هذا الحديث يروى من مسند عمر بن الخطاب ، ومن مسند أنس بن مالك .

أولًا : حديث عمر ، أخرجه الخطيب فى تاريخه ١٥/٦ ، ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل المتناهية ١/ ٤٤ من طريق يحيى بن عيسى ، عن سفيان الثورى ، عن حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبى قلابة ، عن كثير بن أفلح عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم عن جبريل فذكره ، ويحيى بن عيسى وهو الرملى ، قال ابن معين : ليس بشيء . وقال النسائى : ليس بالقوى . وقال ابن حبان فى المجروحين (١٢٦/٣ - ١٢٧): وكان ممن ساء حفظه وكثر وهمه حتى جعل يخالف الأثبات فيما يروى عن الثقات ، فلما كثر ذلك فى روايته بطل الاحتجاج به . وقال ابن عدى فى الكامل (٢٦٧٣/٧) : « عامة رواياته مما لا يتابع عليه »وقال ابن الجوزى فى العلل المتناهية عقب روايته لهذا الحديث : «هذا حديث لا يصح ... ففيه يحيى بن عيسى ، الرملى قال يحيى : ما هو بشيء . وقال ابن حبان : ساء حفظه فكثر وهمه فبطل الاحتجاج به».

ثانيًا : حديث أنس بن مالك . أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (٤٤/١) وأبو نعيم فى الحلية (٨/ ٣١٨) ، والبغوى فى شرح السنة (٢٣/٥) والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ٤٢٩/١ ، وابن أبى الدنيا فى الأولياء (١) وزاد السيوطى فى الدر المنثور نسبته إلى ابن عساكر فى تاريخه ، وزاد ابن حجر فى الفتح (٣٤٢/١١) نسبته إلى البزار وأبى يعلى ، وزاد الألبانى فى الصحيحة (١٨٩/٤) نسبته إلى محمد بن سليمان الربعى فى جزء من حديثه ، وزاد الهيثمى فى المجمع نسبته إلى الطبرانى فى الأوسط . كلهم من طريق عمر بن سعيد الدمشقى ، والحسن بن يحيى الدمشقى كلاهما عن صدقة بن عبد اللّٰه=

فيهم ، إني عليم خبير» .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[1] يحتج بها[2] الظاهرية على إبطال القياس ، لأنه شرع لما لم يأذن به الله[3] ، وجوابه بالمنع ، بل الله -عز وجل- أذن فيه بالأمر باتباع الرسول ، وقد فعله الرسول - صلى الله عليه وسلم- في عدة قضايا ، والله - عز وجل - استعمله في أدلة التوحيد والمعاد كثيرًا ، كما قررناه في مواضعه من هذا الكتاب وغيره .

وقد شدد أبو محمد بن حزم النكير على القياسيين حتى كاد يكفرهم ، معتلًا بأنهم شرعوا ما لم يأذن به الله -عز وجل- وذلك في كتاب : «إبطال الرأي» له ، ثم إنه[4] زعم أن الله - عز وجل - قادر على أن يتخذ ولدًا كما سبق في سورة الزمر ، وهذا من أعجب الأشياء وأشد الانحراف عن سنن الاعتدال ؛ إذ يكفر المسلمين في مسألة /[١٨١أ/م] فرعية تتعلق بالعمل ، والتزم الكفر في مسألة أصولية تتعلق بالعلم ، فهو كما قيل : وحيث وَجَبَ أنْ تَسْجُدَ بُلْتَ .

= الدمشقى عن هشام الكنانى ، عن أنس مرفوعًا ، وهذا إسنادٌ ضعيف جدًّا ، صدقة بن عبد الله - وهو أبو معاوية السمين - ضعيف ، وشيخه هشام الكنانى لا يعرف . وقال ابن الجوزى - كما فى العلل المتناهية (٤٤/١) : « هذا حديث لا يصح ففيه الخشنى ، قال يحيى بن معين : ليس بشيء . وقال الدارقطنى : متروك ، وأما صدقة فمجروح» .
أما الخشنى وهو الحسن بن يحيى فقد تابعه عمر بن سعيد كما تقدم ، والحديث ذكره الهيثمى فى المجمع وعزاه للطبرانى فى الأوسط ، وأعله بعمر بن سعيد هذا . وعليه فهذا الحديث لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم فالخشنى ، وصدقة ضعيفان ، وشيخهما ضعيف ، وهشام الكنانى الراوى عن أنس لم أجد من ترجمه ، وقال الشيخ الألبانى فى الصحيحة : لم أعرفه . وانظر كلام الحافظ ابن رجب الحنبلى على هذا الحديث في أثناء كلامه على شرح حديث : « من عادى لى وليًا » الحديث الثامن والثلاثون من جامع العلوم والحكم ، وانظر الصحيحة (١٨٨/٤) .

(١) سورة الشورى ، آية (٢١) .

(٢) في ل : به .

(٣) سقط من ل .

(٤) سقط من م .

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[(١)] اختلف في القربى ؛ فقيل : هي قربى كل مكلف أوصى بمودتها ، فهو كالوصية/[] بصلة الرحم .

وقيل : هي قربى النبي - صلى اللّه عليه وسلم - ثم اختلف فيها ؛ فقيل : هي جميع بطون قريش ، كما فسره ابن عباس فيما رواه[(٢)] البخاري وغيره ، وقيل : هي قرابته الأدنون ، وهم أهل بيته : على وفاطمة وولداهما أوصى بمودتهم ، وعند هذا استطالت الشيعة ، وزعموا أن الصحابة خالفوا هذا الأمر ، ونكثوا هذا العهد بأذاهم أهل البيت بعد النبي - صلى اللّه عليه وسلم - مع أنه سأل مودتهم ، ونزلها منزلة الأجر على ما لا يجوز الأجر عليه ، وإلى هذه الآية أشار الكميت بن زيد الأسدي ، وكان شيعيًا حيث قال :

وجدنا لكم فى آل حم آية تـأولـهـا مـنـا تـقـي ومـعـرب

أي : المجاهر ومن تحت التقية جميعًا تأولناها على أنكم المراد بها .

وأجاب الجمهور : بمنع أن القربى فيها من ذكرتموه ، ثم بمنع أن أحدًا من الصحابة أذاهم أو نكث العهد فيهم .

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[(٣)] سبق القول فيها عند نظيرها قريبًا .

﴿ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[(٤)] هو كقوله -

---

(١) سورة الشورى ، آية (٢٣) .

(٢) في ل : رآه .

(٣) سورة الشورى ، آية (٢٧) .

(٤) سورة الشورى ، آية (٣٠) .

عز وجل- : ﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾[١] ، ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[٢] وقد سبق ، ونحوه[٣] : ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾[٤] على ما فسره النبي- صلى اللَّه عليه وسلم- لأبي بكر رضي اللَّه عنه - أي مصائبكم جزاء بما كسبتم .

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ﴾[٥] يحتج به الجمهور على مذهبهم المشهور ، أي : فما له من ولي يهديه دونه ، وهو كقوله - صلى اللَّه عليه وسلم- : « **من يهده اللَّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له** »[٦] وهو أيضًا متكرر في القرآن ، وكذلك : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴾[٧] أي إلى الهدى[٨] ؛ لأنه إذا خلق الضلال في قلبه استحال أن يدخله الهدى حينئذ ؛ لامتناع اجتماع الضدين في محل واحد .

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ

---

(١) سورة آل عمران (١٦٥) .

(٢) سورة النساء ، (٧٩) .

(٣) في م : ونحو .

(٤) سورة النساء (١٢٣) .

(٥) سورة الشورى ، آية (٤٤) .

(٦) رواه مسلم (٢/ ٥٩٣) (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد اللَّه بلفظ : كان النبي ﷺ يخطب الناس فيحمد اللَّه ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول : «**من يهده اللَّه فلا مضل له** ... » الحديث ، ورواه النسائي (٣/ ١٨٨) حديث (١٥٧٨) ، وأحمد (٣/ ٣٧١) حديث (١٥٠٢٦) ، والبيهقي (٣/ ٢١٤) .

ورواه مسلم من حديث ابن عباس (٢/ ٥٩٣) (٨٦٨) ، والنسائي (٦/ ٨٩) (٣٢٧٨) ، وابن ماجه (١/ ٦١٠) حديث (١٨٩٣) ، وأحمد (١/ ٣٥٠) حديث (٣٢٧٥) .

ورواه أبو داود من حديث ابن مسعود (١/ ٢٨٧) (١٠٩٧) ، والنسائي (٣/ ١٠٤) حديث (١٤٠٤) ، وابن ماجه (١/ ٦٠٩) حديث (١٨٩٢) ، وأحمد (١/ ٣٩٢) حديث (٣٧٢٠) .

(٧) سورة الشورى ، آية (٤٦) .

(٨) في ل : الهداية .

رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾[(١)] يحتج به من يرى أن اللَّه -عز وجل- يتكلم بحرف وصوت ؛ لأنه حصر تكليمه للبشر في ثلاثة أحوال :

أحدها : الوحي ، وهو الإلهام وخلق الكلام/[١٨١ب/م] في النفس ، كقوله - صلى اللَّه عليه وسلم - : « **إن روح القدس نفث في روعي** »[(٢)] الحديث .

والثاني : أن يرسل رسولاً فيوحي بإذنه كجبريل إلى الأنبياء .

الثالث : التكليم من وراء حجاب ، كما كلم موسى ولم يره موسى بل سأله الرؤية فقال : ﴿لن تراني﴾ ، وهذه الحال ليست وحيًا ولا بواسطة رسول ؛ لأنها قسيم لهما[(٣)] فاستحال أن تكون إحداهما ، فهي حال ثالثة ، [وليس إلا التكليم بحرف وصوت .

وأجاب الخصم بأن الحرف والصوت لما دل الدليل على استحالتهما[(٤)] في حقه -عز وجل- وجب تأويل هذا على][(٥)] [أن

---

(١) سورة الشورى ، آية (٥١) .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه ، والبغوي في شرح السنة برقم ٤١١١ ، ٤١١٢ ، ٤١١٣ - (٣٠٣/١٤ - ٣٠٥) من طرق ، عن زبيد اليامي ، عن ابن مسعود - أو عمن أخبره عن ابن مسعود ، عن ابن مسعود ، به مرفوعًا . وكذا القضاعي في مسند الشهاب حديث ١١٥١ (١٨٥/٢) ، ورواه الحاكم (٤/٢) من حديث ابن أبي بكير ، عن الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن سعيد بن أبي أمية الثقفي ، عن يونس بن بكير ، عن ابن مسعود ولفظه « .... **إن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحدًا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا اللَّه أيها الناس وأجملوا في الطلب** » . وإسناده ضعيف .

(٣) في ل : لها .

(٤) فأين الدليل الدال على الاستحالة والنصوص متكاثرة في إثبات الحرف والصوت ، لكن على ما يليق باللَّه ، وراجع المقدمة .(خ)

(٥) سقط من ل .

المكلم][1] من وراء حجاب / [٣٧٦/ل] أخذ عن حسه حتى سمع الكلام من غير صوت في الخارج كالنائم ونحوه ، أو على غير ذلك من التأويل .

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[2] سمى الوحي والقرآن روحًا ؛ لأنه سبب الروح والرحمة ، ولأنه للقلوب كالروح تحيا به ، أو تسمية له باسم الروح الأمين النازل به .

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[3] [زعم قوم أخذوا بظاهر هذا أن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - كان قبل أن يوحى إليه غير مؤمن ، كما قال : ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[4] وهذا صعب شديد أن يقال فيه صلى اللّه عليه وسلم][5] - مع قوله : « **كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين** »[6] وأنه حين ولد خرّ ساجدًا مشيرًا بأصبعه إلى السماء ، وأنه لم يزل كارهًا للأصنام مبغضًا لها قبل النبوة ، لم يحلف بها ولا أكل مما ذبح لها ، وإجماع الناس على أن نبيًا من الأنبياء لم يكفر باللّه ولا خلا من الإيمان به طرفة عين .

[قالوا : يجب تأويل الآية على ما يزيل عنها هذا المحذور ، مثل][7] أن[8] المراد : ما كنت تدري ما الكتاب ولا ماهية الإيمان

---

(١) في ل : وهي أن المتكلم .

(٢) سورة الشورى ، آية (٦٤) .

(٣) سورة الشورى ، آية (٥٢) .

(٤) سورة الضحى ، آية (٧) .

(٥) سقط من ل .

(٦) رواه البخاري في تاريخه الكبير (٧/ ٣٧٤) في ترجمة ميسرة الفجر وهو صحابي واسمه عبد اللّه ابن أبي الجدعاء ، وميسرة لقب له . ورواه ابن سعد في الطبقات (١/ ١٤٨) (٧/ ٦٠) .

(٧) سقط من ل .

(٨) في ل : فاعلم أن .

وحقيقته ، ولا يلزم من كونه مؤمنًا معرفة ذلك ، بدليل أن أكثر الناس هم كذلك . [أو : ما][١] كنت تدري ما الكتاب ولا كيفية الدعاء إلى الإيمان ؛ إذ كيفية دعاء الناس إلى الإيمان إنما يعلم بالوحي ، فقبل الوحي من أين يعلم ، ولا يلزم من كون الإنسان مؤمنًا في نفسه أن يدري كيف يدعو أو إلى ما يدعو غيره ، لجواز أن يتعبد اللَّه -عز وجل- كل إنسان بأمر غير ما يتعبد[٢] به الآخر ، كما اختص النبي -صلى اللَّه عليه وسلم- بخواص تعبد بها لم تكن لغيره .

﴿ [نَّهۡدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ][٣] ﴾[٤] يحتج به الجمهور لإضافة الهدى إليه - عز وجل - وتخصيصه بمن شاء[٥] ،وعند المعتزلة الهدى منسوب إلى الخلق يهدون أنفسهم .

﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ﴾[٦] أي ترشد ، وهذا الهدى غير الهدى المسلوب في قوله -عز وجل- : ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾[٧] فلا يتناقض هذا الإيجاب مع ذلك السلب .

---

(١) في ل : أما .

(٢) في م : تعبد .

(٣) في م ، ل : يهدي به من يشاء .

(٤) سورة الشورى ، آية (٥٢) .

(٥) في ل : يشاء .

(٦) سورة الشورى ، آية (٥٢) .

(٧) سورة القصص ، آية (٥٦) .

القول في سورة الزخرف

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[١] يحتج به جمهور من قال بخلق القرآن ؛ لأن كل مجعول مخلوق ، وقد سبق وجوابه .

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾[٢] يحتج به على بطلان فساد الوضع في الأقيسة ، وهو ترتيب خلاف مقتضى العلة عليها . وتقريره /[١٨٢أ/ م] أنه عز وجل - أنكر ترتيب الإضراب والصفح عنهم على إسرافهم ، كأنَّه قال : إسرافكم يناسب أخذكم وتعذيبكم لا الإضراب والصفح عنكم ، وكذلك قوله عز وجل : ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾[٣] أي : إن شركهم وشهادتهم على أنفسهم بالكفر[٤] لا يناسب عمارتهم للمسجد ؛ لأنهم رجس ، وإنما يناسب مجانبتهم المسجد تنزيهًا له عن رجسهم ونجسهم ، وكذلك لما قال /[٣٧٧ل] فرعون لموسى . ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾[٥] قال له موسى : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٦] أي : استعبدتهم ، واتخذتهم عبيدًا ، وإنَّما ربيتني ولدًا حين اتخذت قومي عبيدًا ، فامتنانك عليَّ بذلك غير مناسب ، وإنَّما المناسب أنْ تعتذر إلي من ذلك .

ومثاله المشهور بين الأصوليين أن يقول الشافعي : لفظ الهبة ينعقد

---

(١) سورة الزخرف ، آية (٣) .

(٢) سورة الزخرف ، آية (٥) .

(٣) سورة براءة ، آية (١٧) .

(٤) سقط من ل .

(٥) سورة الشعراء ، آية (١٨) .

(٦) سورة الشعراء ، آية (٢٢) .

به غير النكاح ، فلا ينعقد به النكاح كالبيع ، فيقول الحنفي : هذا فاسد الوضع أو الاعتبار ، إذ انعقاد غير النكاح به يدل على قوته وتأثيره في العقود وتصرفه فيها ، فقد رتبت على العلة نقيض مقتضاها .

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[١] ، فيه الاستدلال على البعث بقياس إحياء الأرض كما عرف في مواضع.

﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾[٢] فيه استعمال اللفظ الواحد في حقيقته ومجازه ؛ لأن ركوب الفلك مجاز ، وركوب الأنعام حقيقة ؛ لمبادرة الفهم إليه عند الإطلاق .

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾[٣] أي : ولدًا حيث قالوا : الملائكة بنات اللّه ، وهو يدُلُّ على أن الولد جزء الوالد، ويصحح تعليل الفقهاء في بعض أحكامهما بأن بينهما جزئية وبعضية ، وأكد ذلك قوله - صلى اللّه عليه وسلم - «**فاطمة بضعة مني**»[٤] أي : قطعة وجزء .

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴾[٥] الآيتين ، سبق نظيره في النحل وسبحان .

﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[٦] فيه إشارة إلى أمور :

---

(١) سورة الزخرف ، آية (١١) .
(٢) سورة الزخرف ، آية (١٢) .
(٣) سورة الزخرف ، آية (١٥) .
(٤) تقدم تخريجه .
(٥) سورة الزخرف ، آية (١٦) .
(٦) سورة الزخرف ، آية (١٨) .

أحدها : أنَّ الزينة والترف والعي كالفطرة والغريزة للنساء ، إذ معنى الكلام : أتجعلون للَّه من شأنه هذه الصفات .

الثاني : أنَّ البيان مقصود في الخصام ، وأن الغلبة في الجدال أعظم منها في الجلاد، لأن الإنسان أكثر ما يصرع بجلاده ألفًا ، وهو بجداله وحسن بيانه قد يصرع ألوفًا بل أممًا .

الثالث : مدح البيان والثناء على أهله ، وهو إفهام المعنى على الوجه التام بطريق سهل عام ، ومأخذ ذلك من قياس العكس ؛ لأنَّه لما ذم غير المبين دل على مدح المبين ، وإلَّا استوى النقيضان في الحكم ، وإنَّه محال .

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾[1] الآية فيها إشارة إلى أمور :

أحدها : أنَّ جعل يكون بمعنى سمَّى /[١٨٢ب/م] واعتقد ، أي : سموا الملائكة واعتقدوهم إناثًا ، [وقد نوقض به من احتج على خلق القرآن بقوله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[2] لأن المجعول مخلوق ؛ فقيل له يبطل بقوله : ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا﴾[3]][4] مع أنهم لم يخلقوهم ، ولا يصح هذا النقض ، وإنما يصح أن لو صح هذا المعنى في : ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[5] لكنه لا يصح أن يقال : إنَّا[6] سميناه أو اعتقدناه قرآنًا، وإنما هو

(١) سورة الزخرف ، آية (١٩) .
(٢) سورة الزخرف ، آية (٣) .
(٣) سورة الزخرف ، آية (١٩) .
(٤) سقط من ل .
(٥) سورة الزخرف ، آية (٣) .
(٦) في ل : إنما .

بمعنى : صيرناه قرآنًا عربيًا مع قدرتنا / [٣٧٨ل] على أن نصيره عبرانيًا أو سريانيًا .

الثاني : أن الملائكة ذكور لوجهين :

أحدهما : أنَّه سماهم عباد الرحمن ، وواحد العباد عبد، وهو اسم للذكر العاقل في لسان العرب .

الثاني : أنَّه نفى عنهم الأنوثة ، فتعينت الذكورة لهم ، إذ لا واسطة بين القسمين في جنس الحي .

الثالث : ﴿ستكتب شهادتهم﴾ فسر الجعل بالشهادة ، كأنَّه قال : وشهدوا أن الملائكة إناث ، ثم قوله ﴿ستكتب﴾ تقتضي أنَّها لم تكتب بعد. وإنَّما ستكتب[1] في المستقبل ، وقوله : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[2] ، ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾[3] يقتضي أنَّها كتبت حين الشهادة ، والإجماع على ذلك أنَّ الحفظة يكتبون ما يصور عن الإنسان شيئًا فشيئًا ، وإن أخر كاتب الشمال شيئًا فلحظة أو ساعة رجاء التدارك بالتوبة ، وحينئذٍ يلزم أنَّ هذه الشهادة كتبت حين وقوعها ، ولم تكتب معًا ، وإنَّه محال .

والصواب : أن ﴿ستكتب﴾ مجاز عن أنهم سيجزون بها ويعاقبون عليها ، لكن لما كان حفظ العمل بالكتابة سببًا للجزاء عليه عبَّر عن المسبب بالسبب .

﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ﴾[4] يحتج بها المعتزلة بأنهم لما

---

(١) في م : تكتب .
(٢) سورة ق ، آية (١٨) .
(٣) سورة يونس ، آية (٢١) .
(٤) سورة الزخرف ، آية (٢٠) .

أضافوا عبادتهم للأوثان إلى مشيئة الله عز وجل جهلهم وكذبهم ، ولو كانت عبادتهم لها مشيئة لما كان كذلك ، ويجاب عنه بنحو ما سبق في نظيره في آخر الأنعام ، وهو أنه لم يكذبهم في إضافة ذلك إلى مشيئته ، كيف وإنه يقول : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾[١] وإنما أراد أنَّ ما قالوه من إضافة عبادة الأصنام إلى مشيئته ، وإن كان حقًّا في نفس الأمر ، لكنهم لم يبلغوا من معرفة الله عز وجل إلى حيث يعلمون دوران الأشياء مع مشيئته وجودًا وعدمًا ، وإنَّما يقولون خرصًا أو تخمينًا أو مناقضة للرسول وجدلاً ؛ فهم وإن أصابوا فيما قالوه لكن عن غير علم بل رمية من غير رام ، والإصابة بغير علم خطأ ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم « **من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ** »[٢] وقال /[١٨٣أ/م] الفقهاء : من اشتبهت عليه القبلة فصلى بغير اجتهاد فيها لزمته[٣] الإعادة وإن أصاب ؛ لتركه فرض الاجتهاد ، على خلاف فيه.

﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾[٤] الآيات دلت على ذم التقليد ، والمشهور المطابق لهذه الآية أنه متابعة الغير في قول أو فعل من غير دليل ، بل لحسن ظن[٥] به ، أو غلبة عادة وإلف .

---

(١) سورة الأنعام ، آية (١٣٧)

(٢) رواه أبو داود في العلم ، باب الكلام في كتاب الله بغير علم برقم (٣٦٥٢) والترمذي في التفسير ، باب : ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه برقم (٢٩٥٣) والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٨٦) . **وإسناده ضعيف** ، فإن في إسناده سهيل بن أبي حزم - عبد الله أو مهران - قال ابن معين صالح وقال أبو حاتم ليس بالقوي وكذا قال البخاري والنسائي . وروى أحمد بن زهير ، عن ابن معين . ضعيف (الميزان ٢/ ٢٤٤) وفي التقريب ضعيف

(٣) في ل لزمه

(٤) سورة الزخرف ، آية (٢٢)

(٥) في ل الظن

وقيل : هو قبول قول القائل ، وأنت لا تعلم مأخذه ومستنده ، فعلى الأول لا يسمى قبول قول النبي صلى اللّه عليه وسلم / [٣٧٩ل] تقليدًا ؛ لأن قوله عين الدليل والحجة ، فلا يصح أن يقال : تابعناه وقبلنا قوله بغير(١) حجة أو دليل .

وعلى الثاني في تسمية قبول قوله تقليدًا وجهان :

أحدهما :يسمى تقليدًا ؛ لأنا لا نحيط بعلمه ومأخذه للأحكام .

والثاني : لا يسمى تقليدًا ؛ لأنا نعلم أنَّ(٢) مأخذه ومستنده الوحي ، بدليل : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(٣) .

وأصل الوجهين أنه صلىٰ اللّه عليه وسلم هل كان يجتهد في الأحكام بالنظر ونحوه ، فيسمى قبول قوله تقليدًا لخفاء مأخذه أم لا ، بل يقتصر(٤) على الوحي فلا يسمى تقليدًا لعلمنا بمغزاه ومأخذه.

ذكر هذه النبذة الشيخ أبو محمد الجويني في أول كتابه المسمى بـ «المسلسل» في الفقه . وقد اختصرناه .

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا﴾(٥) الآية ، فيه تعليل أفعاله عز وجل بالمصالح وامتناعها للمفاسد .

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾(٦) الآية ، يحتج بها المعتزلة ؛ لأنه أضاف الإعراض عن الذكر إليهم ، وصدهم عن

---

(١) في ل : بلا .

(٢) سقط من م .

(٣) سورة النجم ، آية (٤) .

(٤) في م : يقصر .

(٥) سورة الزخرف ، آية (٣٣) .

(٦) سورة الزخرف ، آية (٣٦) .

السبيل إلى الشياطين ، وجعل تقييض القرناء لهم عقوبة على إعراضهم.

وأجاب الجمهور بأن ذلك كله باعتبار الكسب ، وأما الخلق فلمن له الخلق والأمر ، وقد دلت النصوص البراهين على ذلك .

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾(١) فيه أن معارضة الفاسد بالفاسد لا ينفع ؛ لأنهم لما سمعوا قوله عز وجل ﴿فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾(٢) تأسى البعض بالبعض ، فبين لهم فساد ذلك التأسي ، وأنه غير نافع ؛ إذ ألم الغير لا يخفف ألم النفس ، وهكذا فساد حجة أحد الخصمين لا يقتضي صحة حجة الآخر ، وإنما تنفع الحجة ويصح المعنى فيها [بصحتها] لا معنى في غيرها يفسدها ، نعم قد تستعمل معارضة الفاسد بالفاسد في الجدل ؛ دفعًا لشر الخصم وتسلطه .

وفي الآية سؤال ، وهو أن إذ للزمن الماضي ؛ فكيف يصح وقوع النفع اليوم / [١٨٣ب/م] فيه ؟ إذ يصير تقديره لن ينفعكم اليوم اشتراككم وقت ظلمكم منذ ألف سنة ، أو لا ينفعكم اشتراككم اليوم وقت ظلمكم أمس ؟

وجوابه : أن «إذ» هنا للتعليل ، وخرجت عن الظرفية ، فتقديره لن ينفعكم اشتراككم اليوم لعلة ظلمكم أمس .

﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾(٣) الآية ، إن قيل : قد ماتوا قبله بدهور فأين هم حتى يسألهم ؟

(١) سورة الزخرف ، آية (٣٩)

(٢) سورة الصافات ، آية (٣٣)

(٣) سورة الزخرف ، آية (٤٥)

فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن المراد : سل كتبهم ومن بقي من أصحابهم ، وما حكاه القرآن عنهم .

والثاني : /[٣٨٠ل] أنهم بعثوا له ليلة الإسراء في بيت المقدس أو في السماء فسألهم ، وفيها إجماع الأنبياء وأديانهم على التوحيد ، ويكفي في ذلك أن النصارى مع شركهم الظاهر يدَّعون التوحيد، ويصرحون بأن آلهة كل واحدٍ منهم إله كامل ، ثم يقولون : هم إله واحد ، ويفتتحون كتبهم بقولهم[(١)] : باسم[(٢)] الأب والابن وروح القدس إله واحد . فلو كان للشرك[(٣)] أصل في ملة من الملل لتعلقت به النصارى احتجاجًا واستئناسًا ، ولا نعلم[(٤)] أن أحدًا صرح بالشرك وأصرّ عليه إلا المجوس في إثباتهم النور والظلمة إلهين . وقد سبق الكلام معهم[(٥)] .

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾[(٦)] [فيه أن الفاسق سريع القبول للباطل ؛ لأن هذا تعليل لطاعتهم إياه بفسقهم][(٧)] ، كما سبق أن «إن» للتعليل ، وسبب ذلك أن الفسق والباطل من وادٍ واحد لخروجهما عن الاعتدال ودخولهما في حيز

---

(١) سقط من ل .

(٢) في م : بسم .

(٣) في م : الشرك .

(٤) في ل : يعلم .

(٥) مراده بالآلهة الأرباب ، فإنه ههنا خلط بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ، وكلامه كله هنا حول الأول فتنبه(خ) .

(٦) سورة الزخرف ، آية (٥٤) .

(٧) سقط من ل .

الضلال ، والجنس ميال إلى الجنس .

﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾[١] فيه ذم الجدل[٢] بالباطل ، وأن من الجدل[٣] ما يقصد به غلبة الخصم لا تحقيق الحق .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾[٤] هذا رد على النصارى في تألههم إياه .

﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[٥] رد على اليهود في تكذيبه وبهته وأمه .

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾[٦] فيه وجهان

أحدهما : فأنا أول الجاحدين للولد ، أو الآنفين من إثباته

ومنه قول الفرزدق :

وأعبد أن[٧] تهجى[٨] كليب بدارم

أي : آنف من ذلك ولا أرضى به لعدم مكافأتهم لنا .

والثاني : أنا أول العابدين للّه على تقدير ثبوت الولد ؛ إذ مقصودي اتباع الحق وطاعة اللّه - عز وجل - [على أي حال][٩] أو

---

(١) سورة الزخرف ، آية (٥٨)

(٢) في ل : الجدال .

(٣) في ل : الجدال .

(٤) سورة الزخرف ، آية (٥٩)

(٥) سورة الزخرف ، آية (٥٩)

(٦) سورة الزخرف ، آية (٨١)

(٧) في ل عبدُ إن

(٨) في م تهجا

(٩) سقط من ل

تقدير كان من التقادير الحقة . وهذا هو الصحيح ، والأول ضعيف ؛ إذ فيه جحد الولد على تقدير ثبوته ، وهو تناقض وعناد[١] ، اللَّهم إلا أن يحمل / [١٨٤أ/م] على معنى : إن كان له ولد عندكم وفي اعتقادكم فأنا أول الجاحدين له على اعتقادي ، وإنما أعبد اللَّه وحده منزهًا عن ولدٍ وغيره مما لا يليق به ، فهذا[٢] يصح ويستقيم .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾[٣] اختلف في هذا ؛ فقيل : هو فيهما بذاته ، وهو قول القائلين : إنه في كل مكان بذاته .

وقيل : ليس في واحد منهما بذاته ، وإلا لزم التحيز[٤] والتجسيم ، وهو قول الأشعرية ومن وافقهم .

وقيل : هو في السماء فوق العرش بذاته ، وفي الأرض بعلمه وحكمه ؛ كما يقال : فلان في مصر سلطان ، وفي الشام هو سلطان ، أي : في إحداهما بنفسه وفي الأخرى بحكمه . وهو قول أهل الحديث من الحنابلة وغيرهم .

[وأما الاتحادية فربما احتجوا بهذا على رأيهم في سريانه في جميع العالم .][٥]

قوله تعالى[٦] : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٧]

---

(١) في ل : أو عناد .

(٢) في ل : ولهذا .

(٣) سورة الزخرف ، آية (٨٤) .

(٤) في ل : التحييز

(٥) سقط من ل .

(٦) زيادة من ل .

(٧) سورة الزخرف ، آية (٨٧) .

أي : كيف [وإلى أين][١] ينصرفون عن[٢] عبادة خالقهم إلى[٣] عبادة غيره ؟ وهو من أدلة التوحيد .

ونظمه : لا شيء من آلهتكم بخالق لكم ، والله خالق لكم ؛ فلا شيء من آلهتكم/[٣٨٣/ ل] بإله[٤] . وقد سبق في مواضع .

﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾[٥] الآية[٦] وعيدي محكم ، أو منسوخ بآية السيف .

---

(١) في م : ظنك أن .

(٢) في ل : في .

(٣) في ل : في .

(٤) في م : بالله .

(٥) سورة الزخرف ، آية (٨٩) .

(٦) سقط من ل .

القول في سورة الدخان

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾[١] أي أنزلناه يعني القرآن .

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾[٢] يحتج به على قدم القرآن المسموع ؛ لأنه أمر الله والأمر قديم[٣] ، وقد سبق القول فيه .

﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ﴾[٤] احتج بعض المعتزلة على شرف طائفتهم بأن اسمهم مشتق من عزل والاعتزال ، ولم تذكر هذه المادة في القرآن إلا في سياق الخير، نحو[٥] : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[٦] ، ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾[٧] ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾[٨] ونحوه ، فينتقض عليهم بهذه الآية ؛ فإن فيها اعتزال الكفار عن الرسول والهدى ، وهو [شر ، و][٩] بقوله ﷺ : « **إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبكي** »[١٠] وإنما الاعتزال الانفراد بمعزل ، وهو قد يكون في الخير ، وقد يكون في الشر ، فلا حجة

(١) سورة الدخان ، آية (٣) .

(٢) سورة الدخان ، آية (٥) .

(٣) والأمر والكلام قدمه بالنوع لا بالأفراد ، فلا يصلح للاحتجاج على قدم العين ، أو على الإطلاق ، وراجع المقدمة .

(٤) سورة الدخان ، آية (٢١) .

(٥) زيادة من ل .

(٦) مريم (٤٨) .

(٧) مريم (٤٩) .

(٨) البقرة (٢٢٢) .

(٩) في ل : شرف .

(١٠) رواه مسلم (١/ ٨٧) حديث (٨١) ، من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه (١/ ٣٣٤)=

فيه [ولا استشهاد][١] .

وإن ساغ ذلك لهم ساغ[٢] للخوارج أن يقولوا : اسمنا مشتق من الخروج ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[٣] [وللجبرية أن يقولوا][٤] : اسمنا مشتق[٥] من الجبر ضد الكسر ، وللشيعة أن يقولوا : اسمنا مشتق من مشايعة الحق ، ومن قوله - عز وجل - : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾[٦] وللأشعرية أن يقولوا : اسمنا مشتق من الشعور ، وهو العلم ، أو من الأشعريين أصحاب النبي ﷺ .

والكرامية مشتق من الكرم ، بل لليهود أن يقولوا : نحن من قوله : ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[٧] أي تبنا .

والنصارى من نصرة المسيح ، ونحوه كثير لا صيور له إلا النقض على من استند إلى مثله .

﴿ كَمْ تَرَكُوا /[١٨٤ب/م] مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[٨] إلى قوله[٩] : ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾[١٠] يعني بني إسرائيل ، كما صرح

= حديث (١٠٥٤) ، وابن خزيمة (١/ ٢٧٦) حديث (٥٤٩) ، وابن حبان (٦/ ٤٦٥) حديث (٢٧٥٩) ، والبيهقي (٢/ ٣١٢) .

(١) في ل : والاستشهاد .

(٢) بعده في ل : ذلك .

(٣) البقرة (٢٥٧) . وفي م : يخرجونهم بدل ﴿يخرجهم﴾.

(٤) في ل : والجبرية .

(٥) سقط من ل .

(٦) الصافات (٨٣) .

(٧) الأعراف (١٥٦) .

(٨) سورة الدخان ، آية (٢٥) .

(٩) زيادة من ل .

(١٠) سورة الدخان ، آية (٢٨) .

به[١] في الشعراء ، وهو دليل على أنهم ورثوا أهل مصر من آل فرعون ، على ما حكيناه في الأعراف .

قوله - عز وجل - : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[٢] استثناء منقطع ، أي لكن الموتة الأولى قد سبق ذوقهم لها وانقطع .

وقد اختلف في الفرق بين الاستثناء المتصل والمنقطع ؛ فقيل : المتصل ما كان من الجنس ، نحو : قام القوم إلا زيدًا[٣] . و[٤] المنقطع ما يقابله ، نحو : قام القوم إلا حمارًا ، وقيل في بطلان هذا : إنه لو قال في قوم ليس فيهم زيد : قام القوم إلا زيدًا[٥] ، كان استثناءًا منقطعًا مع أنه من الجنس ، فعلى هذا : المتصل هو المخرج مما قبله بإلَّا أو نحوها ، والمنقطع هو المذكور بعد إلا أو نحوها غير داخل فيما قبلها . وقال الشيخ شهاب الدين القرافي : المتصل/[٣٨٤/ل] هو الحكم على جنس ما حكمت عليه أولاً بنقيض ما حكمت به ثانيًا ، والمنقطع ما اختل فيه أحد هذين القيدين ، وهو أن تحكم على غير جنس ما حكمت عليه أولاً ، أو بغير نقيض ما حكمت به أولاً .

قلت : مثال الأول : جاء القوم إلا الفرس ، ومثال الثاني : [جاء القوم][٦] إلا أن زيدًا آكل أو شارب ، أو نحو ذلك .

---

(١) زيادة من ل .

(٢) سورة الدخان ، آية (٥٦) .

(٣) في م : زيد .

(٤) سقط من م .

(٥) في م : زيد .

(٦) سقط من ل .

القول في سورة الجاثية

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ﴾[(١)] وقد سبق احتجاج المعتزلة به[(٢)] وجوابه .

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[(٣)] يحتج به الجمهور على أن اللّه - عز وجل - هو يضل من يشاء ، وتأوله الخصم على منع اللطف ، وقد عرف جوابه .

﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾[(٤)] يحتج به الجمهور أيضًا ، وقد سبق القول[(٥)] أول البقرة .

﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[(٦)] هو نحو : ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ ﴾[(٧)] .

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا ﴾[(٨)] الآية شبهتهم على إنكار البعث ، وأسندوها بقولهم : ﴿ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[(٩)] .

---

(١) سورة الجاثية ، آية (١٥) .

(٢) زيادة من ل .

(٣) سورة الجاثية ، آية (٢٣) .

(٤) سورة الجاثية ، آية (٢٣) .

(٥) سقط من ل .

(٦) سورة الجاثية ، آية (٢٣) .

(٧) سورة الشورى ، آية (٤٤) .

(٨) سورة الجاثية ، آية (٢٤) .

(٩) سورة الجاثية ، آية (٢٥) .

وجوابه : ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[١] ولم يبرهن عليه هٰهنا لوجهين :

أحدهما : أنهم يلزمهم تصديق قوله في البعث ، لقيام دليل صدقه على أيدي الرسل . وبالنظر في آيات الوجود سواء برهن أو لم يبرهن .

الثاني : اكتفاء بما قرره من براهين البعث في مواضعه ، وقد يحتمل أنه ترك البرهان هٰهنا[٢] على البعث إشارة إلى وضوحه وعناد الخصم وعدم قبوله للحق ، فالإعراض عنه وترك مكالمته أولى ، وهو حكم الخصم المعاند المشاغب .

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٣] يستدل به على أن النسخ حقيقة في النقل ؛ لأن استنساخ الكتاب نقله من أصل إلى فرع . وفيه أقوال ؛ **أحدها** هذا .

والثاني : أنه حقيقة في الإزالة لقولهم : نسخت الشمس الظل . أي : أزالته .

والثالث : / [١٨٥أ/م] أنه مشترك بينهما ، والإزالة أعم من النقل ؛ لأنها قد تكون بالنقل وغيره ، كإعدام الجوهر من مكانه من غير نقل ، فهي أشبه أن يفسر بها النسخ ؛ لأنها القدر المشترك .

﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾[٤] فيه الفرق بين الظن واليقين ؛ لإثبات أحدهما ونفي الآخر ، وقد سبق الفرق بينهما .

---

(١) سورة الجاثية ، آية (٢٦) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة الشورى ، آية (٢٩) .

(٤) سورة الشورى ، آية (٣٢) .

القول في سورة الأحقاف

﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾(١) الآية يحتج بها على انقراض العالم عند بلوغ أجله المسمى ، خلافًا للفلاسفة في قولهم : هو أبديّ/[٣٨٥/ل] لا يزال . والخلاف معهم مبني على قدمه ، وقد سبق .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾(٢) الآية دليل على التوحيد ، وتقريره هكذا : لا شيء من آلهتكم خالق في الأرض ، ولا ذو ملك في السماوات ، والإله الحق خالق في الأرض ذو ملك في السماوات ؛ فلا شيء من آلهتكم بالإله الحق . وهما واضحتان .

﴿ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ ﴾(٣) قيل : معناه حدثني أبي عن جدي ، فيحتج به المحدثون على شرف علم الحديث والإسناد . وقيل : هو ضرب الرمل ، فيحتج به الرمّالون .

﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾(٤) مع(٥) قوله : ﴿ فِى عَامَيْنِ﴾(٦) يحتج به على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وهو نوع من أنواع كيفية

(١) سورة الأحقاف ، آية (٣) .
(٢) سورة الأحقاف ، آية (٤) .
(٣) سورة الأحقاف ، آية (٤) .
(٤) سورة الأحقاف ، آية (١٥)
(٥) في ل : في .
(٦) لقمان ، آية (١٤) .

الاستدلال بالخطاب على الحكم مذكور في أصول الفقه .

﴿ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي ﴾[(١)] إنكار منه للبعث ، وجوابه قولهما له[(٢)] : ﴿ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ ﴾[(٣)] أي وقد وعد بالبعث .

﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ ﴾[(٤)] يحتج به على أن للأعمال أثرًا في تفاوت الدرجات ؛ فيقال : إنه يقال لأهل الجنة : ادخلوها برحمة اللّه واقتسموها بأعمالكم[(٥)] .

﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ﴾[(٦)] قيل : هو عام خص بالحس لمشاهدتنا السماوات والأرض لم تدمر ، والأشبه أنه عام أريد به الخاص ، وهو ما يختص بعاد قوم هود من المساكن والأموال والأنفس ونحوها ، بدليل : ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ ﴾[(٧)] فحصر[(٨)] ما دمرته بما أتت عليه ، وإنما أتت على أرض عاد .

﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾[(٩)] إلى قولهم : ﴿ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾[(١٠)] يحتج به على وجود الجن ، وأن منهم مسلمين .

---

(١) سورة الأحقاف ، آية (١٧) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة الأحقاف ، آية (١٧) .

(٤) سورة الأحقاف ، آية (١٩) .

(٥) أو يقال : دخول الجنة بالرحمة لحديث : «لن يدخل أحد الجنة بعمله» والباء هنا هي باء المعاوضة ، وإن كان العمل سببًا في دخول الجنة لقوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ (خ) .

(٦) سورة الأحقاف ، آية (٢٥) .

(٧) الذاريات (٤٢) .

(٨) في ل : فخص .

(٩) سورة الأحقاف ، آية (٢٩) .

(١٠) سورة الأحقاف ، آية (٣١) .

وقولهم : ﴿ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا ﴾[(١)] لعلهم كانوا على دين التوراة ، فلذلك خصوا بالذكر موسى دون عيسى .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾[(٢)] استدلال /[١٨٥ب/م] على منكري[(٣)] البعث وقد سبق في هذه السورة في قول القائل : ﴿ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ ﴾[(٤)] إلى قوله : ﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[(٥)] وقد سبق تقرير هذا الدليل في « يس » وغيرها .

﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[(٦)] قيل : هم جميع الرسل ، وقيل : هم الخمسة المذكورون[(٧)] في قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾[(٨)] ، وقوله : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾[(٩)] .

ويحتمل أنهم المذكورة قصتهم[(١٠)] في سورة هود ، وهم سبعة لقوله في آخرها : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ

---

(١) سورة الأحقاف ، آية (٣٠) .
(٢) سورة الأحقاف ، آية (٣٣) .
(٣) في م : منكر.
(٤) سورة الأحقاف ، آية (١٧) .
(٥) سورة الأحقاف ، آية (١٧) .
(٦) سورة الأحقاف ، آية (٣٥) .
(٧) في ل : المذكورة .
(٨) الأحزاب ، آية (٧) .
(٩) سورة الشورى ، آية (١٣) .
(١٠) في ل : قصصهم .

فُؤَادَكَ﴾[1] والأشبه الأول / [٣٨٦/ل] ؛ لأنه في غالب القرآن إنما يؤسيه بعموم الرسل نحو : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا ﴾[2] إلى قوله : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِي۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[3] وأشباه ذلك .

---

(١) هود ، آية (١٢٠) .

(٢) الأنعام (٣٤) .

(٣) الأنعام (٣٤) .

القول في سورة محمد

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾[١] عطف خاص على عام ، وهو يدل على أن الإيمان بالقرآن أخص وأفضل أنواع الإيمان ، وهو كذلك ؛ لأنه يشمل جميع أنواع الإيمان وغيرها من القصص والأخبار والأحكام .

﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[٢] يحتج به على جواز أسر الكفار إذا ظفر بهم في الحرب ، وعلى نسخها لآية الأنفال : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾[٣] أو أن هذه كان حكمها إلى غاية الإثخان ، وقد حصلت فلا يكون نسخًا ، بل انقضاء حكم بانقضاء مدته كالإجارة .

﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾[٤] يحتج بها[٥] المعتزلة ؛ لأنه لو كان خالقًا لأفعالهم لعلم بما يكون منهم قبل ابتلاء بعضهم ببعض ، ولم يبق للابتلاء[٦] فائدة .

وأجيب بأنه خالق لأفعالهم ، عالم بما سيكون منهم ، غير أنه أراد أن يظهر ما في علمه ليكون أمارة على حكمه وعدله في حكمه .

(١) سورة محمد ، آية (٢) .
(٢) سورة محمد ، آية (٤) .
(٣) الأنفال ، آية (٦٧) . وفي ل : تكون بدل ﴿يكون﴾ .
(٤) سورة محمد ، آية (٤) .
(٥) في م : به .
(٦) في ل : للأنبياء .

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾[١] الآية يحتج بها على النعيم والعذاب الحسيين ، ومثل ذلك كثير ؛ خلافًا للفلاسفة والنصارى .

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[٢] أي خلقًا ﴿ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[٣] كسبًا .

﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾[٤] يستدل به على قبول الإيمان والهدى الزيادة والنقصان .

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[٥] يستدل به على قربها ؛ لأن علامات[٦] الشيء ومقدماته تدل على قربه ، وقد سبق أن القرب والبعد أمران إضافيان .

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾[٧] يحتج به على تقديم / [١٨٦أ/م] أصول الدين كالتوحيد على فروعه كالاستغفار وغيره ؛ لتقديمه التوحيد هٰهنا ، ولأن رتبة الأصل قبل رتبة[٨] الفرع ، وعلى أن المعتبر في الأصول العلم لا غيره ؛ لقوله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٩] وهذا فيه تفصيل ، وهو أن ما كان من القضايا الأصولية بديهيًا استوى فيه العالم وغيره ، واعتبر فيه العلم ، وما كان

---

(١) سورة محمد ، آية (١٥) .
(٢) سورة محمد ، آية (١٦) .
(٣) سورة محمد ، آية (١٦) .
(٤) سورة محمد ، آية (١٧) .
(٥) سورة محمد ، آية (١٨) .
(٦) في ل : علامة .
(٧) سورة محمد ، آية (١٩) .
(٨) سقط من ل .
(٩) سورة محمد ، آية (١٩) .

نظريًا فإن كان قريبًا من البديهي جاز أن يكلف العامي بالنظر فيه ليعلم ، وإن لم يكن قريبًا بعد أن يكلف به العامي لإفضائه إلى تعطيل معاشه خصوصًا مع كثرة الشبه ودقتها ، وقد كان النبي ﷺ يقنع من عامة الناس بمجرد التصديق والانقياد/[٣٨٧/ل] لما جاء به ، ولو وجب العلم النظري عليهم لبينه لهم .

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾[1] يحتج به على جواز لعن يزيد ، وقد اختلف فيها ؛ فمنهم من منعه حسمًا لمادة الترقي إلى من فوقه ، ومنهم من أجازه لفجوره وقطعه الرحم الواجب صلتها .

وقد حكي عن أحمد أنه سئل عن لعن يزيد ؛ فقال : ألا يجوز لعن من لعنه اللّه في كتابه ؟ ثم تلا هذه الآية . فقيل له : [لم لا][2] تلعنه أنت ؟ فقال[3] : ومن لعنت أنا حتى ألعن يزيد . فمن الناس من اقتدى بفعل أحمد في الترك ، ومنهم من اقتدى بفتياه في اللعن .

ويحتمل أن يقال : من غلبت عليه الحمية للّه ورسوله وإنكار المنكر جاز أن يلعنه ، ومن غلبت عليه عصبية الرافضة لم يجز له ذلك ؛ فليتفقد[4] الإنسان نيته وقصده ، فإنما الأعمال بالنيات[5] .

---

(١) سورة محمد ، آية (٢٢ - ٢٣) .

(٢) في م : ألا .

(٣) في ل : قال .

(٤) في ل : فليفتقد .

(٥) الأصل عدم جواز لعن المسلم المعين ، ويزيد ليس كافرًا ، بل هو خير من المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وخير من الحجاج ، فغاية يزيد وأمثاله من الملوك أن يكونوا فساقًا ، فلعنة الفاسق المعين ليست مأمورًا بها ، إنما جاءت السنة بلعنة الأنواع كقول النبي- صلى اللّه عليه وسلم - : «**لعن اللّه السارق**» وقوله: «لعن اللّه من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا» . «لعن اللّه آكل الربا» . . «**لعن اللّه الخمر وعاصرها** . .» ونهى النبي - صلى اللّه عليه=

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾[١] الآية علم الله على ضربين : خاص به ، وعام يشركه[٢] فيه خلقه ، وهو الذي يقوم به الحجة عليهم ، وهو المراد هٰهنا ، أي : حتى نعلم المجاهدين وغيرهم علمًا مشتركًا تقوم به الحجة ، وأظن هذا قد سبق .

= وسلم - عن لعن المعين الذي كان يشرب الخمر معللاً بأنه «يحب الله ورسوله» ، ويزيد على ما كان منه من معصية أو فسق فهو ليس بكافر ، فالذي يجوز لعن يزيد يحتاج إلى أمرين: ثبوت أنه كان فاسقًا ظالمًا يباح لعنه ، وأنه مات مصرًا وليس من أهل الشفاعة ، والثاني أن لعن المعين من هؤلاء جائز ، وكلا المقدمتين ممنوعة ، والرواية التي نقلها المصنف منقطعة غير ثابتة عن أحمد ، وراجع منهاج السنة (٤/ ٥٧٣) (خ) .

(١) سورة محمد ، آية (٣١) .

(٢) في م : لشركه .

القول في سورة الفتح

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[١] قيل[٢] : ما تقدم من ذنب أبيك آدم ، وما تأخر من ذنب أمتك .

وقيل : على ظاهره في جواز وقوع الصغائر من الأنبياء . ويدل على ضعف الأول مخالفته للظاهر ، وأنه ﷺ قام حتى تورمت قدماه فقيل : أليس قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال[٣] : «**أفلا أكون عبدًا شكورًا** »[٤] فدل على اختصاص الآية به[٥] دون غيره .

﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾[٦] يحتج به على قبول الإيمان الزيادة والنقصان / [١٨٦م/ب] .

قوله - عز وجل - ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ ﴾[٧] الآية احتج بها[٨] الجمهور

---

(١) سورة الفتح ، آية (٢) .
(٢) سقط من ل .
(٣) في ل : قال .
(٤) رواه البخاري (١/ ٣٨٠ ، ٤/ ١٨٣٠ ، ٥/ ٢٣٧٥) حديث (١٠٧٨ ، ٤٥٥٦ ، ٦١٠٦البغا) ومسلم (٤/ ٢١٧١) حديث (٢٨١٩) .
(٥) سقط من ل .
(٦) سورة الفتح ، آية (٤) .
(٧) سورة الفتح ، آية (١٦) .
(٨) في ل : به .

على صحة خلافة أبي بكر - رضوان اللّه عليه - وتقريره : أن المخلفين من الأعراب أمروا بطاعته أو بطاعة مستخلفه ، وكل من كان كذلك فهو صحيح الخلافة ؛ فأبو بكر صحيح الخلافة .

أما الأولى فلأن المراد بالمخلفين[١] هم الذين تخلفوا عن تبوك ، وقد أخبر اللّه - عز وجل - أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس شديد ، وأن الداعي لهم إلى ذلك واجب الطاعة ؛ لتوعدهم على مخالفته والتولي عنه ، وهذا الداعي إما أبو بكر فيحصل المقصود أو عمر ، وهو خليفة أبي بكر وفرع عليه ، وإذا وجبت طاعة عمر - رضي اللّه عنه - صحت خلافته ، ويلزم صحة خلافة مستخلفه أبي بكر/[٣٨٨/ل] ، وإنما قلنا : إن هذا الداعي أحد الرجلين ؛ لأن القوم أولي البأس الشديد إما بنو حنيفة والمجاهد لهم أبو بكر ، أو فارس والروم والمجاهد لهم عمر .

وأما الثانية : فلأن من لا يكون صحيح الخلافة لا تجب طاعته ، أو نقول : لأنهم توعدوا على مخالفته بالعذاب الأليم ، ووعدوا على طاعته بالأجر الحسن ؛ وكل من كان كذلك كان صحيح الخلافة ؛ إذ لا نعني بصحيح[٢] الخلافة إلا من وجبت طاعته وحرمت مخالفته .

واعترض الشيعة [لعنهم اللّه][٣] على هذا بأن قالوا : لا نسلم أن المخلفين أمروا بطاعته ، قوله : المخلفون هم الذين تخلفوا عن تبوك ، قلنا : لا نسلم ، وإنما هم المخلفون عن الحديبية ، وقد تخلف عنها جماعة من المنافقين كما ذكره المفسرون ، والذي يدل على

---

(١) في ل : من المخلفين .
(٢) في م : بصحة .
(٣) سقط من ل .

أن هؤلاء المخلفين غير أولئك اختلافهم في علة التخلف ، فهؤلاء مخلفو الحديبية قالوا : ﴿شغلتنا أموالنا وأهلونا﴾ . وأولئك مخلفو تبوك ؛ قالوا : ﴿لا تنفروا في الحر﴾ ، ومنهم من قال : ﴿ائذن لي ولا تفتني﴾ ، يعني بنساء الروم إذا غزاهم افتتن بهن . وإنما وقع الاشتباه من اشتراك لفظ المخلفين بين مخلفي الحديبية وتبوك .

قوله : وهذا الداعي إما أبو بكر أو عمر ، قلنا : لا نسلم ، وإنما يصح هذا أن لو ثبت أن المخلفين مخلفو تبوك ، وقد منعنا ذلك .

قوله : القوم أولو[١] البأس الشديد إما بنو حنيفة أو فارس ؛ قلنا : لا نسلم ، وإنما هذا بناء منكم على أن الداعي أبو بكر أو عمر ، وهو ممنوع على ما سبق ، وإنما أولو البأس الشديد هوازن ، والداعي إلى قتالهم هو[٢] النبي ﷺ وهو مفترض الطاعة بلا خلاف[٣] .

وقد ذهب جماعة من جلة[٤] / [١٨٧أ/م] المفسرين إلى أنهم هوازن ، وقد ثبت أن الداعي إلى قتالهم هو النبي ﷺ ، وجدير بهوازن أن يكونوا أولي بأس شديد ، والله - عز وجل - يقول

---

(١) في م : أولي .

(٢) سقط من م .

(٣) الاستدلال بهذه الآية على خلافة الصديق ووجوب طاعته هو استدلال طائفة من أهل العلم كالشافعي والأشعري وابن حزم ، فإنه لا يكون الداعي لهم النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن الله أمره أن يقول : **﴿لن تخرجوا معي أبدًا ولن تقاتلوا معي عدوًا﴾** فعلم أن الداعي لهم إلى القتال ليس رسول الله ، فوجب أن يكون من بعده ، وليس إلا أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان الذين دعوا الناس إلى قتال فارس والروم وغيرهم ، أما مكة وهوازن فكلهم من عرب الحجاز وقتالهم من جنس واحد ، أما أولو البأس الشديد المختص من هؤلاء فهم فارس والروم ، كما أن قوله : **﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾** ليس فيه جواز الصلح ، وراجع منهاج السنة (٨/ ٥٠٤-٥١٩)(خ) .

(٤) في م : جملة .

للمؤمنين : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[(١)] وحسبك منهم[(٢)] قوم لم ينتصف منهم إلا بالمعجز[(٣)] الإلهي النبوي حيث رماهم بقبضة تراب ، فقال الله - عز وجل - : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾[(٤)] قالوا : فثبت أن هذه الآية في مخلفي الحديبية ورسول الله وهوازن ، لا في مخلفي تبوك وأبي بكر وفارس أو بني حنيفة .

واعلم أن الخلاف في هذه الآية وهذه المسألة مبني على أولي البأس الشديد من هم ؟ وقد اختلف فيه المفسرون - كما ذكره ابن عطية وغيره - ومع الخلاف لا يمكن الجزم بشيء .

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾[(٥)] خلافًا لليهود والنصارى .

لنا : أنه ﷺ / [٣٨٩/ل] ادعى النبوة وأتى بالمعجز[(٦)] ، وكل من فعل ذلك فهو رسول الله ؛ فمحمد رسول الله ، وجميع هذه المقامات[(٧)] قد سبق تقريرها على اليهود في إثبات نبوة المسيح إلا كونه أتى بالمعجز[(٨)] ، والدليل عليه من وجوه :

أحدها : أنه أتى بالقرآن ، وهو غير كاتب ولا قارئ ولا مدارس

---

(١) سورة التوبة (٢٥) .

(٢) سقط من م .

(٣) في م : المعجز .

(٤) سورة الأنفال ، آية (١٧) .

(٥) سورة الفتح ، آية (٢٩) .

(٦) سبق غير مرة أن المعجزة دليل صحيح ، لكنه ليس الدليل الوحيد على ثبوت النبوة .

(٧) في ل : المقدمات .

(٨) بعده في م : وكل من فعل ذلك .

بالعلوم ؛ فتحدى به العرب الفصحاء ؛ فأعجزهم أن يعارضوه ، وذلك بعد كل شكٍ وسؤال يورد يقتضي أنه معجز ، وقد تقرر هذا في مواضع من هذا التعليق .

الثاني : أن القمر انشق له معجزًا استفاض ذلك في السنة بعد أن تواتر في القرآن .

الثالث : تسليم الحجر عليه .

الرابع : نبع الماء من بين أصابعه حتى سقى جيشًا وتطهروا منه .

الخامس : أنه أشبع جيشًا عشرين ألفًا وزودهم حتى ملئوا أوعيتهم من نحو سبعة أو ثمانية آصع[(١)] .

السادس : تسليم الشجر عليه .

السابع : إخباره بالغائبات فلم يخرم شيء منها .

الثامن : إخباره عن قصص الماضين ، فوافق ما عند أهل الكتاب .

التاسع : تظليل الغمام له [وميل ظل][(٢)] الشجرة عليه لتظله .

العاشر : أنه رمى هوازن - وهم عشرون ألفًا - بكف تراب فملأ أعينهم جميعهم فانكسروا .

وهذا قليل من كثير من معجزاته ﷺ ، فمن وفق علم بالضرورة صحتها لتواترها عند المسلمين على كثرتهم تواترًا لفظيًا أو معنويًا ، ثم علم بالضرورة أن من ظهر ذلك على يده نبي صادق .

---

(١) في ل : أصوع .

(٢) في ل : ومثل ظلال .

وأيضًا فإن محمدًا ﷺ إما أن يكون نبيًا[١] صادقًا أو ملكًا ماحقًا ، فالثاني[٢] باطل ، فالأول حق ، أما الحصر فلأنه لا /[١٨٧ب/م] قائل بثالث ؛ لأن المسلمين يقولون : هو نبي صادق ، والخصم ممن ينكر نبوته يقول[٣] : هو ملك ماحق ، أعطي نصرة وسعادة حتى قهر[٤] أعداءه ومحقهم ، ثم استولى على دعوى النبوة .

وأما بطلان كونه ملكًا كما زعموا فلأن العادة المطردة والاستقراء التام استمر بانقراض دول الملوك وسياساتهم بموتهم ، ودولة محمد ﷺ باقية مستمرة نحو ألف سنة ، وهي[٥] في زيادة وقوة ، وذلك يدل على أنه ليس بملك كما زعموا ، وينتظم الدليل هكذا : لا شيء من دول[٦] الملوك بباق بعدهم ، ودولة محمد باقية بعده ؛ وذلك ينتج المطلوب . وإذا انتفى كونه ملكًا ماحقًا تعين أنه نبي صادق ؛ ضرورة انحصار الحكم في أحد القسمين عند انتفائه عن الآخر ، وقد بسطت هذا غير هاهنا .

﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[٧] يحتج به الجمهور على كفر الرافضة المبغضين للصحابة ، وتقريره أن من أبغضهم فقد غاظوه ، وكل من/ [٣٩٠/ل] غاظوه فهو كافر ، فمن أبغضهم فهو كافر [ينضم إليها صغرى : الرافضة يبغضونهم وكل من أبغضهم فهو كافر][٨] ؛ فالرافضة كفار ، والمقدمات واضحة .

---

(١) زيادة من ل .

(٢) في م : والثاني .

(٣) في ل : بقوله .

(٤) في ل : أقهر .

(٥) في ل : وهو .

(٦) في ل : دولة .

(٧) سورة الفتح ، آية (٢٩) .

(٨) سقط من ل .

والرافضة لما رأوا قوة هذا الدليل فزعوا إلى التأويل ، فتارة حملوا ﴿الذين معه﴾ على أهل البيت وأتباعهم ومن أحبهم ، دون من تحامل عليهم ونكث عهدهم ، وجعلوه من باب العام المخصوص ، أو المراد به الخاص ، وتارة حملوا الكلام في الكفار على العهد ، لا الاستغراق ، أي ليغيظ بهم الكفار المعهودين في عصرهم ، أو من أبغضهم عنادًا بغير حق ، أما من أبغضهم بتأويل واجتهاد مستندًا إلى حجة أو شبهة ، فلا نسلم دخوله تحت هذا الوعيد ، وربما منعوا المقدمة القائلة : كلُّ من غاظوه فهو كافر ؛ لأن القرآن إنما دلَّ على أن كل كافر يغتاظ من الصحابة بالضرورة ، وإنما تنعكس هذه إلى أن بعض من يغتاظ منهم كافر بالإطلاق ، لا إلى كل من يغتاظ منهم كافر ، وحينئذ يكون كبرى القياس جزئية ، فلا ينتج ، وهذا المنع أجود من تأويلهم .

القول في سورة الحجرات

﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[(١)] أي لا تسبقوه[(٢)] بالرأي والكلام ، وسبب الآية يدل عليه ، وهو تنازع أبي بكر وعمر [كرم اللّه وجوههما][(٣)] في تولية الأقرع بن حابس أو القعقاع بن عمرو .

﴿ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾[(٤)] الآية ، فيه احترام النبي ﷺ وتوقيره وحبوط العمل بالتفريط في حسن الأدب معه / [١٨٨أ/م] ، وهذا مستمر بعد موته كحال حياته ، بل أبلغ .

﴿ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾[(٥)] اعلم أن الناس إما معلوم العدالة فيقبل خبره ، أو معلوم الفسق فلا[(٦)] يقبل خبره ، أو مجهول الحال فيقبل خبره أبو حنيفة دون الشافعي ، وظاهرُ هذه الآية مع أبي حنيفة ؛ لأنه أمر بالتبيين والتثبت عند خبر الفاسق . ومفهومه أن عند غيره لا يجب ذلك بل يقبل ، وذلك يتناول القسمين الآخرين كأنه قال : إن أخبركم فاسق فتبينوا وإلا فاقبلوا . ولعل مأخذ الخلاف أن شرط قبول الخبر العلم بعدالة الراوي ، فلا[(٧)] يقبل خبر [المجهول

---

(١) سورة الحجرات ، آية (١) .
(٢) في ل : تسبقونه .
(٣) سقط من ل .
(٤) سورة الحجرات ، آية (٢) .
(٥) سورة الحجرات ، آية (٦) .
(٦) في ل : ولا .
(٧) في ل : ولا .

لعدم العلم بعدالته ، أو عدم العلم بفسقه فيقبل خبر المجهول][1] ؛ إذ ليس معلوم الفسق ، وهو ظاهر الآية كما قلنا ، ثم يتفرع على هذا قبول المرسل : وهو ما سقط من إسناده راوٍ تابعي عند المحدثين ومطلق عند غيرهم ؛ لأن الراوي الذي سقط ذكره مجهول والخلاف والأحوط أن لا يقبل .

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾[2] فيه[3] إثبات تصرف اللّٰه - عز وجل - في القلوب وتقليبها[4] ، وأنه يحبب إليها ما يشاء فتحبه / [ل/٣٩١] فتقبل[5] عليه ، ويكره إليها ما يشاء فتكرهه فتعرض عنه ، ويترتب على ذلك خلق الأفعال ، ومذهب [الجمهور في الكسب][6] والجبر .

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾[7] احتج به من رأى أقل الجمع اثنين ، وتقريره أنه رد ضمير الجمع إلى الطائفتين ، ولولا أنهما جمع لما حسن ذلك ، وبوجوه أخر :

أحدها : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴾[8] .

وثانيها : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾[9] ثم قال :

---

(١) سقط من ل .
(٢) سورة الحجرات ، آية (٧) .
(٣) في ل : فيها .
(٤) في م : وتقلبها .
(٥) في ل : ويقبل .
(٦) مكرر في ل .
(٧) سورة الحجرات ، آية (٩)
(٨) سورة الحج ، آية (١٩) .
(٩) الأنبياء ، آية (٧٨) .

﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾[(١)] .

وثالثها : قول يوسف عليه السلام : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ﴾[(٢)] ثم قال : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾[(٣)] .

ورابعها : قوله ﷺ : « **اثنان فما فوقهما جماعة** »[(٤)] فأخبر بالجماعة عن اثنين[(٥)] .

وخامسها : ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[(٦)] .

وسادسها : أن الجمع ضم شيء إلى غيره ، وهو موجود في الاثنين .

---

(١) الأنبياء ، (٧٨) .

(٢) يوسف (٣٩) .

(٣) يوسف (٤٠) .

(٤) رواه ابن ماجه كتاب إقامة الصلاة ، باب : الاثنان جماعة : (١/ ٣١٢/رقم: ٩٧٢) ، والحاكم (٤/ ٣٣٤) . قال الذهبي : وعجيب من الحاكم أن يخرجه في مستدركه ، لكنه لم يصححه ولم يضعفه . من حديث أبي موسى الأشعري ، وفيه الربيع بن بدر ، وهو ضعيف ، وأبوه مجهول ، ورواه البيهقي (٣/ ٦٩) من حديث أنس وقال : هو أضعف من حديث أبي موسى ، والدارقطني (١/ ٢٨١) من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، وفيه عثمان الوابصي ، وهو متروك ، وابن عدي وابن أبي خيثمة من حديث الحكم ابن عمير ، وإسناده واهٍ ، وله طريقان آخران : **أحدهما** : رواه ابن المغلس في الموضح ، عن علي بن يونس ، عن إبراهيم ابن عبد الرزاق الضرير ، عن علي بن بحر ، عن عيسى بن يونس ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة [به ، ومن] دون علي بن بحر مجهولان . **والثانية** : روى أحمد : (٥/٢٥٤) من طريق عبيد الله بن زحر ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يصلي ، فقال : « **ألا رجل يتصدق على هذا فيصلي معه ، فقام رجل يصلي معه ، فقال : هذان جماعة** » . هذا عندي أمثل طرق هذا الحديث لشهرة رجاله ، وإن كان ضعيفًا، وقد رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/٢٤٨/رقم:٧٩٧٤) . من وجه آخر عن أبي أمامة ، وقال البخاري في الصلاة من صحيحه : باب اثنان فما فوقهما جماعة (٢ / ١٦٦ / رقم (٦٥٨) الفتح) ، ثم أخرج حديث مالك بن الحويرث « **فأذِّنا وأقيما ، وليؤمكما أكبركما** » .

(٥) في ل : الاثنين .

(٦) التحريم (٤) .

واحتج الآخرون بوجوه :

أحدها : قول ابن عباس لعثمان : ليس الأخوان إخوة في لسان قومك ، فلم ينازعه في ذلك ، وإنما احتج بالإجماع وذلك في حجب الأم بالأخوين[١] .

الثاني : لو كان الاثنان أقل الجمع لصح أن يقال : رأيت رجلين ثلاثة أو ثلاثة رجلين ، أو رأيت الرجلين كلهم أو الرجال كلاهما ، وليس كذلك بإجماع .

الثالث : أن أهل اللغة وضعوا لكل واحد من التثنية والجمع بابًا [وصيغة غير][٢] ما وضعوا للآخر ، فقالوا : مسلمان ومسلمون ، ورجلان ورجال ، فدل على التغاير .

والجواب عن حجة الأولين / [١٨٨ب/م] أما عن الأول : فإن الطائفة تصدق على الواحد والجماعة ، والطائفتان جماعة ، فرد إليهما ضمير الجمع باعتبار أفرادهما ، ثم عاد إلى ضمير التثنية في : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ ﴾[٣] إلى آخره ، باعتبار الفريقين ، فحاصله أن في الطائفتين جهتي تثنية وجمع فرد إليهما ضمير الجمع والتثنية بالاعتبارين ، وكذا القول في : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا ﴾[٤] ، و: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾[٥] على ما مر في موضعه .

---

(١) في م : بأخوين .
(٢) في م : وصيغته تباين .
(٣) سورة الحجرات ، آية (٩) .
(٤) سورة الحج ، آية (١٩) .
(٥) سورة ص ، آية (٢١) .

وعن الثالث : أن الضمير في ﴿ لِحُكْمِهِمْ ﴾[(١)] عائد إلى سليمان وداود المتحاكمين إليهما وهم جماعة .

وعن الرابع : أن المراد صاحبا السجن وقومهما .

وعن الخامس : أن الاثنان جماعة في حكم الصلاة ، وحصول أصل فضيلة الجماعة ، لا أنهما جماعة في اللغة ؛ لأنه ﷺ إنما بعث لبيان أحكام الشرع لا اللغة .

وعن السادس : أن : ﴿ قُلُوبُكُمَا ﴾[(٢)] كناية عن إرادتكما التي مبدؤها القلب ، أو أنها تثنية لفظية لئلا يجمع بين تثنيتين[(٣)] لو قال : قلباكما .

وعن السابع : أن الجمع أخص مما ذكرتم ، وهو ضم شيء إلى أكثر منه ، وهو غير موجود في التثنية .

وقد أورد على هذه/[٣٩٢/ل] المسألة ، إشكال وهو أنه إن أريد أن الاثنين أقل جمع الكثرة فأقله أحد عشر على ما صرح به أهل العربية : أن جمع القلة ما بين الثلاثة إلى العشرة ، وجمع الكثرة ما فوق ذلك . وإن أريد أقل جمع القلة فمقتضى كلامهم أعم من ذلك ؛ لأنهم جعلوا من جمع القلة الجمع السالم ، نحو مسلمين ومسلمات ، ﴿ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ﴾[(٤)] .

ويمكن أن يجاب عنه بأن الجمع ضم شيء إلى غيره ، وهو من حيث هو هو أعم من جمع القلة والكثرة لانقسامه إليهما ، فجاز أن

(١) الأنبياء ، (٧٨) .
(٢) التحريم (٤) .
(٣) في ل : ثنتين .
(٤) سبأ ، آية (٣٧) .

يراد به أن الاثنين أقل الجمع المطلق من حيث هو ، وهو ما صح أن يرد إليه ضمير الجمع .

واستدل بالآية على أن الفاسق لا يخرج عن وصف الإيمان ؛ لأن البغي فسق والباغي فاسق ، وقد أطلق عليه وصف الإيمان في قوله - عز وجل - ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾[١] فسمى الجميع ، وكذلك قوله ﷺ للحسن : «**إن ابني هذا سيد ولعل الله [يصلح]**[٢] **به بين فئتين [عظيمتين]**[٣] **من المسلمين** »[٤] يعني أهل العراق وبغاة الشام ، وفي الاستدلال بهذا الحديث [نظر][٥] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[٦] احتج به من يرى[٧] أن القوم خاص بالرجال ؛ لأنه قابله بالنساء فكن قسيمًا للقوم ، وقسيم الشيء استحال أن يدخل تحته ويكون قسمًا منه /[١٨٩أ/م] ولقول الشاعر :

وما أدري وسوف إخالُ أدري ... أقومٌ آلُ حِصْنٍ أم نساءُ

والاستدلال به كما سبق ، ولأن القوم مشتق من القيام بالأمور ، وهو وصف الرجال لا النساء ، والرجال قوامون على النساء ، ولأن العرب تقول : يا لقومي ، وإنما يستغاث ويستنجد بالرجال لا النساء .

---

(١) الحجرات ، آية (٩) .

(٢) في م : سيصلح .

(٣) سقط من ل .

(٤) رواه البخاري في كتاب: الصلح، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للحسن ابن علي - رضي الله عنهما - : « **ابني هذا سيّد** ... » (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة .

(٥) سقط من ل .

(٦) الحجرات ، آية (١١) .

(٧) في ل : رأى .

واعترض على الأولين بأنه إنما اختص القوم فيهما بالرجال لقرينة المقابلة والتقسيم ؛ فلعله لولا ذلك لما دلّ .

وعلى الثالث بأن النساء لهن حظ في القيام بالأمور : كخدمة المنازل وتربية الأولاد ونحوه .

وعن الرابع بأنه معارض بقولهم : هذه امرأة من قومي ، ولولا صدق القوم على النساء لما صح ذلك .

واحتج الآخرون بوجوه :

أحدها : قوله - عز وجل - : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾[١] ونحوه ، وهو يتناول النساء .

الثاني : ما سبق من قولهم : هذه امرأة من قومي .

الثالث : لو وصّى[٢] لقومه دخل النساء .

الرابع : أن الرجال والنساء كل منهما يتقوم بالآخر في التناسل والوجود ، فمعنى القوم موجود فيهما ./[٣٩٣/ل]

واعترض على الأولين بدخول النساء في القوم تبعًا لتغليب الرجال .

وعلى الثالث بأنهن دخلن بقرينة الوصية ، وأن مقصودها البر وصلة الرحم .

وعلى الرابع بأن القوم[٣] راجح في الرجال ، ولذلك كان النسبُ

(١) سورة الشعراء ، آية (١٠٥) .
(٢) في ل : أوصى .
(٣) في ل : التقوم .

شرفًا ودناءة مختصًا بهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[١] هذا أصل في مشروعية علم النسب وتفاصيله في الكتب .

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا ﴾[٢] يحتج به على أن[٣] الإيمان غير الإسلام ؛ لأنه سلب الإيمان وأثبت الإسلام فاقتضى التغاير ، وهو كذلك لغة وشرعًا ومركبًا منهما .

أما لغة : فالإيمان التصديق ومحله القلب ، والإسلام الانقياد ومحله القلب والبدن جميعًا ، فهو[٤] أعم ، والتغاير حاصل ، وهذا هو المراد بالآية ، أي : لم تؤمنوا بقلوبكم ، وإنما أسلمتم ، أي : انقدتم بظواهركم .

وأما شرعًا : فلأن النبي - صلى اللّه عليه وسلم- فسّر الإيمان في حديث جبريل بالتصديق باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وفسّر الإسلام بالأعمال الظاهرة ، وهي الشهادتان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج ، والتغاير أيضًا حاصل ؛ لأن عمل القلب غير عمل البدن ، وما تعلق بالباطن غير ما تعلق بالظاهر .

وأما مركبًا منهما فالإيمان لغة : التصديق ، والإسلام شرعًا ما ذكر من الأعمال الظاهرة وهما متغايران ، وإن كان العمل الظاهر قد [يلزم التصديق][٥] /[١٨٩ب/م]، والتصديق قد يترتب عليه العمل الظاهر ،

---

(١) الحجرات ، آية (١٣) .

(٢) الحجرات ، آية (١٤) .

(٣) سقط من ل .

(٤) في ل : وهو .

(٥) في م : يلزمه .

والإسلام لغة : الانقياد بالباطن أو الظاهر أو بهما ، والإيمان شرعًا : التصديق بالله -عز وجل- وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهما متغايران ، وإن كان التصديق بهذه الأركان قد يترتب عليه الانقياد الظاهر ، والانقياد بالظاهر قد يلزمه التصديق بهذه الأركان ، أما التصديق بهما[١] والانقياد بالباطن فهما واحد أو[٢] متلازمان[٣] .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[٤] إن قيل : هذا تعريف الشيء بنفسه .

قلنا : ليس كذلك ، بل هو تعريف الإيمان الشرعي باللغوي ، أي : إنما المؤمنون شرعًا الذين آمنوا لغة ، أي : صدّقوا بالله ورسوله ، وهو كقوله - عليه الصلاة والسلام - لجبريل حين سأله عن الإيمان :« **الإيمان أن تؤمن بالله**» إلى آخره .

---

(١) في ل : بها .

(٢) في ل : و .

(٣) حالة الإفراد ليست كحالة الاقتران ، فالإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا كما في حديث جبرائيل ، وكما في هذه الآية ، وإذا افترقا اجتمعا فدل لفظ (الإسلام) على ما يدل عليه لفظ (الإيمان) و (الدين) و (البر) ونحو ذلك ، وليس الإيمان هو التصديق ، بل الانقياد والإذعان ، وراجع المقدمة(خ) .

(٤) الحجرات ، آية (١٥) .

القول في سورة ق

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾[١] سبق القول[٢] في أول سورة يسٓ[٣] وغيرها .

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾[٤] هذه شبهة منكري البعث من الكفار وتقريرها[٥] : أننا بالموت نصير/[٣٩٤/ل] ترابًا ، والتراب استحال أن يرجع بشرًا سويًا ،فنحن نستحيل أن نرجع بعد الموت بشرًا كما كنًا .

والجواب : ما أشار الله -عز وجل- إليه بقوله -عز وجل- : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾[٦] وتقريره أن يقال : أما قولكم : إنا نصير بالموت ترابًا ؛ فصحيح ، وأما قولكم : التراب استحال أن يرجع بشرًا سويًا ؛ فباطل ممنوع ، بل هو ممكن ، وبيان إمكانه أن الإنسان ينحل[٧] بدنه بعدما تنقص الأرض والبلى منه إلى جواهر حافظة لصورها باقية ، ونحن نعلم أعيان تلك الجواهر وأماكنها من الأرض ومن بدن الإنسان ، فنحن نؤلف تلك الأجزاء بعضها إلى

(١) سورة ق ، آية (٢) .
(٢) سقط من ل.
(٣) في م : يونس .
(٤) سورة ق ، آية (٣) .
(٥) في م : وتقريره .
(٦) سورة ق ، آية (٤) .
(٧) في ل : يتحلل .

بعض بعلمنا وقدرتنا ، ثم ننشئ عوضًا عما نقصت الأرض منه ، ثم نعيده بشرًا سويًا ، وهذا أمر ممكن لا ينكره العقل ولا يقصر عن إدراكه ، وإنما ضل هؤلاء من حيث الجهل ، إذ نزلوا الممكن البعيد عنهم[١] منزلة المستحيل في نفسه ، فاختلط عليهم الحق بالباطل والصواب بالخطأ .

﴿ فَهُمْ فِيٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[٢] أي : مختلط ، وينتظم الدليل هكذا : الجسم ينحل إلى جواهر معلومة المحال ، وكل ما كان كذلك أمكن إعادته ، فالجسم أمكن إعادته ، والأولى ثابتة بهذه الآية ، والثانية واضحة على ما قررنا ، ولنضرب لبعث الأجساد أمثلة تقربه :

أحدها : أن الأرواح كطيور فارقت أبراجها وأقفاصها وانهدم البرج بعد مفارقتها ، فإذا أريد عودها إليه أعيد عامرًا ثم عادت إليه .

الثاني : /[١٩٠أ/م] أن الناس في حياتهم وموتهم وبعثهم كقوم تجرّدوا عن ثيابهم ثم صاح بهم صائح لأمر مُهمٍّ ، فبادر كل منهم إلى ثوبه فدخل فيه ثم أجاب ، والجسد كالثوب ، وقد بيّنا إمكان إعادته وأنه سيعود .

الثالث : أن الجسم كعقد انقطع سلكه ، فإذا أريد إعادته منظومًا التقط حبّه من مواضعه ثم نظم في سلكه .

الرابع : أن شبكة العنكبوت قد تنخرق[٣] وتنقطع فيتجرد عنها ثم تعود فيعود إليها .

الخامس : السيف يجرد من غمده ثم يرثُّ الغمد ويخلق ، ثم

---

(١) في ل : عندهم .
(٢) سورة ق ، آية (٥) .
(٣) في ل : تتخرق .

يجدد وإليه يعاد السيف فيغمد .

السادس : الإنسان يفارق بلده أو بيته فيخرب بعده ، ثم يعمر فيعاوده .

السابع : النحل يفارق بيته الذي بناه فربما خرب ثم يعاد فيعاوده ، ونظائره كثيرة ما بين قريب في التمثيل وبعيد ومتوسط ، وأقربها التمثيل[١] بالطير والقفص ، إذ الروح كطائر في قفص مربوط في رجله[٢] خيط طويل فهو يطير ما بين اليوم والليلة مرة أو مرارًا ثم يجذب بذلك الخيط فيعود ، فإذا انفلت من ذلك الخيط طار وطالت/ [٣٩٥/ل] غيبته وتكسّر القفص ، فإذا كان [وقت عوده جدد القفص كما كان ، وعاد الطير إليه كما كان][٣] وهكذا حال النفس مع البدن ، تفارق في حال النوم وتعاود لارتباطها بالبدن ، وبالموت ينحل رباطها إلى البعث ثم يعاد الجسم بعد بلائه فتعاود سكناه .

وربما ضحك الفيلسوف ومنكر البعث من هذا التقريب ، وهو أحق أن يضحك من عقله ، إذ لا يشك عاقل في إمكان ما ادعيناه وتسهيل تصور البعث بما قربناه .

﴿ وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[٤] يعني السماء لا فرج[٥] فيها ، وهو لا ينفي قبولها للخرق والالتئام كما سبق ، كالثوب الصحيح يقبل الانقطاع .

---

(١) في ل : التمسك .

(٢) في م : رجليه .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة ق ، آية (٦) .

(٥) في ل : فروج .

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾[١] إلى ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾[٢] هذه حجة أخرى على إمكان البعث ووقوعه ، أما وقوعه فمستنده السمع المعصوم المستند إلى دليل المعجز المعقول ، وأما إمكانه فبالقياس على إحياء الأرض بعد موتها وقد سبق غير مرة ، وتوجيهه أن أجزاء الجسم القارة في الأرض كحب الزرع في الأرض وإخراجه حيًا[٣] من الأرض كإخراج الحب نباتًا منها ، وكيفية ذلك ما سبق ، والمقوم له قدرة الفاعل وقابلية القابل والحكمة اللطيفة الرابطة بين تأثير الفاعل في القابل ، فالحب / [١٩٠ب/م] في الأرض أصل ، وأجزاء الجسم فيها فرع ، [والحكم إخراجها][٤] نباتًا وحبًا ، والعلة الإمكان وتمام القدرة ولطيف الحكمة ، وربما كان ذلك بواسطة ما تمطره السماء كمني الرجال تنبت فيه الأجسام كما تنبت الحِبَّةُ في حَميلِ السيل ، وبعد هذا البيان لا ينكر البعث إلا جاهل أو معاند للبرهان .

ثم من العجب قولهم : إن التراب استحال أن يعود بشرًا سويًا ، مع تسليمهم أو أكثرهم أن آدم خلق من ترابٍ فكان بشرًا سويًا .

﴿أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾[٥] هذا دليل آخر على البعث والمعاد بالقياس على ابتداء الخلق كما مرَّ في سورة «الروم» ، وتقريره : لو امتنعت الإعادة لوجب أن نعيا ، أي : نعجز عن الابتداء ، واللازم باطل فالملزوم كذلك ؛ بيان الملازمة أن الإعادة أهون من الابتداء كما

(١) سورة ق ، آية (٩) .
(٢) سورة ق ، آية (١١) .
(٣) في ل : حبًا .
(٤) في ل : والحكمة إخراجهما .
(٥) سورة ق ، آية (١٥) .

تقرر وعرف ، ولو امتنعت الإعادة لعجزنا عنها ، ولو عجزنا عنها لكنا عن الابتداء الذي هو أصعب منها أعجز ، فلو[١] امتنعت الإعادة لعجزنا عن الخلق الأول .

وأما بطلان اللازم ؛ فلأن الخلق الأول قد وُجِد منّا ، ويلزم ذلك أنّا لم نعجز عنه ، وإلا لما وُجد ، وأما بطلان الملزوم فلاستحالة وجوده مع انتفاء اللازم ، ثم معنى الآية : أننا ما عيينا عن الخلق الأول حتى نعيا عن الثاني .

﴿ بَلْ هُمْ ﴾[٢] يعني : الكفار ﴿ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[٣] أي : في شك واختلاط ، وهل : قوله ﴿خلق﴾ ، مصدر/[٣٩٦/ل] أو مفعول بمعنى مخلوق جديد ؟ كلاهما محتمل ، فإن صح أن المراد مخلوق جديد أمكن أن يصح قول من زعم أن المعاد ليست هذه الأجسام بعينها بل غيرها مثلها ؛ إذ الجسم ليس مقصودًا لذاته بل هو آلة لنعيم الروح أو عذابها ، وإن كان المراد بالخلق المصدر وهو الظاهر لا يلزم ذلك ؛ لأن الإنشاء الثاني وإن كان غير الأول لكن المنشأ هو الأول بعينه كجدار ينهدم ثم يعاد بآلته[٤] بعينها ، فالبناء الثاني غير الأول والمبنى واحد .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾[٥] الآية ، يحتج بها الاتحادية على ما سبق .

---

(١) في م : ولو .
(٢) سورة ق ، آية (١٥) .
(٣) سورة ق ، آية (١٥) .
(٤) في ل : ثالثه .
(٥) سورة ق ، آية (١٦)

وجوابه : أن قربه منه بالعلم والقدرة ، وعلمه بوسوسة النفس لتعلق علمه بجميع المعلومات مع مباينة ذاته لسائر الذوات ، لا لسريانه بذاته في الموجودات ، كما زعموا .

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾(١) الآيتين(٢) ، فيه إثبات الحفظة وكتابتهم ما يصدر عن المكلف ، يكتبون عليه بسيط اللفظ ومركبه من كلمة / [١٩١أ/ م] وكلم وكلام ، إذ القول يشمل ذلك كله .

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾(٣) الآيات ، في أحكام اليوم الآخر والوعد والوعيد والجنة والنار ونحوه .

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(٤) هذا كقوله - عز وجل - :﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾(٥) ونحوه ، واختلف في هذا الغطاء الذي إذا كشف صار البصر حديدًا . فعند الصوفية : هو تجرد النفس عن علائق الأوهام والخيالات ؛ ولهذا يستعملون الرياضة والخلوة والمجاهدة في إزالة الوهميات والخيالات ، فمن صح له ذلك أشرف على كشوفات عظيمة ، قال لي بعضهم : « ارتضت حتى رأيتني أدور بدوران الفلك في مجاري النجوم والشمس والقمر ، أطلع إذا طلعت ، وأغرب إذا غربت ، وأتوسط إذا توسطت » وقال لي بعض الفضلاء منهم ببيت المقدس : « ارتضت حتى رأيتني والعالم كرتين إذا استغرقت فنيت

---

(١) سورة ق ، آية (١٧) .

(٢) في ل : الاثنين .

(٣) سورة ق ، آية (٢٠) .

(٤) سورة ق ، آية (٢٢) .

(٥) الزمر ، آية (٤٧) .

كرته ، وبقيت كرتي ، وإذا عدت إلى عالم الحس كان بالعكس[(١)] »
وإذا أردت أن ترى العجب العجاب من ذلك فانظر في مرأى الشيخ
أبي ثابت محمد بن عبد الملك الديلمي الهمذاني[(٢)] في كتاب « مرآة
الأرواح » له[(٣)] .

وعند الاتحادية : هو تعلق ذات الحق بهذا الطور البشري ، فبعد
إدراك العقل له لشدة قربه ، فإذا فارق مظهره البشري وصدر انكشف
الغطاء عنه وظهر ، وشبهوه بالقمر كلما قرب من الشمس استتر
وانمحق ، وكلما بعد عنها وقرب من مقابلتها استنار وأشرق .

وعند الفلاسفة : هو ملابسة النفس والروح اللطيف/[٣٩٧/ل]
للجسم الكثيف ، فكان عليه كالغطاء مانعًا له من إشراق النور العلوي
عليه والضياء ، فإذا تزايلا كشف الغطاء وتبين من الخير والشر جنس
العطاء[(٤)] ، ألا ترى أن الأدهان اللطيفة ما دامت سارية في محلها[(٥)]
لا تؤثر آثارها المستعدة هي لها كالزيت في الزيتون والشيرج[(٦)] في
السمسم ودهن اللوز فيه ونحوه ، فإذا استخرجت منه وفارقها كثيفها
أثرت تلك الآثار وانكشف عن وجه فعلها الغطاء فاستنار ، وكذلك
الماء للطافته يصف ما وراءه ، والهواء كذلك لا يمنع نفوذ أشعة

---

(١) في ل : العكس .
(٢) في ل : الهمداني .
(٣) أكثر أهل الرياضة هؤلاء يحصل له شيء من الوهم والخيال الناجم عن قلة الطعام والشراب ، فيرى ما يراه من السراب ، فكن مما يقوله على ارتياب ، والله أعلم بالصواب (خ).
(٤) في ل : الغطاء .
(٥) في ل : محالها .
(٦) في م : والشرج

الإبصار فيرى الحيوان على بُعد من إزاءه فإذا خالطا[١] الأرض الكثيفة المظلمة محقت ظلمتها تلك الأنوار ، واحتجبت لطافتهما وراء تلك الأستار[٢] وإذا أردت مشاهدة ذلك عيانًا فانظر إلى لطافة الماء وصفائه ، كيف يستهلكها التراب إذا جمع بينهما/[١٩٠ب/م] فصار طينًا ؟! فلو فرض تخليص الماء من الطين على صفته لعاد إلى فعله بموجب لطافته .

وعند المتكلمين[٣] : فهو أن الإنسان بين غطاء التكليف وكشف الجزاء ، فإذا كشف هذا الغطاء ظهر ذلك الكشف ، ولو ظهر ذلك الكشف في زمن التكليف لصار الإيمان ضروريًا وبطل التكليف لبطلان حكمته .

[فهذا ما استحضرناه من أقوال الناس في الغطاء نقلاً عنهم أو قياسًا على مقتضى قولهم][٤]

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾[٥] قيل : هو الزيادة في قوله -عز وجل- : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٦] فيستدل به على الرؤية كما سبق .

﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾[٧] وفي «طه» : ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[٨] وفي «الروم»: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ

(١) في م : خالط .
(٢) في م : الآسار .
(٣) في ل : فهو أن .
(٤) سقط من ل .
(٥) سورة ق ، آية (٣٥) .
(٦) سورة يونس ، آية (٢٦) .
(٧) سورة ق ، آية (٣٩) .
(٨) سورة طه ، آية (١٣٠) .

وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[١] وفي «سبحان»: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾[٢] الآيات ، يحتج بها على مواقيت الصلاة ، وبعضها أبين من بعض ، ثم جاءت السنة فأمعمت في بيانها[٣] ؛ كحديث ابن عباس وجابر وأبي موسى وغيرهم ، وبقي بعض الإجمال ، فجاء الفقهاء فأزالوه ، فبلغت أحكام الآيات المذكورة بهذا التبيين أقصى غاية البيان ، وكذلك سائر النصوص المجملة بلغت بالتبيين[٤] غايتها من البيان ، وظهر بهذا أن المجمل والمبين على مراتب في الجلاء والخفاء ، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ثم **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**[٥] ، ثم حديث المسيء في صلاته[٦] ، مترتبة في الإجمال ، كل واحدٍ منها أشدّ إجمالاً مما بعده ، وهي في البيان على العكس كل واحد منها أبين مما قبله ، ثم قال بعض الأصوليين : «إن البيان في ضمن المجمل حتى أن[٧] جميع ما وردت به السنة وقاله الفقهاء في تفاصيل الصلاة وأفعالها في ضمن قوله - عز وجل - : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[٨] ،

(١) سورة الروم ، آية (١٧) .

(٢) سورة الإسراء ، (٧٨)

(٣) في ل . ثباتها

(٤) زيادة من ل .

(٥) رواه البخاري في كتاب الأذان ، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة والإقامة (٢ / ١٣١ ، ١٣٢ /رقم : ٦٣١) وأطرافه في : (٦٢٨ ، ٦٣٠ ، ٦٥٨ ، ٦٨٥ ، ٨١٩ ، ٢٨٤٨، ٦٠٠٨ ، ٧٢٤٦) ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب : من أحق بالإمامة (٥ / ٢٤٤ / رقم : ٦٧٤) .

(٦) رواه مسلم في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٤ / ١٤٢ / رقم : (٤٦) - ٣٩٧) . من حديث أبي هريرة ورواه الإمام أحمد : (٤٣٧/٢) . وابن حبان : (١٨٣/٣/رقم:١٨٨٧) والبيهقي : (٣٧/٢) ورواه أبو داود في كتاب الصلاة باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود (١ / ٢٢٧ / رقم ٨٥٨) من حديث رفاعة بن رافع ، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح أبي داود ٧٦٤ / ٨٥٨)

(٧) في ل بان

(٨) سورة البقرة ، آية (٤٣)

وَوجهه أن البيان كاشف عما في ضمن المجمل ، كالبحث كاشف عما في ضمن الأرض من المعادن ، وكما أن المعادن تستخرج من الأرض بالبحث/[٣٩٨/ل] ، كذلك المعاني والأحكام تستخرج من المجمل بالبيان .

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[١] الآيات[٢] هي في نفخ إسرافيل في الصور وجمع الناس للحشر ، ونحوه من أحكام الآخرة .

---

(١) سورة ق ، آية (٤١) .

(٢) زيادة من ل .

القول في سورة الذاريات

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾(١) إشارة إلى النظر والاستدلال في آيات الله -عز وجل- وقد سبق أنه واجب ، وهو يفيد العلم أو الظن بحسب مواده ، إذا استكمل الشرائط .

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾(٢) /[١٩٢أ/م] يحتج به على أن الإيمان والإسلام واحد ؛ لأن المشار إليه بالمسلمين والمؤمنين واحد وهم آل لوط .

وأجيب بأن الإيمان أخص من الإسلام لغة ؛ إذ كل مصدق منقاد وليس كل منقاد مصدقًا(٣) ، وبينهما عموم وخصوص شرعًا ، إذ بعض المصدق بالأركان الخمسة فاعل للأركان الظاهرة ، وبعض الفاعل للأعمال الظاهرة مصدق بالأركان الخمسة ؛ ولما كان الأمر كذلك كان بين الإيمان والإسلام ارتباط ، وكانا مجتمعين في أهل هذا البيت المذكور ، فذكروا في كل واحدٍ من الآيتين(٤) بأحد الوصفين نفيًا للتكرار عن الفاصلتين ، وتنبيهًا على اجتماع الوصفين فيهم [لا](٥) لأنهما شيء واحد .

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾(٦) يرد على من زعم أن

---

(١) سورة الذاريات ، آية (٢٠ - ٢١) .

(٢) سورة الذاريات ، آية (٣٥ - ٣٦) .

(٣) في م : مصدق .

(٤) في ل : الاثنين .

(٥) زيادة من ل .

(٦) سورة الذاريات ، آية (٤٠) .

فرعون مات مسلمًا ، وإلا لما وصف في هذه الحالة بأنه مليم أي : آتٍ بما يلام عليه ، ولم تجر عادة اللَّه -عز وجل- أن يذم عاصيًا بعد توبته ، ولا كافرًا بعد إسلامه .

﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾[1] هذا مخصص لقوله - عز وجل - : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[2] أي كل شيء أتت عليه ، وهي لم تأت على كل شيء على الإطلاق بل على ما كان لعادٍ كما سبق في « الأحقاف» .

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾[3] وعيدى محكم أو منسوخ بآية السيف .

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[4] يحتمل وجهين :

أحدهما : أن هذه لام التكليف والتوظيف ، أي : ما خلقهم إلا مكلفين موظفًا عليهم العبادة ، ولا يلزم ذلك القيام بالوظيفة ، كما يقال : ما اشتريت هذا العبد إلا ليخدمني ، أي : وظيفته ذلك ، وقد يعصي أو يأبق فلا يخدم .

والثاني : أنها لام العلة [أو][5] العاقبة ، والجن والإنس عام أريد به الخاص ، وهم العابدون المطيعون منهم ، ثم العبادة هل المراد بها عمومها أو خصوص التوحيد ؟ فيه خلاف.

﴿إن اللَّه هو الرزاق﴾ عمومه والحصر فيه يقتضي أن لا رازق

---

(١) سورة الذاريات ، آية (٤٢) .

(٢) الأحقاف ، آية (٢٥) .

(٣) سورة الذاريات ، آية (٥٤) .

(٤) سورة الذاريات ، آية (٥٦) .

(٥) في ل : و .

للحلال والحرام إلا اللَّه - عز وجل - خلافًا للمعتزلة في الرزق الحرام على ما سبق أول «البقرة»/ [٣٩٩ل] .

القول في سورة الطور

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾[١] أي : تموج وتضطرب ، وذلك مستلزم لتحركها حركة مستقيمة ، خلافًا للفلاسفة في أن الأفلاك لا تقبل الحركة المستقيمة ، اللَّهم إلا أن[٢] يدّعوا أو يثبت في الهيئة أن السماء غير الفلك ، فلا يكون في هذه حجة عليهم ، لجواز أن تضطرب السماء بحركة مستقيمة دون الفلك .

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾[٣] هذا/[١٩٢ب/م] أمر بمعنى التسوية ، وهو من أقسام ما وردت له صيغة « افعل» .

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾[٤] الآيات ، فيها إثبات النعيم والعذاب المحسوسين .

﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾[٥] فيه الشهادة الإلهية بصدق النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - وأن النبوة نعمة ، وأن الكهانة والجنون بلاء ، كأنه - عز وجل - يقول : ما أنت بنعمة ربك مصاب في دينك بالكهانة ولا [٦] في عقلك بالجنون .

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ

---

(١) سورة الطور ، آية (٩) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة الطور ، آية (١٦) .

(٤) سورة الطور ، آية (١٧) .

(٥) سورة الطور ، آية (٢٩) .

(٦) زيادة من ل .

صَٰدِقِينَ ﴾[١] هذا من آيات التحدي [بالقرآن المصحح لكونه معجزًا ، فلما لم يأتوا بمثله مع هذا التحدي][٢] دلَّ على عجزهم وأنه معجز ، ولو أن شخصًا أتى بما يعجز عنه الجن والإنس وسائر العالم ولم يتحدهم به لم يسم ذلك معجزًا شرعيًا ، ولا الآتي به نبيًا .

﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾[٣] هذا من أدلة إثبات الصانع ، وتقريره : أن هؤلاء الكفار لا يخلو : إما أنهم خلقوا من غير خالق ، أو أنهم خلقوا أنفسهم ، أو خلقهم غيرهم ، والأول باطل ، إذ خلق بلا خالق تناقض ، ووجود معلول بلا علة وهو محال .

والثاني باطل ؛ لأن خلقهم أنفسهم يستلزم اجتماع وجودهم وعدمهم معًا حال الخلق ، وإنه محال ؛ لأن كونهم أثرًا يقصد[٤] إخراجه إلى الوجود يقتضي عدمهم ، وكونهم مؤثرًا يقتضي وجودهم؛ فتعين الثالث ، وهو أن غيرهم خلقهم وهو الصانع القديم ، وهذه الآية التي لما سمعها جبير بن مطعم من النبي - صلى الله عليه وسلم- يتلوها في صلاة المغرب قال : «كاد ينخلع لها قلبي»[٥] أو كما قال ؛ لأنه فهم منها هذا الاستدلال ، وهو بالسبر والتقسيم .

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[٦] الآية ، دليل آخر على ذلك ،

---

(١) سورة الطور ، آية (٣٣ - ٣٤) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة الطور ، آية (٣٥) .

(٤) في م . نقصد

(٥) رواه ملك (١/ ٧٨) ، والشافعي (٢١٤) ، والدارمي (١/ ٩٦) ، وابن خزيمة (١/ ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٣/ ٤١) ، والطحاوي (١/ ٢١١ - ٢١٢) ، وابن حبان (٣/ ١٥٦الحوت)

(٦) سورة الطور ، آية (٣٦)

وهو أن السماوات والأرض أثر فلابد له من مؤثر ، ثم ذلك المؤثر إما هي أو[١] هم أو غيرهما ، والأولان باطلان[٢] فتعين الثالث وهو الصانع القديم ، وهو أيضًا سبري تقسيمي ، ولذلك جعلنا تأثيرهما في وجودهما داخلاً في التقسيم ليكون تامًّا لا ناقصًا ، ويقطع على أنه مراد من الآية لذلك ، إذ الله -عز وجل- لا يحتج بدليل [ناقص ولا فاسد][٣] .

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾[٤] هذا جواب عمّا تضمنه إنكارهم لنبوته - صلى الله عليه وسلم-/ [٤٠٠/ل] من إنكار اختصاصه عليهم بالنبوة ، وأنه لو اختص بها دونهم لزم الترجيح بلا مرجح . فأجيب بأن المرجح فضل الله - عز وجل - ورحمته ، وليست خزائن الرحمة عندكم و [لا][٥] بأيديكم حتى تتحجروا[٦] منها واسعًا عن الخلق ، وهذا/ [١٩٣أ/ م] السؤال وجوابه قد سبق في مواضع .

﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[٧] هذا إنكار لقول الكفار : «الملائكة بنات الله - عز وجل - » وقد تضمن الجواب : بأنكم استأثرتم بالأكمل ، وجعلتم لربكم - عز وجل - ما هو أنقص ، وهو خلاف الأدب والعدل ، فإذ لم يكن بد من سوء الاعتقاد فهلّا تأدبتم وآثرتموه بالأكمل ، أو جعلتم له مثل ما جعلتم لكم .

---

(١) في ل : أم .

(٢) في ل : باطل .

(٣) في ل : إلا تام .

(٤) سورة الطور ، آية (٣٧) .

(٥) سقط من ل .

(٦) في م : تحجروا .

(٧) سورة الطور ، آية (٣٩) .

﴿أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[١] هذا توحيد ، ودليله أن ما تشركون معه من الآلهة إما ناقص لا يملك ضرًا ولا نفعًا فهو لا يصلح للإلهية لنقصه ، أو كامل مساوٍ للإله الحق [عز وجل][٢] من كل وجهٍ ، فيلزم فساد العالم بدليل التمانع أو تركيب القديم[٣] بدليل الحكماء ، وكلاهما باطل ؛ فإذن لا شريك له -عز وجل- لا كامل ولا ناقص ، والآية إنما دلت على تنزهه[٤] -عز وجل- عن الشريك ، فأما خصوصية هذا الاستدلال فشيء استحضرناه هٰهنا ، فذكرناه .

(١) سورة الطور ، آية (٤٣) .

(٢) في ل : جل جلاله .

(٣) في م : للقديم .

(٤) في ل : تنزيهه .

القول في سورة النجم

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[١] قيل : هو قسم بالشهاب المنقض على مسترق السمع ، والمراد القسم بالقدرة الإلهية على ذلك ، وقيل : هو قسم بنجوم القرآن النازلة في أوقاتها ، والمراد القسم بالكلام الأزلي القديم ، [وزعمت الشيعة أن : النبي - صلى اللّه عليه وسلم- قال : « **الخليفة بعدي من يهوي النجم الليلة في داره**»[٢] ، فهوى النجم - أي : انقض - في دار عليّ ، ثم أقسم اللّه -عز وجل- به تعظيمًا له وتأكيدًا لحقه ، وهذا لا يعرف إلا من جهتهم أو ممن يناوله عنهم ، وقد ذكره صاحب اللباب في خصائص أبي تراب وغيره منهم بأسانيد لا تثبت[٣]][٤]

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾[٥] نفي للضلال[٦] والغي عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم- يستلزم إثبات[٧] الهداية له مراغمة للكفار .

---

(١) سورة النجم ، آية (١) .

(٢) قال الحافظ في لسان الميزان في ترجمة ربيعة بن محمد : أبو قضاعة الطائي عن ذي النون المصري بخبر باطل ، قال الجوزقاني : متروك ، ثم ذكر الحديث من طريق أنس .

(٣) ثم هي عن ابن عباس حاضرًا القصة ، وسورة النجم مكية ، فيكون ابن عباس لم يولد آنذاك ، أو كان له سنتان ونحوها ثم إن النجوم التي في الأفلاك لا تنزل عن مكانها ، والشهب إنما يقذف بها الشياطين ، وإذا وصلت للأرض أحرقت وأهلكت ، وليس في هذا فضيلة لمن نزل الشهاب على داره أو أحرقها إلى غير ذلك من الأوجه التي ساقها شيخ الإسلام في الرد على هذه الفرية بالمنهاج (٧/ ٥٩-٦٠) (خ) .

(٤) سقط من ل .

(٥) سورة النجم ، آية (٢) .

(٦) في ل : الضلال .

(٧) سقط من ل .

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١] يحتج به على أنه كان لا يحكم بالاجتهاد بل بالوحي ، وأن السنة الواردة عنه كانت توحى إليه كما قال - عليه الصلاة والسلام- : « **ألا[٢] إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، وإن جبريل يأتيني بالسنة كما يأتيني بالقرآن**»[٣] وأن قوله - صلى اللّه عليه وسلم- في الرضى والغضب والجد والمزاح حق ؛ لقوله عليه السلام : « **إني لأمزح[٤] ولا أقول إلاً حقًّا**»[٥] ، وقوله لعبد اللّه بن عمرو : « **اكتب فوالذي نفسي بيده ، ما خرج منه إلا حق** »[٦] وأشار إلى لسانه .

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[٧] قيل : جبريل ، وقيل : اللّه - عز وجل - لأنه ذو القوة المتين ، وقال - عز وجل - : ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[٨] ، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا /[١٩٣ ب] عِلْمًا ﴾[٩] ، [ومن قال : إنه جبريل ، ربما استدل بأنه أفضل من الأنبياء الذين أوحى إليهم ؛ لأنه مُعلم وهم متعلمون ، وعورض بأنهم أفضل ؛ لأنه رسول وهم مرسل إليهم ، ونقض ذلك بالرسل مع الأمم ، وقد

---

(١) سورة النجم ، آية (٣ ، ٤) .

(٢) سقط من ل .

(٣) تقدم في المجلد الثاني .

(٤) في ل : لا أمزح .

(٥) رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩١) حديث (١٣٤٤٣) ، وفي الأوسط (١/ ٥٣٠) حديث (٦٩٩) ، وفي الصغير (٢/ ٥٩) حديث (٧٧٩) ، والمزي في تهذيب الكمال (١٩/ ٢٣) .

(٦) رواه أبو داود (٣/ ٣١٨) حديث (٣٦٤٦) ، وأحمد (٢/ ١٦٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٢١٥) والحاكم (١/ ١٨٧) والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٣٢) ، والدارمي (١/ ١٣٦) حديث (٤٨٤).

(٧) سورة النجم ، آية (٥) .

(٨) النساء ، (١١٣) .

(٩) طه (١١٤) . وفي ل : قال ، بدل ﴿قل﴾ .

سبقت هذه المسألة .

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[١] يحتج به على إثبات الجهة ، إذ لا يتصور هذا التقدير إلا معها ، ولا يجوز حمله على جبريل وأن ﴿قاب قوسين﴾ كان بينه وبين النبي صلى اللّه عليه وسلم ؛ لأن جبريل - عليه السلام - قرب من النبي - صلى اللّه عليه وسلم - في الأرض حتى تماست ركبهما ، وذلك أقرب من قاب قوسين في السماء ، فتعين حمله على أنه بينه وبين اللّه -عز وجل- ويلزم الجهة ، والخصم إنما يدفع هذا بما مر من لزوم التحيز والتجسيم .][٢]

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾[٣] إشارة إلى أنه - صلى اللّه عليه وسلم - رأى ربّه - عز وجل - بقلبه ، والفؤاد عين القلب ، كما أن البصر عين القالب

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[٤] فيه إثبات الجنة موجودة قبل القيامة/[٤٠١/ل] ، خلافًا للمعتزلة كما سبق .

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[٥] إشارة إلى أنه - صلى اللّه عليه وسلم- رأى ربّه -عز وجل- ببصره الظاهر ، وقد اختلف في ذلك ، فحكي عن[٦] ابن عباس وجماعة : « [أنه رآه][٧] -عز وجل- بعين رأسه لظاهر

---

(١) سورة النجم ، آية (٨ ، ٩) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة النجم ، آية (١١) .

(٤) سورة النجم ، آية (١٤ - ١٥) .

(٥) سورة النجم ، آية (١٧) .

(٦) سقط من ل .

(٧) في ل : رأى ربه .

هذه الآية[١] ، وحكي عن عائشة أنها أنكرت ذلك ؛ مستدلة بقوله - عز وجل - : ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[٢] وحملت هذه الآية على أنه رأى جبريل مرتين في صورته الأصلية العظيمة الهائلة .

والأشبه الأول ، ويحكى عن أحمد أنه قيل له : بم[٣] تردّ قول عائشة في إنكار الرؤية ؟ فقال : بقول ابن عباس في إثباتها أو كما قال ، وحكى عن بعضهم أنه قال : كان النبي - صلى اللّه عليه وسلم - يضع كل حديث عند أهله ، ويحدث الناس على قدر عقولهم ، وابن عباس رجل كامل فأفشى إليه هذا الحديث ، وعائشة إذ هي امرأة ليست كالرجال في الكمال لم يحدثها به .

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾[٤] قيل : اشتقوا اللات من اسم اللّه - عز وجل - والعزى من العزيز ، وقيل : إن رجلاً كان يلت السويق[٥] للحاج فسمي اللات اسم فاعل من ذلك مشدد التاء ، ثم سموا به الصنم ، وخففوه[٦] .

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾[٧] سبق نظائره ، وهٰهنا موضع إلقاء

---

(١) الوارد الثابت عن ابن عباس أنه قال : (رآه) ، ومرة قال : (رآه بقلبه) ، وحكى عثمان ابن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على أنه - صلى اللّه عليه وسلم - لم يره بعيني رأسه ، وهو مقتضى حديث مسلم : «نور أنى أراه» وقوله : «رأيت نورًا» وحديث عائشة في إنكار رؤيا الدنيا بقوله : ﴿لا تدركه الأبصار﴾ لا يمنع رؤية الآخرة أنى وقد جاء الحديث من طريقها ، كما ذكره ابن كثير في تفسير آية الأنعام (خ) .

(٢) الأنعام ، آية (١٠٣) .

(٣) في ل : ثم .

(٤) سورة النجم ، آية (١٩) .

(٥) في م : السوق .

(٦) في م : وخفضوه .

(٧) سورة النجم ، آية (٢١) .

الشيطان في الوحى كما قيل وأشير إليه في سورة الحج » فألقى متصلاً بهذا ، أعني : ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾[١] «تلك الغرانيق العلى إن شفاعتهم لترتجى »[٢]، فقالت قريش : قد قاربنا محمد وأحسن القول في آلهتنا ، فلما بلغ آخر السورة سجد وسجدوا معه مقاربة له ، فلما نسخ ما ألقاه /[١٩٤أ/م] الشيطان ، عادوا إلى المباعدة والعداوة ، وقد اختلف الناس في هذا ، فمنهم من قدح في صحته ولم يثبته ، إذ لم يرد من طريق وثيق ، ومنهم من أثبته ثم اختلفوا في تأويله ، وأقرب ما قيل فيه : إن الشيطان تكلم بتلك الكلمات والنبي - صلى اللّه عليه وسلم - يتلو فاشتبه [صوته بصوته][٣] ، فظنوا أنه - صلى اللّه عليه وسلم- قاله ، فقاربوه معتقدين[٤] لذلك ، فلما نازعهم وأنكر أنه [][٥] قاله عادوا إلى المباعدة ، وليست جرأة الشيطان في هذا بأضعف من جرأته عليه حين عرض له في الصلاة بشعلة نار ليقطع عليه صلاته ، والجميع بإذن اللّه -عز وجل- وإرادته وقضائه وقدره .

﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾[٦] كما سبق.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾[٧] أي : جائرة ، والعدل إذا لم يكن بد أن تؤثروه بالبنين أو تساووه .

---

(١) سورة النجم ، آية (٢٠) .

(٢) قال الحافظ ابن كثير (٥/٤٨) : لم أرها مسندة من وجهٍ صحيح .

(٣) في ل : صورته بصورته .

(٤) في ل : معتقدون .

(٥) في ل : ما .

(٦) الحج ، آية (٣٥) .

(٧) سورة النجم ، آية (٢٢) .

﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[١] احتج به من منع العمل بخبر الواحد والقياس ؛ لأنهما إنما يفيدان الظن ، واتباعه مذموم/[٤٠٢/ل] .

وأجيب بأن ذلك في العقائد العلمية كالتوحيد ونحوه لا مطلقًا ، وقد سبق الدليل على اعتبار خبر الواحد والقياس .

﴿ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾[٢] احتج[٣] به من أنكر الاستحسان في الشرع ؛ لأنه اتباع الهوى بغير مستند ، والصحيح اعتباره والفائز به أهل العراق من أصحاب أبي حنيفة ، وقد قرروه أحسن تقرير ، ولا نسلم أنه اتباع الهوى ، بل هو استماع القول واتباع أحسنه ، وحاصل الاستحسان أنه العمل بأقوى الدليلين أثرًا أو[٤] نحو ذلك على ما قرره البزدوي وغيره ، ولا جرم أنه لما كان كذلك استعمله منكروه ، فتراهم كثيرًا ما يقولون : يجوز استحسانًا لا قياسًا ، والاستحسان كذا ، وأشباه ذلك ، فإذن الاستحسان كما قيل في المثل :« الشعير يؤكل ويذم » وكذا الاستحسان يستعمل ثم[٥] ينكر .

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾[٦] الآية ، تقتضي أن للملائكة شفاعة ، بإذن اللَّه -عز وجل- ، وأنها لا تغني شيئًا ، ولا تنفع إلا بإذنه -عز وجل- وإرادته ورضاه ، وله نظائر نحو : ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾[٧] ، ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ

---

(١) سورة النجم ، آية (٢٣) . وفي ل : تتبعون ، بدل ﴿يتبعون﴾

(٢) سورة النجم ، آية (٢٣) .

(٣) في ل : يحتج .

(٤) في ل : و .

(٥) في ل : من .

(٦) سورة النجم ، آية (٢٦) .

(٧) سبأ ، آية (٢٣) .

عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾(١) وأشباه ذلك .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴾(٢) تبين بهذا أن قوله -عز وجل- : ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾(٣) معناه سموهم إناثا كما سبق .

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ﴾(٤) هو لازم لقوله -عز وجل- : ﴿ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ﴾(٥) إذ عدم علمهم بأنوثتهم من لوازم عدم شهادتهم خلقهم .

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا /[١٩٤ب/م] ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾(٦) يحتج به من منع العمل بالأدلة الظنية كالقياس وخبر الواحد والاستحسان والاستصلاح وقول الصحابي وشرع من قبلنا والبراءة الأصلية ، ونحو ذلك . والجواب ما سبق آنفا .

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾(٧) وعيدي محكم ، أو منسوخ بآية السيف ﴿ وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا [(٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾(٨) يقتضي تحقير الدنيا ، وتحقير علم يؤدي إلى الاقتصار على إرادتها ، وهو كقوله عز وجل : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾(٩)](١٠) الآية ، إذ جعل علمهم بظاهر الحياة

(١) البقرة ، آية (٢٥٥) .
(٢) سورة النجم ، آية (٢٧) .
(٣) الزخرف (١٩) . وفي ل : عبيد ، بدل ﴿عباد﴾ .
(٤) سورة النجم ، آية (٢٨) .
(٥) الزخرف (١٩) .
(٦) سورة النجم ، آية (٢٨) .
(٧) سورة النجم ، آية (٢٩) .
(٨) سورة النجم ، آية (٢٩ - ٣٠) .
(٩) الروم (٧) .
(١٠) زيادة من ل .

الدنيا كلا علم .

﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾[١] يحتج به على انقسام المعاصي إلى كبائر وصغائر ، وهو مذهب الجمهور كما سبق ، واقتضت الآية أن من اجتنب الكبائر والفواحش محسن ، وإن قارف[٢] الصغائر ؛ لأنه - عز وجل - فسر : ﴿ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾[٣] بهؤلاء المجتنبين للكبائر إلا اللمم ، وهو[٤] استثناء/[٤٠٣/ل] منقطع ، أي : يجتنبون الكبائر لكن اللمم لا يسلمون منه .

﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾[٥] يعني عند[٦] خلق آدم ، ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ﴾[٧] ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ﴾[٨] ويحتمل أن المراد : هو أعلم بكم حيث خلقكم من الأرض الكثيفة [الثقيلة][٩] المظلمة المقتضية المناسبة لصدور ظلمة المعاصي منكم ، والمراد هو أعلم بكم قبل وجودكم ، علم المتقي منكم من غيره ، ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[١٠] .

﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[١١] واحتج به الشافعي ومن وافقه

---

(١) سورة النجم ، آية (٣٢) .

(٢) في م : قارن .

(٣) سورة النجم ، آية (٣١) .

(٤) بعده في ل : الصغائر . .

(٥) سورة النجم ، آية (٣٢) .

(٦) سقط من ل .

(٧) سورة النجم ، آية (٣٢) .

(٨) الملك (١٤) .

(٩) زيادة من ل .

(١٠) سورة النجم ، آية (٣٢) .

(١١) سورة النجم ، آية (٣٩) .

على أن من تطوع بقربة كقراءة أو[١] صلاة ونحوه ، وأهدى ثوابها لميت مسلم لا تصله ، ولا ينتفع بها ، خلافًا لأبي حنيفة وأحمد ، وعن مالك قولان ، وجه استدلاله أن هذا ليس من سعيه ، وما ليس من سعيه لا ينفعه لظاهر الآية .

حجة الآخرين : أن هذا من سعيه ، وما كان من سعيه كان له وانتفع به ، لمفهوم الآية بل لمنطوقها ، فإنها استثناء من نفي ، وهو عند الشافعي وأحمد إثبات ، أما أنه من سعيه ؛ فلأنه كسبه وكسبه سعيه ، فهذا سعيه ؛ أما أنه كسبه فلأن كسبه يصدق على ما باشره أو نسب إليه ، وهذه الطاعة المهداة إليه مما تسبب إلى حصولها ، ولو لم يكن إلا بواسطة الإسلام المكتسب له فيهدي إليه الحي لكونه مسلمًا فضلاً، عن[٢] أنه قد يكون ملكًا عادلاً أو وزيرًا أحسن السياسة أو عالمًا أو حاكمًا انتفع بعلمه ، أو غنيًا شاكرًا ذا معروف ، أو فقيرًا صابرًا ذا خلق حسن ، فيهدى إليه ثواب الطاعات بهذه الوسائط المكتسبة له ، وأما أن كسبه سعيه فواضح ، وأما أن سعيه يكون له وينفعه[٣] ؛ فلظاهر الآية كما بينا[٤] .

واحتجوا بأن الثواب المهدى للميّت إما عمل له[٥] أو لا ، فإن كان عملاً له فقد انقطع بموته /[١٩٥أ/م] لقوله - صلى اللّه عليه وسلم - : «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث**»[٦] ، وإن لم

---

(١) في ل : و .
(٢) في ل : على .
(٣) في م : ونفعه .
(٤) سقط من ل .
(٥) سقط من ل .
(٦) رواه مسلم من حديث أبي هريرة : كتاب الوصية ، باب : ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (١١/ ١٢٢/ رقم : ١٦٣١) .

يكن عملاً له لم ينفعه لقوله -عز وجل- : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[(١)] .

والجواب : أنا قد ندعي أنه عمل له ولم ينقطع[(٢)] بموته ، والحديث عام خص بالمحرم لا ينقطع إحرامه بموته ؛ ولذلك يجنب ما كان يتجنبه حيًا ، ونقيس محل النزاع على محل التخصيص بدليلنا ، وقد ندعي أنه ليس عملاً له ويصل إليه بطريق الهدية ، والآية محمولة على شرع إبراهيم ؛ لأنها مضافة إلى صحفه ، والنظر الصحيح يقتضي صحة قولنا ؛ لأن من عمل طاعة وتفضل اللَّه -عز وجل- عليه بثواب بسببها صار حقًا له كماله الدنيوي ، وكما لا يمنع من الإيثار بماله لا يمنع من الإيثار بثواب أعماله ، ولو أهدى الحي ذلك لحي مسلم ففى نفعه إليه[(٣)] وجهان في مذهب أحمد ، الأشبه بالصحة أنه يصل وينفع .

﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ/[٤٠٤/ل] ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾[(٤)] يحتج به من لا يورث الخنثى ؛ لأن الإرث إنما ورد في الشرع لذكر أو أنثى ، وهذا ليس واحدًا منهما لاختصاصه باسم وخلقة دونهما .

والجواب : أنه قسم ثالث في الظاهر ، أما في نفس الأمر فهو [واحد من][(٥)] القبيلين لا محالة .

﴿مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ * وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾[(٦)] احتجاج على الإعادة

---

(١) سورة النجم ، آية (٣٩) .

(٢) في ل : يقطع .

(٣) في ل : إياه .

(٤) سورة النجم ، آية (٤٥) .

(٥) في ل : من أحد .

(٦) سورة النجم ، آية (٤٦ - ٤٧) .

بقياس الإبداء .

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾[١] قيل : مغنون ، بلغة[٢] حمير ، فاستدل به على تحريم الغناء ، وفيه نظر .

---

(١) سورة النجم ، آية (٦١) .
(٢) في ل : لغة .

القول في سورة القمر

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾[١] فيه مسائل

الأولى : اقتراب الساعة بأمارة انشقاق القمر عليها ، ثم قد بينا أن القرب أمر إضافي لا حدّ له ، ولا تقدير فيه .

الثانية : أن القمر يمكن انشقاقه[٢] ؛ لأنه جسم وكل جسم يمكن انشقاقه ، وما زعمه الفلاسفة من أن الفلك لا يقبل الخرق والالتئام ، وربما طردوا ذلك في جميع الأجرام العلوية - ضعيف ، وقد سبق القول فيه .

الثالثة : أن القمر انشق على عهد النبي - صلى اللّه عليه وسلم- معجزًا له ، وشاهده كفار مكة ﴿وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾[٣] ثبت ذلك بهذا النص المتواتر وبالأخبار الصحيحة المستفيضة من حديث ابن مسعود[٤] وابن عباس[٥] ومن عساه وافقهما .

---

(١) سورة القمر ، آية (١) .

(٢) في ل : اشتقاقه .

(٣) سورة القمر ، آية (٢) . وفي الأصلين : « فقالوا هذا » بدل ﴿ويقولوا﴾ .

(٤) حديث ابن مسعود رواه البخاري في كتاب التفسير (٨/٦١٧) حديث (٤٨٦٥) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ١٧/٢٠٩) حديث (٢٨٠٠) .

(٥) حديث ابن عباس رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿وانشق القمر﴾ (٨/٦١٧) حديث (٤٨٦٦) ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، وأحكامهم ، باب انشقاق القمر (١٧/٢١) حديث (٢٨٠٣) .

﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[١] وقوله - عز وجل - : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾[٢] أي نحن نراها ونراك ، وقد تقرر أن اللَّه -عز وجل- سميع بصير ، وربما تمسك بعض المشبهة بهذا على إثبات العين جارحة للَّه -عز وجل- وهو باطل ، أو صفة كاليد والوجه وفيه ما في نظائره من الكلام / [١٩٥ب/ م] وقد سبق .

﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا﴾[٣] الآية ، هي شبهتهم المعروفة التي يلزم[٤] منها الترجيح بلا مرجح على زعمهم ، وقد مرَّ جوابها غير مرة .

﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾[٥] ظاهره أنه عام أريد به الخاص وهي الآيات[٦] التي جاء بها موسى - عليه السلام - ويحتمل أنها آيات الرسل أجمعين ؛ لاستلزام تكذيبهم بآيات موسى التكذيب بها .

﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[٧] هذا من إخباراته - عليه الصلاة والسلام- بالغيوب ، قاله يوم بدر عن هذا الوحي قبل التحام الحرب، والمشركون ظاهر حالهم الغلبة لكثرة عَدَدهم وعُدَدهم ، ثم أنزل اللَّه -عز وجل- نصره تصديقًا لوحيه ونبيه .

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾[٨] إلى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[٩]

---

(١) سورة القمر ، آية (١٤) .
(٢) سورة الطور ، آية (٤٨) .
(٣) سورة القمر ، آية (٢٥) .
(٤) في م : لزم .
(٥) سورة القمر ، آية (٤٢) .
(٦) في ل : الآية .
(٧) سورة القمر ، آية (٤٥) .
(٨) سورة القمر ، آية (٤٧) .
(٩) سورة القمر ، آية (٤٩) .

نزلت في مشركي مكة[1] خاصموا النبي - صلى اللّه عليه وسلم - في القدر ، فنزلت هذه الآيات ، ومعناها إنا خلقنا كل شيء بقدر ، فتقتضي عموم الخلق للأشياء وأنها خلقت بقدر ، ويدخل/[٤٠٩/ل] في ذلك أفعال العباد فهي مخلوقة للّه -عز وجل- بقدر ، فيحتج[2] بذلك الجمهور[3] ، وفيه إشارة إلى وعيد القدرية وليس بقاطع ؛ لاحتمال أن الوعيد لأولئك القدرية الكفار الذين هم سبب نزول هذه الآيات[4] ويرجع ذلك إلى أن الاعتبار بعموم اللفظ أو بخصوص السبب .

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾[5] أي : في علم اللّه -عز وجل- وكتابه المبين الحفيظ[6] الجامع لوقائع الوجود جزئيًا وكليًا[7] ، ويحتج به الجمهور ؛ لأن أفعال الخلق إذا سبق بها العلم وتضمنها الكتاب الحفيظ تعلّقت بها القدرة والإرادة على وفق تعلق العلم بها ؛ لاستحالة تناقض هذه الصفات في متعلقها ، وحينئذ[8] يلزم الجبر ، وإلا لكانت الإرادة والقدرة الحادثتان غالبتين للأزليتين ، وإنه محال .

---

(١) في ل : قريش .

(٢) في ل : ويحتج.

(٣) سقط من ل.

(٤) في ل : الآية.

(٥) سورة القمر ، آية (٥٢) .

(٦) في ل : الحافظ.

(٧) إشارة إلى من زعم أن اللّه يعلم الكليات لا الجزئيات ، فرارًا منه من تبدل العلم وحدوثه إذا تعلق بالجزئيات على زعمه (خ).

(٨) في ل : فحينئذ .

القول في سورة الرحمن

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾[١] يحتج به من يرى القرآن المسموع قديمًا ؛ لأنه - عز وجل - لما خصّ الإنسان بالخلق والقرآن بالتعليم دلّ على ذلك ، وإلا لقال : خلق القرآن .

وأجاب الخصم بأن هذا لا يلزم ؛ لأن الإخبار إنما تعلق بتعليم القرآن لا بخلقه ، والتعليم[٢] قد يتعلق بالمخلوق ، بل ربما اختصّ تعلقه بالمخلوق نحو : ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[٣] كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون ، وبالجملة فالاستدلال هٰهنا بالمفهوم أو نحوه[٤] ، وهو دليل لين[٥] .

﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[٦] اعلم أن البيان قد قيل في حده : إنه إخراج المعنى من حيز الخفاء إلى حيز التجلي[٧] ، وقيل فيه غير ذلك ، وأجود ما يقال فيه : إنه /[١٩٦أ/م] إيضاح المعنى الخطابي ، أو ما[٨] قام مقامه بحيث لا يلحق سامعه لبس ، ولا يحتاج في فهمه إلى

---

(١) سورة الرحمن ، آية (١ : ٣) .

(٢) في ل : فالتعليم.

(٣) سورة النساء ، آية (١١٣) .

(٤) في ل : بنحوه .

(٥) قد سبق أن هذا لا يرد على قول من جعل كلام الله ،لا أول لنوعه لا لأفراده ، كما هو مذهب أهل الحديث ، وسبق مرارًا ، وراجع المقدمة .(خ)

(٦) سورة الرحمن ، آية (٤) .

(٧) في ل : التخلي .

(٨) سقط من ل.

تخمين وحدث ، وربما استغنى عن هذا الأخير وهو لا يحتاج إلى آخره .

وقولنا : ما قام مقامه يعني : كالكتابة ، فإنها تقوم مقام الخطاب في البيان ، وكذا[1] الإشارة ونحوها .

ويحتج به النحاة والمنطقيون على شرف علمهم ؛ لأن كل واحد من النحو والمنطق بيان ، والبيان ممدوح في القرآن ، فالنحو والمنطق ممدوحان في القرآن .

أما الأولى : فلأنه[2] لا يشك من له أدنى فهم أن النحو والمنطق آلتان لإيضاح المعاني . ومن ثم سمي النحو « علم الإعراب» ؛ لأن الإعراب البيان والمنطق آلة لبيان صحيح الأدلة من فاسدها ، ويوضح[3] الحق من الباطل .

وأما الثانية : فلهذه الآية ، إذ دلت على الامتنان على الإنسان بتعليم البيان ، ولا يقع الامتنان إلا بنعمة ، وبما هو شريف ممدوح ، وقد بسطت القول في هذا/ [٤٠٧/ل] في كتاب « رفع[4] الملام عن أهل المنطق والكلام» .

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[5] قد سبق نظيره في «الحجر» ، وصحّ عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - أنه قال : « **خلق الملائكة من نور ، وخلق الجان من**

(١) في ل : وكذلك.

(٢) في ل : فإنه .

(٣) في ل : ويوضح.

(٤) في ل : دفع.

(٥) سورة الرحمن ، آية (١٤ - ١٥) .

نار ، وخلق آدم مما قصّ عليكم »[١] أي : من تراب ، ثم[٢] هو طين لازب ثم حمأ مسنون ، ثم صلصال كالفخار ، كأنه - صلى اللّه عليه وسلم- أشار بعموم قوله : « **ما قصّ عليكم**» إلى هذه الأطوار ، ولو قال : من تراب أو طين لما استوعبها .

واعلم أن أكثر الفلاسفة والأطباء أنكروا وجود الجن على ما ورد به الشرع ؛ لأنه ورد بأنهم خلقوا من نار ، والنار عنصر واحد ، والجسم إنما يتقوم من العناصر الأربعة بتفاعل كيفياتها بعضها في بعض ، وذلك لايمكن في العنصر الواحد .

وردّ عليهم بوجهين :

أحدهما : بما نبه اللّه - عز وجل - عليه في هذه الآية ، وهو أنهم خلقوا من مارج من نار[٣] ، وهو النار المختلطة بالدخان كأنهما مزجًا ، أي : خلط أحدهما بالآخر ، وأنت ترى بين آخر لهيب[٤] النار وأول الدخان شيئًا يجمع بين الحمرة والسواد ولطافة النار وكثافة الدخان ، كأنه مركب منهما ، فذلك هو المارج ، وليس ذلك نارًا صرفًا بل خالطه لطيف العناصر[٥] الأربعة ؛ لأن الدخان لطيف الوقود والوقود جسم طبيعي مؤلّف من العناصر الأربعة[٦] ، فالدخان لطيف العناصر ، وذلك يمكن تأليف الجسم منه وإن كان لطيفًا للطف

---

(١) رواه مسلم ، كتاب : الزهد والرقائق ، باب : في أحاديث متفرقة (٦٠) (٢٩٩٦) من حديث عروة عن عائشة به .

(٢) بعده في م : هو .

(٣) في ل : النار.

(٤) في ل : لهب .

(٥) في م : للعناصر.

(٦) سقط من ل.

مادته ، ومن ثم كان للجن قوة النفوذ في بعض الكثائف والطيران في الهواء والتشكل /[١٩٦ب/م] بالأشكال المختلفة ؛ لأن الدخان كذلك ، ألا تراه يخرج من مسام الجدران ويرتفع في الهواء شبيهًا بالغمام ، ويتشكل بالأشكال ، تارة مستديرًا[(١)] ، وتارة مستطيلاً ، وتارة مربعًا ، ومن ثم كانوا أصبر على النار ، وأقوى على علاجها وسياستها من البشر ؛ لأنها والدخان الذي هو من آثارها مادتهم ، ألا ترى أن البشر لما غلبت عليهم الطينية والمائية كانوا أصبر على الماء منهم على النار للمناسبة بينهما ، وقياس العكس[(٢)] يقتضي أن الجن أصبر على النار منهم على الماء للمضادة بينهما .

الوجه الثاني : أنهم[(٣)] من العناصر ، غير أن الجزء الناري[(٤)] لما غلب عليهم ، قيل : خلقوا من نار ؛ تغليبًا له في الذكر تبعًا للواقع في الحقيقة ، كما قيل للإنسان : خلق من تراب لغلبته عليه ، وإن كان مخلوقًا من العناصر .

[والشيخ علاء الدين بن النفيس من متأخري الفلاسفة ردّ في كتابه : «الشاهل» على من أنكر وجود الجن .][(٥)]

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾[(٦)] اختلف في أي الجهتين أشرف المشرق أو المغرب .

احتج المشارقة بوجوه :

---

(١) في ل : مستديرة.

(٢) في ل : والقياس العكسي.

(٣) في ل : أنه.

(٤) في ل : الثاني.

(٥) سقط من ل.

(٦) سورة الرحمن ، آية (١٧) .

أحدها : أن الله -عز وجل- لم يذكر الجهتين في موضع إلا قدّم ذكر/[٤٠٨/ل] المشرق نحو : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾[١] ، و﴿ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾[٢] ،﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾[٣] ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾[٤] وسواء قلنا : الواو تقتضي الترتيب أو لا ، بناء على قاعدة العرب المعروفة في تقديمهم الأهم والأفضل وبدايتهم بالأشرف .

الوجه الثاني : أن الفضاء يكون مظلمًا بوجود الليل ، فلا يضيء إلا بطلوع الشمس من المشرق .

الوجه الثالث : أن أئمة الفقه الأربعة من المشرق ؛ وأئمة الحديث الستة من المشرق ، وأئمة العربية والقراءات من أهل المصرين[٥] من المشرق .

الوجه الرابع : أن المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ، والأرضين الثلاث التي بورك فيها بنص القرآن وهي أرض مصر والشام وأرض الجزيرة كما بيناه في سورة ﴿قَدْ أَفْلَحَ ﴾[٦] كل ذلك في أرض المشرق ؛ لأن الناس اتفقوا على أن أرض مصر حدٌ ما بين المشرق والمغرب . فما كان من مصر إلى جهة مطلع الشمس فهو مشرق يتناول اليمن والحجاز والشام والعراقين وما بعدها ، والمصر في اللغة : الحد ، ولما ذكرنا سميت مصر مصرًا ، قال الشاعر :

---

(١) سورة الرحمن ، آية (١٧) .
(٢) سورة المعارج ، آية (٤٠) .
(٣) سورة الشعراء ، آية (٢٨) .
(٤) سورة البقرة ، آية (٢٥٨) .
(٥) المِصرين : البصرة ، والكوفة ، ومعظم أئمة القراءات القرآنية والنحاة منهما .
(٦) سورة المؤمنون ، آية (١) .

وجاعل الشمس مصرًا لا خفاء به
بين النهار وبين الليل قد فصلا

أي : حدًّا بينهما /[١٩٧أ/ م]

واحتج المغاربة بوجوه :

أحدها : أن اللّٰه -عز وجل- بدأ بالمغرب في سيرة ذي القرنين فقال -عز وجل- : ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾[1] ثم ذكر بعده المشرق .

وأجيب : بأن ذلك تبع للواقع ، وهو أن ذا القرنين أول ما افتتح وغزا جهة المغرب فوقع الخبر على وفق ذلك ، ولا دلالة له على الشرف والفضيلة .

الثاني : قوله - صلى اللّٰه عليه وسلم- : « **لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي**[2] **أمر اللّٰه وهم على ذلك**»[3] ، وفي رواية : « **لا يزال أهل المغرب ظاهرين**» وهو يقتضي تفضيل[4] المغرب .

وأجيب بأن الصحيح في ذلك في كتاب البخاري من رواية مالك

---

(١) سورة الكهف ، آية (٨٥ - ٨٦) .

(٢) في ل : يأتيهم.

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب : المناقب ، باب : (رقم ٢٨) (ح ٣٦٤١) ، ومسلم ، كتاب : الإمارة، باب : قوله - صلى اللّٰه عليه وسلم - : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ...» (١٧٤ ، ١٧٥) (١٠٣٧) مغايرًا في بعض الأحرف لسياق المصنف وقوله « **وهم بالشام** » عند البخاري فقط ، من كلام معاذ بن جبل ، وانظر « الصحيحة » للألباني (١/ ٢٧٠) (٤/ ١٩٥٥ ، ١٠٦٢) .

(٤) في ل : فضل.

ابن يخامر السَّكْسكِي عن معاذ بن جبل عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم- أنه قال : «وهم بالشام»[١] وهي من حساب المشرق ، وأما لفظ الغرب فلا يثبت ، وإن ثبت فهو محمول على العرب وهم أهل الغرب ، أي : الدلو التي[٢] تسقى[٣] بها الإبل[٤] ، وأكثرهم باليمن والشام ونجد ونحوها .

الثالث : أن المغرب اختص بظهور الأهلة منه التي جعلت مواقيت للناس والحج ، وترمقها أبصار الناس دون المشرق ؛ كما قال الفرزدق .

ترى الغر الجحاجح من قريش إذا ما الخطب في الحدثان غالا
قيامًا ينظرون إلى سعيد كـأنـهـم يـرون بـه هـلالا

وأجيب بأنه معارض بأن القمر يبدو من المغرب ممحوقًا لا يرى إلا بالمضارة ، وإنما يكمل/[٤٠٩/ل] بدرًا بالمشرق حين يقابل الشمس ، وبأن باب التوبة سعتها أربعين عامًا ، ثم إنها تغلق بالمغرب .

الرابع : أن[٥] المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً يظهر من المغرب .

وأجيب بأن المشهور ظهوره من مكة أو اليمن أو العراق ، ونسبة ظهوره إلى المغرب ضعيفة جدًا .

---

(١) البخاري (٣/ ١٣٣١) حديث (٣٤٤٢البغا) وانظر الصفحة السابقة .

(٢) في ل : اي .

(٣) في ل : يستقى.

(٤) في ل : للإبل .

(٥) سقط من ل.

قالت المغاربة : نحن لا يظهر الدجال من عندنا ، ولا يأجوج ومأجوج ولا سائر الفتن ، ولا أشار النبي - صلى اللّه عليه وسلم- إلى بلدنا وقال : «**الفتنة من ههنا**»(١) .

أجابت المشارقة بأن هذا عدول عن تقرير المناقب إلى التعريض بالمثالب ، فإن لم(٢) يكن الأمر كذلك فيكفيكم أن الشمس التي هي آية النهار ، إنما(٣) تغرب عندكم فتظلم(٤) الأقطار ، وتغلق باب التوبة من جهتكم فلا ينفع بعد ذلك توبة ولا استغفار ، ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾(٥) الآية .

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾(٦) /[١٩٧ب/م] قيل : من الملح منهما دون الحلو ، وقد بينا أن الصواب خلاف ذلك في فاطر .

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾(٧) قيل : ذاته ، وقيل : صفة له ، وقد سبق القول فيه في آخر الزمر .

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(٨) ينبغي ألا يغفل عن هذه الموحدون ، فلا يطلبون من غير اللّه - عز وجل - ولا يسألون ، ومن يسأله الملوك كيف يعرض عن سؤاله الصعلوك .

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١١٣٠ ، ١٢٩٣ ، ٤/ ١٥٩٥ ، ٥/ ٢٠٢٩ ، ٦/ ٢٥٩٨) الأحاديث (٢٩٣٧، ٣٣٢٠ ، ٤١٢٨ ، ٤٩٩٠ ، ٦٦٧٩ ، ٦٦٨٠) ، ورواه مسلم (٤/ ٢٢٢٨ ، ٢٢٢٩) الحديث (٢٩٠٥) ، وأحمد (٢/ ٢٢) حديث (٤٧٥٤) وهذا لفظ أحمد .

(٢) زيادة من ل.

(٣) في ل : أنها.

(٤) في م : وتظلم .

(٥) سورة الأنعام ، آية (١٥٨) .

(٦) سورة الرحمن ، آية (٢٢) .

(٧) سورة الرحمن ، آية (٢٧) .

(٨) سورة الرحمن ، آية (٢٩) .

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[١] ليس هذا على جهة البداء ، بل هو على جهة التصرف الأحق[٢] على وفق التقدير السابق .

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾[٣] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾[٤] ونحوه يدل على أن الأجرام العلوية تقبل الخرق والالتئام ، خلافًا للفلاسفة كما سبق .

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[٥] فيه أن الجن يطمثون النساء ، وربما أشعر هذا بأن مؤمنيهم في الجنة ، وليست دلالته[٦] بالقوية على ذلك ، والنصوص وردت بأن عصاتهم في النار ، أما أن مؤمنيهم في الجنة فاختلف فيه[٧] ؛ فقيل : نعم بالقياس على مؤمني الإنس بجامع الإيمان والطاعة ، وقيل : لا لعدم النص فيه ، ومثله لا يثبت بالقياس ، فعلى هذا قيل[٨] : يصيرون ترابًا أو يفنون بوجه من وجوه الفناء كالبهائم ، وهو بعيد ، والأشبه مشاركتهم في الرضوان لمشاركتهم في الإيمان .

﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾[٩] يحتج به على جواز عطف الخاص على العام ، وهو المثال المشهور فيه .

وقال بعض الفضلاء : ليس هذا من أمثلة ذلك ؛ لأن شرطه أن يكون المعطوف عليه عامًا يتناول المعطوف بعمومه ثم يعطف بعد

---

(١) سورة الرحمن ، آية (٢٩) .

(٢) في ل : اللاحق.

(٣) سورة الرحمن ، آية (٣٧) .

(٤) سورة الانشقاق ، آية (١) .

(٥) سورة الرحمن ، آية (٥٦) .

(٦) في ل : دلالة.

(٧) في م : فيهم.

(٨) في م : فقيل .

(٩) سورة الرحمن ، آية (٦٨) .

ذلك ، تخصيصًا له بالذكر كجبريل وميكائيل عطف على عموم ملائكته ، وليس هذا كذلك ؛ لأن فاكهة نكرة في سياق إثبات ، فهي مطلق لا عام ، فلم يتناول النخل والرمان/[٤١٠/ل] حتى يكون عطفهما عليها عطف خاص على عام ، وهذا كلام صحيح وتحقيق جيد ، غفل عنه أكثر الناس ، بل كل من رأينا كلامه فيه ، وإنما نبه عليه الشيخ الإمام العالم الفاضل شهاب الدين القرافي المالكي في بعض كتبه .

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾[١] يحتج به من رأى أن الاسم هو المسمى[٢] [٣] ؛ لأن التسبيح له لا لاسمه ، فحيث أوقع التسبيح والتنزيه على الاسم دل على أنه المسمى وقد سبق جوابه ، ويحتمل أنه عبَّر عن المسمى باسمه مجازًا للعلاقة بينهما .

---

(١) سورة الرحمن ، آية (٧٨) .

(٢) في م : المعنى.

(٣) الصواب في ذلك أن الاسم للمسمى دال عليه ، ولا يقال : هو غيره بإطلاق ، لإيهام الخلق ، فكل ما سوى الله تعالى مخلوق ، ولا يقال : هو هو ؛ لأن الذهن يفرق بينهما ، والآية تدل على أن اسم الله مبارك ، والله تعالى موصوف بالتبارك ذاتًا وفعلاً ، فهو المبارك في نفسه وصفاته وأسمائه ، والمبارك لغيره سبحانه (خ) .

القول في سورة الواقعة

﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[(١)] هذا إنكار منهم للبعث ، وقد سبقت أدلته ، والله -عز وجل- أجاب بإثباته مراغمة لهم بقوله / [١٩٨أ/ م] -عز وجل- : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[(٢)] ثم برهن عليه بقوله -عز وجل- : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ﴾[(٣)] وهو احتجاج على الإعادة بالإبداء ، أي : كما خلقكم نطفًا ثم ما بعدها من الأطوار حتى سواكم بشرًا كذلك يعيدكم ثانيًا ، وفيه دليل على أن الخالق للولد هو الله -عز وجل- لا أبواه ، خلافًا لمن ظن ذلك ، ومما يدل عليه أن الأبوين قد يريدان الولد فلا يوجد ، وقد يكرهانه فيوجد ، وكذلك صفاته تخالف[(٤)] [إرادتهما] ، ولو خلقاه لكان بحسب [إرادتهما] وجودًا وصفة .

﴿ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٥)] يحتج به التناسخية على رأيهم في تنقل أرواح الحيوان بعضها في بعض لتكمل ثم تلحق بعالمها ، واحتجوا بوجهين :

أحدهما : أن القرآن ورد بأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون ،

---

(١) سورة الواقعة ، آية (٤٧) .

(٢) سورة الواقعة ، آية (٤٩ - ٥٠) .

(٣) سورة الواقعة ، آية (٥٨ - ٥٩) .

(٤) في ل : بخلاف.

(٥) سورة الواقعة ، آية (٦٠ - ٦١) .

وصحت السنة المبينة للقرآن أن «**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تعلق من شجر الجنة ، وتأوي إلى قناديل تحت العرش**»[(١)] قالوا : ولا نعني بالتناسخ إلا هذا ولا زدنا عليه ، وهو انتقال روح حيوان إلى حيوان آخر .

الثاني : أن كتب الأولين كالكتب الاثنى عشر وتواريخ المتأخرين كتاريخ ابن عساكر تضمنت أن بُخْتَنَصَّر البابلي بقي منتقلاً في أنواع الحيوان سبعًا ثم فرسًا ثم جارحًا و[(٢)] غير ذلك سبع سنين ثم أعيد إنسانًا ، وكان يخلفه في الملك في مدة نسخ روحه دانيال النبي ، وكان من جملة أسراه الذين أسرهم من بيت المقدس ، قالوا : وهذا حقيقة النسخ .

وأجيب عن الأول بأنه نسخ أمد والذي تدعونه أنتم نسخ أبد .

وبيانه أن اللَّه -عز وجل- أراد إكرام الشهداء ، فعلق أرواحهم بأبدان طير يتنعمون/ [٤١١/ل] بواسطتها إلى حين البعث ، ثم تعاد أرواحهم إلى أجسادهم الأصلية ، وأنتم تثبتون تناسخكم أبدًا معطلاً للبعث[(٣)] والمعاد ، فأحد النسخين غير الآخر .

وعن الثاني بأن كتب الأولين وتاريخ المتأخرين لا يعتمد عليها في مثل هذه المطالب المهمة[(٤)] ، ولئن سلم فذلك في حق بُخْتنصر مسخ لا نسخ ، مسخ في تلك الأطوار ليحدث له بذلك اعتبار ، والفرق

---

(١) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة (١٢١) (١٨٨٧) ، والترمذى كتاب تفسير القرآن ، باب « ومن سورة آل عمران » (٣٠١١) ، وابن ماجه كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة فى سبيل اللَّه (٢٨٠١) من طريق سليمان الأعمش به .

(٢) في م : ثم.

(٣) في ل : البعث .

(٤) في ل : المبهمة .

بينهما أن المسخ قلب الصورة مع بقاء النفس والمادة بحالهما ، كقلب الإنسان قردًا أو خنزيرًا ، والنسخ نقل النفس عن هيكلها إلى هيكل آخر ، وهو فرق واضح ، والمسخ ثبت في الشرع في بني إسرائيل . والنسخ لم يثبت إلا في أرواح الشهداء على ما زعمتم وألزمتم ، وهو أمدي لا أبدي .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾[1] الآية[2] احتجاج على الإعادة بالإبداء كما سبق /[١٩٨ب/م] آنفًا .

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾[3] الآية يحتمل[4] على أنه احتجاج على البعث بقياس إحياء الأرض بالزرع ؛ لأن إنكار البعث قد تقدم من الكفار آنفًا ، ويحتمل غير ذلك كالامتنان عليهم .

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾[5] إلى ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾[6] يحتج به الاتحادية كما مر ، [ومعناه عند الجمهور][7] : نحن أقرب إليه منكم بقدرتنا ورسلنا وعلمنا ونحو ذلك .

---

(١) سورة الواقعة ، آية (٦٢) .
(٢) زيادة من ل .
(٣) سورة الواقعة ، آية (٦٣) .
(٤) بعده في م : على .
(٥) سورة الواقعة ، آية (٨٣) .
(٦) سورة الواقعة ، آية (٨٥) .
(٧) في ل : وعند الجمهور معناه .

القول في سورة الحديد

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[١] هو ونظائره كقوله عز وجل : ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾[٢] ، ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾[٣] ، ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾[٤] إسناد للإحياء والإماتة إلى القدرة ، وأما توجيهه عقلاً ، فإن الروح عالم لطيف يقال : إن الملائكة لا ترى الروح كما أن نحن لا نرى الملائكة ، فذلك العالم اللطيف إذا شابك هذا العالم الجسماني الكثيف حركه وصرفه فعد حيًا ، وإذا فارقه عد ميتًا ، وإذا لم يحله ابتداءً سمي مواتًا ، ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[٥] .

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾[٦] أي هو الأزلي الأبدي ، فالأول هو الذي لم يسبق وجوده عدمه ، والآخر من[٧] لم يلحق وجوده عدمه .

﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾[٨] هو عند الجمهور ظاهر بآثاره الدالة عليه ، باطن بذاته إذ لا يصل الحس ولا الوهم إليه ، وعند الاتحادية هو باطن

---

(١) سورة الحديد ، آية (١) .
(٢) سورة الإسراء ، آية (٤٤) .
(٣) سورة النور ، آية (٤١) .
(٤) سورة الحديد ، آية (٢) .
(٥) سورة الإسراء ، آية (٨٥) .
(٦) سورة الحديد ، آية (٣) .
(٧) سقط من ل .
(٨) سورة الحديد ، آية (٣) .

ظاهر بحسب الأطوار والمظاهر ، فإذا تطور ظهر ، وإذا لم[١] يتطور بطن ، أو هو ظاهر بحسب تحريكه للعالم ، باطن بحسب سريانه في الوجود سريان الماء في العود .

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢] استدل به الجمهور على أن ظهوره/ [٤١٢/ل] وبطونه بحسب آثاره وعلمه .

والاتحادية على أنهما بحسب ذاته السارية في العالم ، ولذلك علم كل شيء لتخلله الأشياء بذاته ، وهكذا الخلاف في قوله -عز وجل: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[٣] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٤] بذاته عندهم ، وبعلمه عند الجمهور .

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْ﴾[٥] احتج بها الجمهور على أن أبا بكر أفضل من علي ؛ لأن أبا بكر كان موسرًا مثريًا[٦] ، فأنفق وقاتل قبل الفتح ، [وكان عليّ][٧] فقيرًا لا مال له ينفقه قبل الفتح ، وإنما حصل له القتال فقط . ففاز أبو بكر عليه بمجموع الوصفين ، ولم يحصل لعلي إلا أحدهما .

واعترضت الشيعة بأن قالوا : لا نسلم أن أبا بكر كان موسرًا ، والمنقول عندنا خلاف ذلك ، سلمناه لكن لا نسلم أنه أنفق شيئًا لا

---

(١) سقط من ل .

(٢) سورة الحديد ، آية (٣) .

(٣) سورة الحديد ، آية (٤) .

(٤) سورة الحديد ، آية (٤) .

(٥) سورة الحديد ، آية (١٠) .

(٦) في م : منفقًا .

(٧) في ل : عليّ كان .

قبل الفتح ولا بعده ، سلمناه لكن لا نسلم أن عليًا كان فقيرًا ، لأنه نهض في المغازي والحروب مع /[١٩٩أ/م] النبي - صلى اللَّه عليه وسلم- في أوائل الناس ، ولم يزل يغنم ويفاء عليه وينفل ، وقال : كنت إذا سألت النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - أعطاني ، وإذا تركت ابتدأني ، وقد كان له سهم من تلك الغنائم والأنفال ، وهي كثيرة جدًا وبدون ذلك يثرى المثري ، كيف وقد روي عن علي أنه قال : إن[١] زكاة مالي اليوم أربعون ألفًا ، رواه أحمد في المسند ، وهذا يقتضي أن ماله بلغ ألف ألف وستمائة ألف ، ومن هذا ماله كيف يكون فقيرًا ، وكثرة ماله لا تنافي زهده في الدنيا ؛ لأن الزهد[٢] راجع إلى احتقار الدنيا وعدم الاكتراث والاحتفال وتعلق الهمة بها ، وذلك لا ينافي حصولها ، ولا يشك في زهد داود وسليمان وكانا ملكين ، وملك سليمان الدنيا ، فمن زعم والحالة هذه أن عليًا كان فقيرًا ، فقد كابر .

غاية ما في هذا[٣] الباب أنه كان يؤثر بماله ، فيمر عليه الوقت [بعد الوقت][٤] ولا شيء له ، ثم يفتح عليه عن قريب[٥] ، وكانت ثروته بعد [تزوجه بفاطمة][٦] فلا ينافيها دفعه لها درعه الحطمية مهرًا ، سلمنا أنه كان فقيرًا فلم ينفق قبل الفتح لكن ما ذكرتموه يقتضى أن ما بعده في الفضيلة [عندكم من العشرة][٧] وغيرهم ممن

---

(١) سقط من ل .

(٢) في ل : الزاهد .

(٣) سقط من ل .

(٤) سقط من ل .

(٥) في ل : من قرب .

(٦) في ل : تزويجه فاطمة .

(٧) في م : عندهم كالعشرة .

كان موسرًا فأنفق وقاتل قبل الفتح أفضل منه كطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وغيرهم ، كلهم كانوا موسرين ، وكلهم أنفق وقاتل قبل الفتح ، فيلزمكم أنهم أفضل من عليّ لما عللتم به ، وهو خلاف مذهبكم ، ثم ما ذكرتموه لو دل لكان معارضًا بقوله -عز وجل- : ﴿ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(١) / [٤١٣/ل] وهو يقتضي أن الأكثر جهادًا أفضل ولا يشك منصف(٢) عالم أن عليًا كان(٣) أكثر جهادًا من أبي بكر وأحسن أثرًا فيه ، وأشهر أيامًا ، وأكثر قتلى مشهورين وغيرهم ، فيكون أفضل بهذا الاعتبار .

والكلام في هذه المسألة من الطرفين طويل(٤) ، وهذا حظ هذه الآية منه .

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾(٥) لعل هذا دليل على قوله - عز وجل - :﴿ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾(٦) في أول السورة ، إذ لم يذكر

(١) سورة النساء ، آية (٩٥) .

(٢) في ل : مصنف .

(٣) سقط من ل .

(٤) أما الإنفاق فقد تواتر عن أبي بكر الصديق في الصحاح والمساند والتفسير ، والفقه ، والكتب المصنفة في إنفاقه حتى قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر» وقال : «إن أمن الناس علينا في صحبته وذات يده أبو بكر» وهذا الإنفاق المتواتر الذي تعرفه العامة والخاصة ، وقد أعتق رقابًا مسلمة اشتراها وأعتقها : بلالاً وعامر بن فهيرة ، وسبعة أنفس ، وفي الصحيح : (إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر: صدقت ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي» ، وأما مسألة الجهاد فسبق أن التدبير والدعوة إلى الله أفضل أقسام الجهاد ، وأفضل من الطعن والضرب ، ولذا كان حظ النبي - صلى الله عليه وسلم - منهما أعلى من حظه من الثالث ، وأبو بكر معه في كل ذلك ، وإن كانت هذه الآية في الجملة تدل على فضيلة ، لكن لا تدل على المفاضلة بين من أنفق قبل الفتح ، فكثير من الصحابة يدخل في هذا ، وتفاضلهم بأمور أخرى ، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه (خ).

(٥) سورة الحديد ، آية (١٧) .

(٦) سورة آل عمران ، آية (١٥٦) .

دليله هناك ، وهو الدليل المشهور بالقياس على إحياء الأرض .

﴿ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ ﴾(١) يحتج به على أن الجنة موجودة قبل الساعة خلافًا للمعتزلة ، وقد سبقت المسألة في أوائل البقرة .

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾(٢) يدل على أن دخول الجنة بالفضل المحض ، وهو على ضربين :

أحدهما : من يتفضل اللّه - عز وجل - عليه بدخولها بمجرد السابقة من غير عمل / [١٩٩ب/م] أصلاً .

والثاني : من يتفضل عليه بالتوفيق لعمل صالح ، ثم يرتب له على ذلك دخول الجنة ، وفي أيهما أفضل خلاف متجه ، وجه تفضيل الأول أنه فقير محض وضيف للكريم محض ، ليس له سبب يشركه مع كرم الكريم ، بخلاف صاحب العمل ؛ فإنه ربما عرض له عمله مع الكرم فيكون نقصًا في الرتبة ؛ ولأن نسبة الأول إلى الثاني نسبة الضيف المحض إلى صاحب الهدية ، والكريم أشد عناية بضيفه المحض من غيره .

ووجه تفضيل الثاني أنه امتثل الأوامر وقام في خدمة الآمر ، فكان أفضل من البطال القاعد والكسلان المتقاعد ، ولا نسلم أن مثل هذا يرى عمله مع الكرم ، لأن الحق سبحانه أول ما يوفق من يتفضل عليه للمعرفة والتبصير بآفات الأعمال ، فلا يرى غير كرم ذي الجلال ، وأما صاحب الهدية فهو ضيف خاص فهو أفضل من الضيف المجرد ، أوفر حظًا من العناية به(٣) .

---

(١) سورة الحديد ، آية (٢١) .

(٢) سورة الحديد ، آية (٢١) .

(٣) زيادة من ل .

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ﴾[١] إلى : ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾[٢] الآية هي عظيمة النفع لمن تأملها في التعزية عن المصائب ولحوق المكاره ، وتنبني على ذلك[٣] مقدمات :

الأولى : أنه -عز وجل- أزلي العلم .

الثانية : أنه -عز وجل- عام العلم بما كان وما[٤] يكون ، وما هو كائن من كليات العالم وجزئياته .

الثالثة : أن ما سواه -عز وجل- ممكن لذاته .

الرابعة : أن الممكن لذاته قد يكون محالاً لغيره ، بأن يتعلق العلم الأزلي بوقوعه ، فيجب أو بعدمه فيمتنع .

إذا ثبتت[٥] هذه المقدمات فالعارف بها يعلم أن مصائبه واجبة الوقوع ، وكل واجب الوقوع لا ينبغى أن يحزن لوقوعه كالممتنعات ، ألا ترى أن العاقل لا يحزن لكون الجبل لم ينقلب له ذهبًا ، أو ماء البحر لبنًا أو[٦] عسلاً ، أو أحجار الجبال كتبًا نافعة ونحو ذلك لعلمه بامتناع ذلك عادة ، فكذلك ينبغي ألا يحزن/[٤١٤/ل] لمصيبة أو مكروه لحقه[٧] ؛ لأن عدم وقوع ذلك كان ممتنعًا .

واعلم أن الإنسان بين خير يرجوه أو شر يتوقعه ، وكل واحد

---

(١) سورة الحديد ، آية (٢٢) .

(٢) سورة الحديد ، آية (٢٣) .

(٣) في ل : ذلك على .

(٤) في م : أو بما .

(٥) في ل : ثبت .

(٦) في م : و .

(٧) بعده في م : أو .

منهما إما أن يحصل أو يفوت ، فهي أربعة ، فما كان من ذلك واجب الحصول فهو ممتنع الفوات ، وما كان ممتنع الحصول فهو واجب الفوات ، والممتنع لا ينبغي أن يحزن على فواته ، والواجب لا يفرح بحصوله ، إذ لا بد منه ، فالحزن أو الفرح المتعلق به تحصيل الحاصل ، وما كان ممكن[1] الحصول والفوات لذاته فهو يرجع إلى أن يكون واجب الحصول أو ممتنعه لغيره ، فتلخص أن الإنسان دائر بين أمر واجب الحصول من خير أو شر ، وأمر ممتنع الحصول من خير أو شر ، وكلاهما لا يليق الحزن عليه ولا /[٢٠٠أ/م] الفرح به، اللَّهم إلا أن يتعلق بالحزن أو الفرح استدعاء شرعي فيكون ذلك من باب القربة[2] التكليفية ، وعند هذا يظهر سر قوله - صلى اللَّه عليه وسلم- «**لا يؤمن أحدكم**» أو[3] «**لا يكمل إيمانه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه**»[4] .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾[5] إلى :﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ ﴾[6] الآية إشارة إلى أن[7] كتاب الشريعة ، وسيف السياسة رضيعا لبان وفرسا رهان ، لا يستغني أحدهما عن الآخر ، فكتاب بلا سيف كال ،

---

(١) في ل : يمكن .

(٢) في ل : القرب .

(٣) في ل : و .

(٤) رواه أبو داود من حديث عبادة (٤/ ٢٢٥) (٤٧٠٠) ، ورواه الترمذي من حديث جابر (٤/ ٤٥١) (٢١٤٤) وقال : وهذا الحديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون وابن ميمون منكر الحديث . ورواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عمرو (٢/ ٥٦٩) (١٩٧٦) ، وفي الكبير من حديث سلمان موقوفًا (٦/ ٢٢٠) (٦٠٦٠) . والقضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٦٤) .

(٥) سورة الحديد ، آية (٢٥) .

(٦) سورة الحديد ، آية (٢٥) .

(٧) سقط من ل .

وسيف بلا كتاب ضال ، ويستدل بذلك على نفوذ أحكام البغاة والخوارج والأئمة[١] الفجرة ونحوهم ؛ لأن الحكم الشرعي المرشد والسيف السياسي المنفذ إذا اجتمعا وجب نفوذ[٢] الحكم في طريقه ، فلا وجه لتعويقه .

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[٣] احتج به أبو حنيفة على أن النفل يلزم بالشروع ؛ لأنه -عز وجل- ذم أتباع المسيح على تركهم رعاية ما شرعوا فيه مما لم يكتب عليهم ، وهو عين لزوم النفل بالشروع .

وهذا استنباط حسن ، ولذلك ذكرناه وإن لم يكن [من موضوع][٤] هذا التعليق ، لكن إنما يتم الاستدلال به بعد ثبوت مقدمتين :

إحداهما : أن الاستثناء في ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[٥] منقطع وهو خلاف الأصل ، وإذا ثبت أنه متصل ، اقتضى أنها بعد ابتداعهم إياها عقدًا كتبت [ ][٦] ابتغاء رضوان اللَّه -عز وجل- ثم شرعوا فيها فعلاً ، وحينئذ يكون ذمهم على ترك رعايتها ذمًّا على ترك واجب شرعوا فيه ثم أهملوه ، لا على نفل شرعوا فيه كذلك .

---

(١) في ل : وأئمة .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة الحديد ، آية (٢٧) .

(٤) في ل : في موضع .

(٥) سورة الحديد ، آية (٢٧) .

(٦) ما بين المعكوفين في م : « عليهم إلا » .

الثانية : أن شرع من[١] قبلنا شرع لنا ؛ لأن ما ذكره تقريع على ذلك ، فإن لم تثبت هذه المقدمة جاز أن يكون ذلك حكم شرعهم دون شرعنا ، فلا يلزمنا حكم شرعهم ، ولا التأسي بهم .

(١) في ل : ما .

القول في سورة المجادلة [٤١٥/ل]

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾[(١)] إلى :﴿ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾[(٢)] فيه إثبات صفة السمع ووقوعه بالفعل من الله - عز وجل - وقد سبق .

﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾[(٣)] فيه ضبط الأعمال وحفظها والمقابلة عليها .

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾[(٤)] الآية ، معناه بعلمه ﴿ هو معهم﴾[(٥)] لاكتناف ذكر العلم ما قبل ذلك وبعده[(٦)] ، [وبذاته السارية به في الوجود عند الاتحادية ./[٢٠٠ ب]][(٧)]

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[(٨)] قد يحتج به على استواء الإيمان والعلم في حصول الدرجات ؛ لترتب[(٩)] حصولها على كل واحدٍ منهما ، وذلك فيما إذا فرض مؤمن ضعيف العلم ، وعالم ضعيف الإيمان بعد اشتراكهما في أصل الإيمان ،

---

(١) سورة المجادلة ، آية (١) .

(٢) سورة المجادلة ، آية (١) .

(٣) سورة المجادلة ، آية (٦) .

(٤) سورة المجادلة ، آية (٧) .

(٥) سورة المجادلة ، آية (٧) .

(٦) هذا جيد ، و «مع» مع تدل على مطلق المقارنة والمصاحبة ، ويتحدد معناها من السياق ، فهي هنا للعلم وفي قوله : ﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ للتأييد والنصرة ، ونحو ذلك (خ).

(٧) سقط من ل .

(٨) سورة المجادلة ، آية (١١) . ولفظة ﴿منكم﴾ ساقطة من ل .

(٩) في م : لترتيب .

فيكونان متساويين ، وفيه نظر . أما مؤمن غير عالم ، وعالم غير مؤمن أصلاً ، فلا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، والمؤمن ناج والعالم هٰهنا هالك .

﴿ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾[(١)] نسخت بالتي بعدها إلى غير بدل ، ويحتج به على أن النسخ ليس من شرطه المنسوخ إليه وهو البدل ، وقد سبق تعلق الشيعة بها في أنه لم يعمل بهذه الآية إلا عليّ ، وأنه دليل على أنه كان أشدهم[(٢)] طلبًا للعلم ، وأكثرهم تحصيلاً منه .

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾[(٣)] أي : بوسوسته ، وخالق النسيان فيهم هو اللّه -عز وجل- وهم كاسبوه .

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[(٤)] فيه أن مودة العصاة حرام ، ثم إن كانت مودة فاسق لفسقه فهي فسق أو كافر لكفره فهي كفر ، أما ودهما لسبب[(٥)] آخر دنيوي أو صفة أو خلق حسن كعلم يكتسب منهما ، أو سخاء أو شجاعة فيهما فيرجى عفو اللّه -عز وجل- عن ذلك ، وإن لا يؤاخذ ، ويكون عموم الآية مخصوصًا بهذا .

﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾[(٦)] أي : أثبته ورسمه في

---

(١) سورة المجادلة ، آية (١٢) .

(٢) في ل : أشدّ .

(٣) سورة المجادلة ، آية (١٩) .

(٤) سورة المجادلة ، آية (٢٢) .

(٥) في ل : بسبب .

(٦) سورة المجادلة ، آية (٢٢) .

قلوبهم ثبوت[١] الكتابة ورسمها في المكتوب فيه ، ويحتمل أن المراد : أوجبت[٢] في قلوبهم خلق الإيمان ، وكتب يكون بمعنى أوجب نحو : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ [٣]﴾[٤] ونحوه ، والمعنى أن قوة إيمانهم أوجبت لهم إيثار اللَّه -عز وجل- على غيره حتى أقرب أقاربهم ، فأبغضوا في اللَّه -عز وجل- وأحبوا في اللَّه -عز وجل- ومن فعل ذلك فقد استكمل الإيمان .

﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[٥] أي قواهم بإعانة وعناية منه ، وقيل : الأرواح أربعة : روح الحياة مشتركة بين[٦] جميع الحيوان ، وروح الإيمان يختص به المؤمن على الكافر ، وروح الولاية ، وروح النبوة كل مختص بروحه ومؤيديه ، ومنه : ﴿وَأَيَّدْنَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[٧] فإذا زنى المؤمن أو سرق خرج منه روح الإيمان ، فكان عليه كالظلة ، فإذا/[٤١٦/ل] أقلع عاد إليه ، وهو معنى قوله - صلى اللَّه عليه وسلم - : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[٨] الحديث ؛ لأن بخروج روح الإيمان عنه[٩] /[٢٠١أ/م] خرج عن وصف الإيمان

---

(١) في م : بثبوت .

(٢) في ل : أوجب .

(٣) في ل : عليهم القصاص .

(٤) سورة البقرة ، آية (١٨٣) .

(٥) سورة المجادلة ، آية (٢٢) .

(٦) في ل : في .

(٧) سورة البقرة ، آية (٨٧) .

(٨) رواه البخاري في « صحيحه » كتاب المظالم ، باب : النهي بغير إذن صاحبه حديث (٢٤٧٥) وأطرافه في (٥٥٧٨) (٦٧٧٢) (٦٨١٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان باب : بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية حديث (٥٧) من طرق عن أبي هريرة .

(٩) في ل : منه .

الكامل ، فيرجع حاصله إلى أنه لا يزني وهو كامل الإيمان ، وإلا فلو قتله حال الزنا أفضل المؤمنين أُقِيدَ به ، ولو خرج بالزنا عن الإيمان بالكلية[١] لما كان كذلك .

(١) سقط من ل .

القول في سورة الحشر

﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾[١] أي : أتاهم بأسه وأمره ، عند الجمهور ، وأتاهم بذاته عند الاتحادية ؛ لأنه سارٍ فيهم بذاته ، فلما غضب عليهم ظهر لهم بمظهر البأس والغضب فأهلكهم ، والصواب أنه حرك عليهم جنده بخلق دواعي الجهاد في قلوبهم فأهلكوهم ، وقذف في قلوبهم الرعب بما خلق فيها من الأسباب الموجبة لذلك .

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[٢] احتج مثبتو القياس بهذه الآية ، وتقريره أن الاعتبار مأمور به والقياس اعتبار ، فالقياس مأمور به ، أما الأولى فلهذه الآية ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟﴾[٣] وأما الثانية : [فإن القياس عبور][٤] بالحكم من الأصل إلى الفرع ، كما أن الاعتبار عبور بالنظر من حال الحاضر إلى حال الغائب ، فصحَّ أن القياس اعتبار وثبت أن القياس مأمور به ، وإن شئت قلت : القياس اعتبار ، والاعتبار مأمور به ، والتقرير كما سبق . وهذا أجود ؛ لأنه من الشكل الأول ، واعترض عليه بوجوه :

أحدها : لا نسلم أن القياس اعتبار ؛ لأنه إن أريد ذلك لغة فالقياس في اللغة إنما هو التقدير نحو : قست الثوب بالذراع ، أي :

---

(١) سورة الحشر ، آية (٢) .

(٢) سورة الحشر ، آية (٢) .

(٣) سورة الحشر ، آية (٢) .

(٤) في م : فلأن عبور .

قدرته ، وإن أريد اصطلاحًا فهو في الاصطلاح : حمل معلوم على معلوم ، أو إلحاق غير المنصوص به بجامع مشترك ، ولقائل أن يقول : الحمل والإلحاق هو معنى الاعتبار .

الثاني : قولكم : الاعتبار مأمور به ، إن عنيتم بعض الاعتبار صارت كبرى قياسكم جزئية فلم تنتج وهو ظاهر ، وإن عنيتم أن كل اعتبار مأمور به لم نسلم هذه الكلية ؛ لأن قوله -عز وجل- : ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ﴾[(١)] ليس بعام ، بل هو مطلق لا عموم له ، فلا يقتضي عموم الأمر بالاعتبار ، إنما يقتضى الأمر باعتبار ما ، وذلك لا يلزم منه الأمر بالقياس .

الثالث : أن سياق الآية لا يقتضي إثبات القياس ؛ إذ قوله -عز وجل- : ﴿يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[(٢)] لا يناسب : فقيسوا السمسم على البر في منع التفاضل في البيع ، وإذا لم يكن الكلام منتظمًا لم يجز نسبته إلى القرآن .

الرابع : لو دلت هذه الآية على القياس/[٤١٧/ل] ،/[٢٠١ ب/ م] لدل قوله - عز وجل - : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[(٣)] عليه وما في معناه ، وهو بعيد لتوغله في العموم ، فلا يدل على القياس إلا على بعد .

الخامس : ما ذكرتموه من الدليل لو دل لكان عندنا ما يعارضه ، وهو أن القياس إنما يفيد الظن ، والظن لا يجوز اتباعه في أحكام الله -عز وجل- ولأنا مأمورون عند التنازع والاختلاف بالرجوع إلى الله -

---

(١) سورة الحشر ، آية (٢) .

(٢) سورة الحشر ، آية (٢) .

(٣) سورة آل عمران ، آية (١٣) .

عز وجل- ورسوله ، والقياس ليس كذلك ، وقد سبقت هذه المعارضة وجوابها .

واعلم أن القياس في الفروع دليل قوي جيد ، غير أن هذه الآية[(١)] لا تدل عليه إلا دلالة ضعيفة من وراء وراء .

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[(٢)] هذا عام مطرد إلا ما خص منه بنسخ أو غيره ، وهو أصل كبير وقاعدة كلية في استخراج الأحكام من الكتاب بواسطة السنة ، وهو مقدمة كبرى في كل[(٣)] قياس حكم أردنا إثباته بأن نقول : هذا الحكم آتاناه الرسول، وكل ما كان كذلك لزمنا الأخذ به ، أو هذا الحكم[(٤)] نهانا عنه الرسول ، وكل ما كان كذلك لزمنا اجتنابه ، ومتى ثبتت الصغرى بالسنة أو نحوها فالكبرى ثابتة بهذه الآية ، مثاله أن نقول : إفراد الإقامة ، وصحة الصوم مع الأكل ناسيًا ، وجواز الخروج من النوافل بعد الشروع فيها - أحكام آتاناها الرسول ؛ وكل ما آتاناه الرسول نحن مأمورون بالأخذ به ، فهذه الأحكام نحن مأمورون بالأخذ به ، وكذلك نقول : بيع الغرور وبيع الكلب والسنور نهانا عنه الرسول [وكل ما نهانا عنه الرسول][(٥)] لزمنا الانتهاء عنه ، فهذه البيوع يلزمنا الانتهاء عنها ، وتقرير[(٦)] الصغرى بالأحاديث الواردة فيها ، وقد اعتمد السلف على هذه القاعدة في استخراج الأحكام ، فلما لعن ابن مسعود

---

(١) سقط من ل .

(٢) سورة الحشر ، آية (٧) .

(٣) بعده في م : قياس .

(٤) في م : حكم .

(٥) سقط من ل .

(٦) في م : وتقرر .

النامصة ونحوها ، أنكرت عليه أم يعقوب - امرأة من الأنصار - وقالت : «قد قرأت ما بين الدفتين فلم أجد لعنة من لعنت ، فقال : إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه ، ألم تسمعي قول اللّه -عز وجل- : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[١] ؟ ولقد سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - يلعن النامصة والمتنمصة [والواشرة والمستوشرة][٢] المغيرات لخلق اللّه - عز وجل - أو كما قال ، ونظم قياسه هكذا : لعن هذه جاء به الرسول ، وكل ما جاء به الرسول شرع الأخذ به ، فلعن هذه شرع الأخذ به ، وكذلك حكي عن الشافعى- رضى اللّه عنه- أنه جلس في المسجد / [٢٠٢أ/م] يفتي وقال : لا تسألوني عن شيء إلا جئتكم[٣]/[٤١٨/ل] به من كتاب اللّه -عز وجل؟ فقال له رجل : أين حكم قتل المحرم الزنبور في كتاب اللّه - عز وجل- فقال الشافعي[: قال اللّه عز وجل][٤] : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[٥] الآية[٦] ، ثم روى بإسناده عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم- أنه قال : « **خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم** »[٧] منها الحية والعقرب ، والزنبور مثلهما فيقتل ولا شيء فيه ، وهذا دليل مركب من نص كتاب وسنة وقياس ، وشبيه بهذا الدليل في كليته وعمومه

---

(١) سورة الحشر ، آية (٧) .

(٢) في ل : والواشمة والمستوشمة ، وهما بمعنى واحد.

(٣) في ل : جئتكم .

(٤) سقط من ل .

(٥) سورة الحشر ، آية (٧) .

(٦) سقط من ل .

(٧) رواه البخاري في صحيحه : كتاب جزاء الصيد ، باب : ما يقتل المحرم من الدواب (٤/ ٤٢/رقم:١٨٢٩) . ومسلم في صحيحه بشرح النووي : كتاب الحج ، باب : ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم (٨ / ١٦١ / رقم ٦٨ - ١١٩٨)

قوله - صلى اللّه عليه وسلم - : « **من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردّ** »[١] إذ هو مقدمة كبرى في كل حكم أردنا إبطاله ، بأن يقال : هذا الفعل أو هذا الحكم عمل ليس عليه أمر الشرع ، وكل ما ليس عليه أمر الشرع فهو مردود ، فهذا الفعل مردود . و[٢] مثاله الوضوء غير المنوي ، والنكاح بلا ولي ، وبيع الغائب والفضولي ، كل واحد منها ليس عليه حكم الشرع فيكون مردودًا ، ويحتاج أيضا إلى تقرير الصغرى بدليلها ، والكبرى ثابتة بهذا الحديث ، ثم الحديث راجع إلى مادة الآية المذكورة ؛ إذ معنى قوله - صلى اللّه عليه وسلم - : « **من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو ردّ** » : ما أتيتكم فخذوه وما نهيتكم عنه فاجتنبوه كما[٣] صرح به في حديث آخر .

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾[٤] إلى : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥] استدل به مالك على كفر الرافضة ، ووجهه أن ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾[٦] متعلق بقوله - عز وجل - : ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٧] ثم قال - عز وجل - ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ﴾[٨] وعطف عليهم : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ

---

(١) رواه البخاري ، في صحيحه ، كتاب الصلح ، حديث (٢٦٩٧) ، ورواه مسلم ، كتاب الأقضية (١٧١٨) .

(٢) سقط من م .

(٣) زيادة من ل .

(٤) سورة الحشر ، آية (٨) .

(٥) سورة الحشر ، آية (١٠) .

(٦) سورة الحشر ، آية (٨) .

(٧) سورة الحشر ، آية ، آية (٧) .

(٨) سورة الحشر ، آية (٨) .

﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾[١] وهم الأنصار ، ثم عطف ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾[٢] بشرط أن يستغفروا لمن قبلهم من إخوانهم السابقين لهم بالإيمان ، والرافضة خارجون عن الأصناف الثلاثة ، فليس القوم مهاجرين ولا أنصارًا ولا مستغفرين لمن سبقهم بالإيمان ، بل يسبون السلف ويبغضونهم ، فإذن لا حظّ لهم في الفيء ، وكل من لا حظ له في الفيء كافر ، إذ الفيء حق المسلمين ، فمن لا حق له فيه ليس بمسلم ، وأجابت الشيعة [لعنهم اللّه][٣] بأن ﴿لِلۡفُقَرَآءِ﴾ لو كان متعلقًا بما أفاء اللّه لكان بدلاً منه ، ولو كان بدلا منه لزم صرف الفيء عن الجهات الست[٤] المنصوص عليها في المبدل منه إلى عموم الثلاث المذكورة في البدل ، وهم المهاجرون والأنصار /[٢٠٢ب/م] والتابعون لهم لا غير ، وإنه باطل ؛ إذ فيه إسقاط خصوص تلك الجهات الست فيبقي ذكرها/[٤١٩ل] لغوًا ، ولأن ظاهر الآيات يختص بقوم ماضين وهم : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾[٥] ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾[٦] ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾[٧] فلا يتناول من يتجدد ، ثم حاصل نظم الدليل المذكور أن الرافضة لا حظ لهم في الفيء ، وكل من لاحظ له في الفيء كافر ، والأولى ممنوعة ؛ لأن اللّه - عز وجل - أضاف الفيء إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وهو يتناول الرافضة كغيرهم ، فهذه الدعوى على

(١) سورة الحشر ، آية (٩) .
(٢) سورة الحشر ، آية (١٠) .
(٣) سقط من ل .
(٤) سقط من ل .
(٥) سورة الحشر ، آية (٨) .
(٦) سورة الحشر ، آية (٩) .
(٧) سورة الحشر ، آية (١٠) .

خلاف القرآن ، فلا تسمع .

والثانية : باطلة بعبيد المسلمين ، إذ لا حظ لهم في الفيء وليسوا كفارًا ، وإذا تقرر هذا الجواب ، وجب حمل قوله -عز وجل- : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ الآيات ، على مدح مستأنف لهذه الفرق غير متعلق بما قبله ، نحو : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ صفة الصدق بدليل آخر الآية ، أو غير ذلك من التأويل[١] .

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾[٢] الآية ، تدل على أن من خاف غير اللّه -عز وجل- فليس بفقيه بل هو جاهل ؛ لأن الخوف إنما يكون من شر أو ضرر يلحق واللّه - عز وجل - هو خالق كل شيء ، شر وخير ونفع وضير ، لا يكون شيء من ذلك إلا بإذنه ، فمن خاف معه غيره فتوحيده مدخول ، وإنما[٣] يطرأ ذلك على الإنسان لنقص في توحيده أو غلبة من طبعه عليه .

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[٤] ذهب قوم إلى أن هذا يقتضي عموم نفي المساواة بين الفريقين من كل وجه ، حتى أدرجه

(١) حاصل هذا البحث لم يلق محله ؛ لأن استدلال الإمام مالك صحيح من حيث إن الفيء للجهات الست من المسلمين مهاجرين وأنصار ومن جاء بعدهم مستغفرًا لهم ، فليس الفيء لذوي القربى الحربيين ولا المساكين من الكفار ، فإن الفيء للمسلمين ممن كان مهاجريًا أو أنصاريًا أو جاء بعدهم بشرط محبتهم ، وما ذكروه من العبيد لا ينتهض ، لأنه مستثنى بدليل خارجي ، وهذا واضح ، وليت المصنف كان قد علق عليه بدل أن يجعله هكذا مرسلًا عنهم ، وتكفير الرافضة باعتبار العقائد ، وأما الأفراد فلابد من استيفاء الشرط وانتفاء المانع ، كما هو معلوم مقرر في التوحيد ، وقد سئل شيخ الإسلام عن التزوج برافضية فذكر أنه يكره لئلا تفسد عليه ولده ، ولو كان الرافضة بأعيانهم عنده كفارًا لما صحح النكاح ، وقال : (يكره) بل لقال : (باطل) وانظر مجموع الفتاوى (٣٢/ ٦١) وانظر رسالة محمد رشيد رضا- الطبعة الثانية ص (٢٥٦-٢٥٧) (خ).

(٢) سورة الحشر ، آية (١٣) .

(٣) في ل : فإنما .

(٤) سورة الحشر ، آية (٢٠) .

تحته أن الذمي لا يكافئ المسلم ليقتل به . وذهب آخرون إلى أنه لا يقتضي العموم ، وقد انتفت المساواة بينهما في أحكام كثيرة ، ولا دليل على عدم التساوي بين المسلم والذمي في القصاص حتى تندرج تحت نفي التسوية المستفاد[١] من الآية ، فيقتل المسلم بالذمي لثبوت المكافأة بينهما بدليل منفصل ، وهو ما سبق في البقرة .

حاصل الأمر أن نفي التسوية في هذه الآية عام ، فيتناول نفي التسوية بينهما في القصاص ، أو مطلق فلا يتناول ، والظاهر أنه عام ؛ لأن قولنا : لا يستوي فلان وفلان ، معناه : لا استواء بينهما ؛ إذ الفعل يدل على المصدر ، وهو الاستواء ، فهو نكرة في سياق نفي فتعم ، والخصم يقول : إن قولنا : لا يستوي فلان وفلان - أعم من أن يكون من كل جهة ، أو من جهة خاصة ، بدليل قبوله للاستفسار والتقسيم/[٢٠٣أ/م] بأن يقال : هل هما لا يستويان مطلقًا أو من بعض الجهات ، وأن يقال : إذا كانا لا يستويان فلا يخلو إما ألا يستويا من كل جهة أو من بعض الجهات دون بعض؟ ولو اقتضى عموم نفي المساواة بينهما لما قيل ذلك .

وقد رجع/[٤٢٠/ل] الخلاف إلى أن صيغة لا يستويان هل تقتضي عموم نفي التسوية أو نفي عموم التسوية ، والفرق واضح بين عموم السلب وسلب العموم ، فعموم سلب الحقيقة يمنع ثبوت شيء من أفرادها ، وسلب عموم الحقيقة لا يمنع ثبوت بعض أفرادها ، وقد ظهر ذلك في قوله :

قد أصبحت أم الخيار تدَّعي علَيَّ ذنبا كلُّه لم أصنع

برفع كله[٢] على عموم السلب وبنصبه على سلب العموم ، وقوله

(١) في م : المستفادة .
(٢) سقط من ل .

- صلى اللَّه عليه وسلم- في حديث ذي اليدين : « **كل ذلك لم يكن**»[(١)] برفع كل لا غير على عموم السلب ؛ لأنه أراد نفي النسيان وقصر الصلاة جميعًا ، وقول الشاعر :

.... وما كل من وافى مِنَى أنا عارف

على سلب العموم ، والفرق بينهما من جهة التركيب أن العموم والسلب أيهما تقدم لفظه أضفته إلى الآخر ، فإن تقدم لفظ العموم على أداة السلب ، فهو عموم السلب كما في الحديث ، وإن تقدم لفظ السلب فهو سلب العموم كالبيت الأخير ، وأما البيت الأول فيحتملهما ، بناء على أن تقديره : كله لم أصنعه[(٢)] أو لم أصنع كله ؛ فعلى الأول : هو عموم سلب الصنع ، وعلى الثاني : هو سلب عموم الصنع وعلى هذا التقدير[(٣)] ربما ظن أن لا يستوي كذا وكذا من باب سلب العموم لتقدم حرف السلب ، وليس كذلك ، والفرق بينهما أن سلب العموم شرطه أن يدخل حرف السلب على لفظ عام تحته متعدد ، فإذا سلب عمومه بقي الحكم في بعض أفراده ، نحو : لم أضرب كل الرجال بخلاف لا يستويان ؛ فإن حرف السلب دخل[(٤)] في المعنى على ماهية الاستواء فنفاها ، والماهية من حيث هي هي لا تعدد فيها ولا اتحاد فلم يبق بعد سلبها شيء يثبت له الحكم ، فلهذا قلنا : إن صيغة لا يستوي كذا وكذا ، من باب عموم السلب لا سلب العموم ، وهذا بحث استطردناه بديهة فلك النظر

---

(١) مسلم (١/ ٤٠٤) (٥٧٣) ، وحديث ذي اليدين رواه البخاري أيضًا (١/ ٢٥٢ ، ٤١١ ، ٤١٢) (٦٨٢ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠) .

(٢) في م : أصنع .

(٣) في م : التقرير .

(٤) في ل : داخل .

فيه[١] .

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٢] هذا خرج مخرج المبالغة في تعظيم القرآن وغفلة الكفار عنه ، أي أن هذا القرآن عظيم تتصدع[٣] لسماعه الجبال ، وأنتم عنه غافلون ، فهو كقوله - عز وجل - : ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[٤] .

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾[٥] الآية ، إلى ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ /[٢٠٣ب/م] ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[٦] هذا مع إمكان خشوع الجبال وتصدعها من خشية اللّه -عز وجل- إذا اقترنت بها إرادة ذلك ، ويشهد لذلك وقوعه ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[٧] . [٤٢١/ل]

---

(١) هذا بحث أصولي جيد ، إلا أنه إذا حملت على المآل ، فإن القول بأنها على عموم السلب لو سلمناه فمن أين لنا أن فلانًا اليهودي أو النصراني لا يموت على الإسلام ، فإن الآية في (أصحاب الجنة) و (أصحاب النار) والعبرة في ذلك بالخاتمة -نسأل اللّه حسنها- وعليه فلا استدلال بالآية على مسألة القصاص المذكورة ، سواء كانت لعموم السلب أو لسلب العموم ، لعدم إمكانية معرفة أهل الجنة من أهل النار على اليقين ، إلا من شهد له الشرع بعينه وقوله - صلى اللّه عليه وسلم -: « توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار» يدل على ذلك لأن أوشك من أفعال المقاربة ، فلا يقين في ذلك ، واللّه تعالى أعلم (خ) .

(٢) سورة الحشر ، آية (٢١) .

(٣) في ل : تنصدع .

(٤) سورة ص ، آية (٦٧) .

(٥) سورة البقرة ، آية (٧٤) .

(٦) سورة البقرة ، آية (٧٤) .

(٧) سورة الأعراف ، آية (١٤٣) .

القول في سورة الممتحنة

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾[(١)] هذا بتقليب القلوب بما يخلق فيها من دواعي الصلح والمودة والصوارف عن البغضاء والعداوة .

﴿ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ ﴾[(٢)] يحتج به على أن الظن نوع علم ؛ لأن الامتحان إنما يفيد الظن وقد سمي علمًا بدليل ﴿عَلِمْتُمُوهُنَّ ﴾[(٣)] .

وجوابه أنه -عز وجل- أطلق العلم على الظن مجازًا ، وقد سبق نظيراه في «سبحان» و «يوسف» .

﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[(٤)] الآية ، فيه النهي عن موالاة الكفار وكل مغضوب عليه ، وأن الكفار آيسون من الآخرة لاحظ لهم فيها ، وأنهم[(٥)] آيسون من الموتى لإنكارهم البعث ، بخلاف المؤمنين فإنهم يرجون التلاقي في الآخرة ، كما حكي عن الشيخ أبي الوفاء بن عقيل البغدادي[(٦)] أنه مات له ولد فوجد عليه ، فقال في أثناء وجده عليه : لولا رجاء التلاقي في الآخرة لانصدعت

---

(١) سورة الممتحنة ، آية (٧) .

(٢) سورة الممتحنة ، آية (١٠) .

(٣) سورة الممتحنة ، آية (١٠) .

(٤) سورة الممتحنة ، آية (١٣) .

(٥) في ل : فإنهم .

(٦) في ل : القول في .

قلوب المحبين عند فراق أحبتهم ، أو كما قال .

القول في][*] سورة الصف

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[1] فيه أن خلف الوعد ونقض العهد والتفريط فيما التزم من حقوق الإيمان من الكبائر ؛ لأن اللَّه -عز وجل- جعل ذلك مقتًا كبيرًا والمقت أشد البغض ، وقد نزل ذلك منزلة نكاح زوجة الأب ، والجدال في آيات اللَّه -عز وجل- بغير سلطان ، إذ وصفهما بالمقت .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[2] فيه إثبات رسالة المسيح وشهادته وبشراه برسالة محمد - صلى اللَّه عليه وسلم - وهذا موجود[3] في فصل الفارقليط من إنجيل يوحنا ، ذكر النبي - صلى اللَّه عليه وسلم- بصفاته [على ما قررناه هناك][4] .

(*) سقط من ل .

(١) سورة الصف ، آية (٣) .

(٢) سورة الصف ، آية (٦) .

(٣) في ل : موصوف .

(٤) سقط من ل .

القول في سورة الجمعة

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[١] الأمي الذي لا يحسن الكتابة، نسب إلى الحالة التي ولدته عليها أمه، وقيل: إلى غالب أمة الناس، لأنهم كذلك، وفيه شهادة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بأنه كان أميًا تحقيقًا لمعجزه[٢] الفرقاني، ردًا على من يتوهم أنه كان كاتبًا، وإنما /[٢٠٤أ/م] كتم أمره، وقد أكد ذلك تسليم أعدائه كونه أميًا، وقال ﷺ: «**إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب**»[٣].

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ /[٤٢٢/ل] ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾[٤] أي: لم يقوموا بما فيها تكلفًا[٥] ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾[٦] يدل على أن مقصود العلم العمل، وأن العلم بلا عمل بلادة وجهل.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[٧] سبق في البقرة.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ﴾[٨] أي: لا محيص لكم عنه، ولات حين مناص منه؛ لأنه إما طبيعي يضعف[٩]

(١) سورة الجمعة، آية (٢).
(٢) في ل: لمعجزة.
(٣) رواه البخاري، كتاب الصوم حديث (١٩١٣)، ومسلم، كتاب الصيام (١٠٨٠).
(٤) سورة الجمعة، آية (٥).
(٥) في ل: تكليفًا.
(٦) سورة الجمعة، آية (٥).
(٧) سورة الجمعة، آية (٧).
(٨) سورة الجمعة، آية (٨).
(٩) في م: تضعف.

القوة عن إخلاف ما يتحلل من البدن ، أو عرضي بقتل أو غرق أو هدم أو طاعون ونحوه من الأسباب ، فمن تخطاه العرضي تلقاه الطبيعي ، والجميع بتقدير العزيز العليم سبحانه وتعالى .

القول في سورة المنافقين

﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[١] أي في دعواهم اعتقاد رسالتك والشهادة بها ، لا في قولهم : إنك لرسول الله . وقد سبق تقريره .

ويحتج به[٢] من يرى أن الكلام معنى قائم بالنفس ؛ لأن تكذيبهم راجع[٣] إلى أمر قام بنفوسهم ، لا إلى ما ظهر على ألسنتهم ، والتكذيب من لواحق الخبر الكلامي ؛ فدلّ على أن ما قام بنفوسهم كلام[٤] .

ويجاب بأنا لا نسلم أن التكذيب راجع[٥] إلى معنى قام

---

(١) سورة المنافقون ، آية (١) .

(٢) سقط من ل .

(٣) في م : رجع .

(٤) هذا مخالف للغة العرب ، فالكلام ما كان حرفًا وصوتًا كما في حديث معاذ : «وهل يكب الناس على وجوههم في النار ، أو قال : على مناخرهم إلا حصائد «ألسنتهم» جوابًا على قوله :«**أو إنا مؤاخذون على ما نتكلم به** » وحديث النفس لا يدخل في ذلك .
وقوله - صلى الله عليه وسلم - : «**إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وقد أحدث ألا تكلموا في الصلاة**» وحديث النفس لا يبطلها ، والآية إنما كذبتهم في كلامهم القولي المسموع منهم بصوت وحرف في قولهم : (نشهد) وهو كلام ظاهر كذبوا فيه ، فليس شهادتهم مطابقة للواقع ؛ لأنهم لم يشهدوا بذلك شهادة إيمان وإنما ذكروا ذلك نفاقًا وطغيانًا فهم لم يشهدوا بذلك لخبث بواطنهم ، وعلى وجه آخر أقوى منه ، فإن التكذيب لا يختص بالخبر الكلامي فقوله - صلى الله عليه وسلم -:«والفرج يصدق ذلك ويكذبه» متعلق بالزنا وليس خبرًا كلاميًا ، وكذلك يقابل تصديق القلب بالتكذيب وليس متعلقه خبرًا كلاميًا ، والله أعلم (خ).

(٥) في م : رجع .

بنفوسهم ، بل إلى دعواهم ظاهرًا أو[١] اعتقاد الرسالة باطنًا ، فما رجع التكذيب إلا إلى خبر لساني لا نفساني .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾[٢] قد يظن ظان أن الإيمان جزء[٣] علة الطبع على قلوبهم ، وليس كذلك ، بل كفرهم المستعقب لإيمانهم هو علة ذلك .

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٤] فيه إشارة إلى ترك ملاحظة الأسباب الظاهرة وتعلق الآمال بما في الغيب من الخزائن الإلهية ، لا أقول قطع الأسباب ، بل ترك الاعتماد عليها ، والناس إما متعاط للأسباب معتمد عليها محجوب بها عن المسبب ، وهم العامة ، أو لا متعاط لها ولا معتمد عليها ، بل حجب عنها برؤية مسببها - عز وجل - وهم الخاصة ، أو متعاط لها غير معتمد عليها وهو شبيه بمن قبله ، وربما سمي متوكلاً ، أو معتمد عليها غير متعاط لها ، وهو الكسلان المتمني الأماني .

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾[٥] فيه انحتام الآجال فلا تأثير فيها لغيرَ الكبير المتعال ؛ خلافًا لما مرّ عن أهل الاعتزال .

---

(١) سقط من ل .

(٢) سورة المنافقون ، آية (٣) .

(٣) في ل : جزّ .

(٤) سورة المنافقون ، آية (٧) .

(٥) سورة المنافقون ، آية (١١) .

القول في سورة التغابن

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾(١) / [٢٠٤ب/ م] يحتمل أن المراد : خلقكم متصفين بالكفر والإيمان ، فيحتج به الجمهور ؛ لأن خالق الموصوف هو خالق الصفة ، ويحتمل أن المراد : خلقكم ثم منكم من كفر ومنكم/[٤٢٣/ ل] من آمن ، فيتنازعها الفريقان : الجمهور والمعتزلة ، بناء على كسب الأفعال وخلقها على ما عرف(٢) .

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾(٣) هذه شبهتهم المعروفة في إنكار الرسل ، وقد سبقت .

﴿ فَكَفَرُواْ ﴾(٤) أي : بإنكار الرسالة ﴿وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾(٥) أي (٦): عنهم وعن معارفهم(٧) وعباداتهم .

﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾(٨) لكماله وتنزهه عما يحتاج إليه غيره . وقد سبقت المسألة .

---

(١) سورة التغابن ، آية (٢) .
(٢) بعده في ل : به .
(٣) سورة التغابن ، آية (٦) .
(٤) سورة التغابن ، آية (٦) .
(٥) سورة التغابن ، آية (٦) .
(٦) سقط من ل .
(٧) في م : معازفهم .
(٨) سورة التغابن ، آية (٦) .

﴿ حَمِيدٌ ﴾[(١)] أي : محمود ليس كغيره من الأغنياء ، يفعل مع غناه ما يستحق به الذم ، بل اللَّه - عز وجل - يسدي الجميل والمعروف العام والخاص ، فهو الذي يستحق الحمد .

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ ﴾[(٢)] أي : ادعوا ذلك دعوى لا تحقق لها : ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾[(٣)] أمر وأثبت وأقسم وأكد البعث باللام في أوله والنون في آخره ، ﴿وَذَٰلِكَ﴾[(٤)] أي : البعث ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[(٥)] وقد سبق برهانه وتوجيهه في عدة مواضع .

﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ ﴾[(٦)] أي : يغبن فيه أهل الجنة أهل النار بما يفوز به هؤلاء ويفوت هؤلاء ، ويرث أهل الجنة أهل النار على ما سبق بيانه .

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ ﴾[(٧)] إن قيل : الإيمان إنما يترتب على هدى القلب ، فلو ترتب هدى القلب على الإيمان لزم الدور ، وإنه محال .

ويجاب عنه بأن المراد : من يؤمن باللَّه يزد قلبه هدى وبه ينقطع الدور .

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[(٨)] فيه أن

---

(١) سورة التغابن ، آية (٦) .
(٢) سورة التغابن ، آية (٧) .
(٣) سورة التغابن ، آية (٧) .
(٤) سورة التغابن ، آية (٧) .
(٥) سورة التغابن ، آية (٧) .
(٦) سورة التغابن ، آية (٩) .
(٧) سورة التغابن ، آية (١١) .
(٨) سورة التغابن ، آية (١٣) .

التوكل قرين التوحيد ونتيجته ، ومن أكبر مقاماته ، والتوكل هو التفويض إلى اللّه - عز وجل - مع ترك الاعتراض .

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[١] ناسخ لقوله - عز وجل - : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾[٢] أو مخصص له .

(١) سورة التغابن ، آية (١٦) .

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٠٢) .

القول في سورة الطلاق

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ﴾[١] مثل : ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾[٢] ، أي : إذا أراد أمرًا بلغه بقدرته ولطيف حكمته وتصرفه في القلوب وغيرها ، وبالجملة بكمال قدرته على كل شيء .

ويحتج به الجمهور على أنه - عز وجل - إذا أراد شخصًا للنار تصرف فيه بطريق الإجبار .

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ [إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ][٣] فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٍ ﴾[٤] يحتج به على أن الأقراء الحيض ، وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد ؛ لأنها مأمورة أن تعتد بثلاثة قروء ، ثم جعلت الأشهر بدلاً عن الحيض هٰهنا ، فدل على ما قلنا .

وينتظم القياس هكذا : الأشهر بدل عن الحيض بهذه الآية ، والأشهر بدل عن الأقراء بالإجماع ، فالحيض هي الأقراء / [٢٠٥أ/م] ، فالأقراء هي الحيض .

واحتج الشافعي ومالك على أنها الأطهار بقوله - عز وجل - : ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[٥] مع [قول النبي][٦] ﷺ : « مره فليراجعها/

---

(١) سورة الطلاق ، آية (٣) .

(٢) سورة يوسف ، آية (٢١) .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة الطلاق ، آية (٤) .

(٥) سورة الطلاق ، آية (١) .

(٦) في ل : قوله .

[٤٢٤/ل] **ثم ليدعها حتى تطهر ، ثم تحيض ، [ثم تطهر]**[(١)] **، ثم ليطلقها إن شاء ، فتلك العدة التي أمر اللّٰه أن تطلق لها النساء»**[(٢)] ، وتلك إشارة إلى الطهر ؛ لأنه الأقرب ذكرًا ، وليس بالقوي ؛ لأن الإشارة إلى الحيضة المحتوشة بالطهر .

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ﴾[(٣)] خصّ به عموم العدة بالأقراء ، وبأربعة أشهر وعشرًا .

﴿قَدۡ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١٠﴾ رَّسُولٗا﴾[(٤)] قيل : الذكر هو الرسول ؛ لتفسيره به بدلاً منه . وقيل : الذكر القرآن ، والمعنى أنزل ذكرًا وأرسل[(٥)] رسولاً ، أو على حذف المضاف ، أي : ذا[(٦)] ذكر رسولاً .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾[(٧)] قيل : المثلية في عظمة الخلق وأثر القدرة . وقيل : في الكمية ، أي : ومن الأرض سبع مثلهن . والأشبه إرادة الأمرين ؛ لأن الأرضين عظيمة الخلق وهن سبع لقوله ﷺ : **« من ظلم شبرًا من أرض طوقه [يوم القيامة]**[(٨)] **من سبع أرضين ، أو**[(٩)] **خسف به إلى سبع أرضين»**[(١٠)] .

---

(١) في ل : فتطهر .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق ، باب : قول الله تعالى : ﴿يَٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ : (٩ / ٢٥٨ / رقم : ٥٢٥١). وأخرجه مسلم في كتاب الطلاق : (١٠ / ٨٨ / رقم : ١٤٧١) .

(٣) سورة الطلاق ، آية (٤) .

(٤) سورة الطلاق ، آية (١٠ : ١١) .

(٥) في ل : وأنزل .

(٦) في م : إذا .

(٧) سورة الطلاق ، آية (١٢) .

(٨) سقط من ل .

(٩) في ل : و .

(١٠) الرواية الأولى أخرجها البخاري في كتاب : المظالم ، باب : إثم من ظلم شيئا من=

﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١] هذا تعليل لخلق السماوات والأرض بعلم[٢] المكلفين كمال قدرة اللّه - عز وجل - وعلمه ، أي خلق ذلك لتعلموا ، فإن يكن الأمر كذلك فتحته سر عجيب ، وإلا فاللام للعاقبة ، أو للأمر ، أي : اعلموا ذلك ، أو خلقهن لتكون عاقبتكم العلم بكمال القدرة بواسطة النظر ، والأشبه الأول .

= الأرض ، حديث (٢٤٥٣) (٥/١٠٣) ، وطرفه في (٣١٩٥) . ومسلم في كتاب : البيوع ، باب : تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها ، حديث (١٤٢/١٦١٢) (١١/٧١) كلاهما من حديث عائشه - رضي الله عنها - وفي الصحيحين في نفس الموضع عن غيرها من الصحابة .

والرواية الثانية أخرجها البخاري في كتاب : بدء الخلق ، باب : ما جاء في سبع أرضين ، حديث (٣١٩٦) (٦/٢٩٢ - ٢٩٣) .

(١) سورة الطلاق ، آية (١٢) .

(٢) في ل : يعلم .

القول في سورة {لم تحرم}(*)

﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ ﴾(١) تعلقت الرافضة [لعنهم اللّه](٢) بذلك على عائشة وحفصة ؛ لأنهما تظاهرتا على الرسول ، والتظاهر على الرسول حرام ، وبسبب هذا التظاهر وإفشاء سره غضب وآلى(٣) من نسائه شهرًا معتزلاً لهن ، وقيل : قد طلق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم نساءه(٤) .

قوله عز وجل : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾(٥) قيل : أبو بكر وعمر . وقيل : عليّ ، والصواب أنه أعم من ذلك ، وهو كل من جمع صفتي الإيمان والصلاح ، ومولاه ناصره بقرينة مقابلته بـ ﴿تظاهرا عليه﴾ ، وترتيب هذه الآية يقتضي أن الأنبياء أفضل

(*) في ل : التحريم .

(١) سورة التحريم ، آية (٤) .

(٢) سقط من ل .

(٣) في ل : فآلى .

(٤) أهل السنة يقولون : أصحاب الذنوب من الصحابة تابوا منها ، ورفع اللّه درجاتهم بالتوبة . فعلى تقدير أن يكون هذا التظاهر ذنبًا لعائشة وحفصة ، فيكونان قد تابتا منه ، وهذا ظاهر قوله : ﴿ **إن تتوبا إلى اللّه فقد صغت قلوبكما**﴾ فدعاهما إلى التوبة ، فلا يظن أنهما لم يتوبا مع ما ثبت من علو درجتهما ، فهما زوجتاه في الدنيا والآخرة ، وقد خيرن بين الحياة الدنيا وزينتها وبين اللّه ورسوله والدار الآخرة ، فاخترن **اللّه** ورسوله والدار الآخرة ، والذنب يغفر ويعفى عنه بالتوبة وبالحسنات الماحية والمصائب المكفرة ، وهذا شأن جميع الصحابة حتى على بن أبي طالب يظن به لما رأى إيذاء النبي - صلى اللّه عليه وسلم - في خطبته ابنة أبي جهل أنه ترك الخطبة ظاهرًا وباطنًا ، وتاب بقلبه عما كان طلبه وسعى فيه ، وكذلك أهل الحديبية لما تأخروا عن أمر رسول اللّه تابوا ، وكل هؤلاء يرفع اللّه درجتهم بالتوبة ، بحيث يكونون كمن لم يذنب ، بل ربما أفضل حالاً ، واللّه أعلم(خ) .

(٥) سورة التحريم ، آية (٤)

من خواص الملائكة ؛ لتقدم ذكر النبي صلى اللَّه عليه وسلم على جبريل ، وخواص الملائكة كجبريل أفضل من عامة البشر ، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة ، غير أن العطف فيها بالواو ، وهي لا تقتضي ترتيبًا .

﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] فيه/[٤٢٥/ل] عصمة الملائكة كما مر .

﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى / [٢٠٥ب/م] ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[2] أي : خالصة لا رياء فيها لأحد . وقيل : ﴿ نَّصُوحًا﴾[3] لا معصية بعدها ، وفيه إيجاب التوبة[4] ؛ لأنها بمنزلة التدارك والجبر لما أضيع من حق الرب - عز وجل .

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾[5] الآية ، زعمت الرافضة [لعنهم اللَّه][6] أنه تعريض بعائشة وحفصة ، وأنهما كامرأتي نوح ولوط في النار لتظاهرهما على رسول اللَّه ﷺ وأذاهما له ، وزعموا [لعنهم اللَّه][7] أن عائشة رضى اللَّه تعالى عنها كان بينها وبين عثمان شيء ، فنزع لها بهذه الآية معرضًا بها ، فحقدت عليه ، ثم لم تزل تؤلب الناس عليه حتى قتلوه ، ثم إنها ندمت مع كراهتها إمرة[8] عليّ ،

(١) سورة التحريم ، آية (٦) .
(٢) سورة التحريم ، آية (٨) .
(٣) سورة التحريم ، آية (٨) .
(٤) في ل : للتوبة .
(٥) سورة التحريم ، آية (١٠) .
(٦) سقط من ل .
(٧) سقط من ل .
(٨) في ل : امرأة .

فخرجت تطلب بثأره .

وأجاب الجمهور : بأن هذا كله لم يكن منه شيء وهو كذب مختلق ، وإجماع أهل الحق على أنهما زوجتاه في الجنة لا يعارضه شيء مما ذكروه .

القول في سورة الملك

﴿ خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾[١] فيه تعليل الأفعال .

﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾[٢] أي : خلل واضطراب وخروج عن وجه الحكمة .

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾[٣] هذه حكمتان لخلق النجوم : زينة وحراسة .

والثالثة[٤] : الهداية يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، كما قال الشاعر :

فيها معالم للهدى ومصابح   تجلو الدجى والأخريات رجوم

ولعل الإشارة بكونها مصابيح إلى اهتداء الخلق بها كما يهتدي بالمصباح ، فتكون الآية قد جمعت فوائد النجوم الثلاث .

﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾[٥] الآية ، احتج به[٦] المرجئة على[٧] أنه لا يدخل النار إلا كافر ، وأن لا عذاب على

---

(١) سورة سورة الملك ، آية (٢) .
(٢) سورة سورة الملك ، آية (٣) .
(٣) سورة سورة الملك ، آية (٥) .
(٤) في م : والثابتة .
(٥) سورة سورة الملك ، آية (٨) .
(٦) في ل : بها .
(٧) زيادة من ل .

أهل الإيمان طائع ولا عاص ، بناء على أن الإيمان حسنة لا تضر معها سيئة ، وعكسه ؛ لأن الله - عز وجل - أخبر أن[١] كل فوج يلقى فيها يعترف بالكفر .

والجواب : أن المعنى : كلما ألقي فيها فوج من الكفار سئلوا فاعترفوا بالكفر بدليل ما قبله .

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾[٢] ثم استطرد ذلك في وصف حال الكفار .

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[٣] الآيتين ، احتج به الفريقان ، أما الجمهور فلنفيهم عن أنفسهم السمع والعقل ، وما ذاك إلا لما خلق في قلوبهم من دواعي الكفر/[٤٢٦/ل] والصوارف عن الإيمان ، فصاروا مجبورين جبرًا عقليًا .

وأما المعتزلة فلقوله - عز وجل - : ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ﴾[٤]/[٢٠٦أ/م] ولو كان خالقًا لأفعالهم أو جابرًا لهم لما كان لهم ذنب .

وجوابه[٥] : بل الذنب لهم باعتبار كسبهم أو خلقهم على تقدير التفويض إليهم .

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾[٦] فيه تقديران : أحدهما : أن « من » فاعل أي[٧] ألا يعلم الخالق مخلوقه .

(١) سقط من ل .
(٢) سورة الملك ، آية (٦) .
(٣) سورة الملك ، آية (١٠) .
(٤) سورة الملك ، آية (١١) .
(٥) في ل : والجواب .
(٦) سورة الملك ، آية (١٤)
(٧) زيادة من ل

والثاني : أنها مفعول أي : [ألا يعلم هو من خلق ، أي :][1] ألا يعلم هو مخلوقه ، فالفاعل مضمر على هذا ، والمفعول محذوف على الأول .

ويحتج به على أمور :

أحدها : أن خلق الشيء يستلزم العلم به ، أي : أن العلم من لوازم الخلق ؛ لأن معنى الآية : إن سركم وجهركم مخلوق لي فكيف لا أعلمه ، وهو يفيد ما قلنا ، ولأن خلق الشيء يستلزم القصد إليه ، والقصد إليه يستلزم العلم به وبغايته .

فإن قيل : هذا ينتقض بالنحل والعنكبوت والنمل ونحوها يفعل أفعالاً محكمة ، ولا قصد لها فلا علم لها .

فالجواب[2] من وجهين :

أحدهما : أن الكلام في الخلق الاختراعي ، وهذه الأشياء لا خلق لها ، بل أفعالها وغيرها مخلوقة للَّه - عز وجل .

الثاني : أنها تقصد إلى فعلها وتعلم غايته بإلهام من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، ونعلم قطعًا أن النحل لولا علمها بمنفعة بيتها وأنه يصلح لسكناها إياه لما بينه .

الأمر الثاني : أنه - عز وجل - عالم بكليات الأشياء كالأجناس والأنواع والأصناف بالإجماع ، أما علمه بالجزئيات كالأعيان الشخصية فأثبته المتكلمون ، [ونفاه الفلاسفة][3] .

---

(١) سقط من ل .
(٢) في ل : والجواب .
(٣) سقط من ل .

[احتج المتكلمون][1] بأن الجزئيات مخلوقة له - عز وجل - وكل مخلوق معلوم ، أما الأولى فبالإجماع على أن لا خالق غير اللَّه -عز وجل- وأما الثانية فلما مر من أن العلم بالشيء من لوازم خلقه ؛ ولأن المخلوق عالم بالجزئيات ، فلو لم يكن الخالق عالمًا بها لكان المخلوق أكمل منه ، وإنه محال .

احتج الفلاسفة بأنه - عز وجل - لو علم الجزئيات للزم[2] وقوع التغير في ذاته ، واللازم باطل فالملزوم كذلك ؛ بيان الملازمة أن العلم حصول صورة المعلوم في ذات العالم ، والجزئيات تتغير وتنتقل أحوالها ، فلو علمها لحصل في ذاته بحسب كل حال من أحوال الجزء صورة غير صورته بحسب الحال الأخرى ، وذلك يقتضي تغاير صور الجزئيات على ذاته ، وأما بطلان اللازم فللإجماع[3] والبرهان على أن ذاته - عز وجل - لا يلحقها التغير ؛ ولأنه إذا كان زيد في المسجد علمه كذلك ، فإذا خرج زيد فإن استمر علمه أنه في المسجد لزم انقلاب العلم الأزلي جهلاً ، وإنه محال ، وإن/[٤٢٧/ل] لم يستمر لزم التغير في / [٢٠٦ب/م] ذاته وإنه محال ، وهذا بخلاف الكليات ، فإنها لا تتغير فلا يلزم من العلم بها التغير في ذاته ، عز وجل .

والصواب : أن هذا كله مبني على أن العلم حصول صورة المعلوم في ذات العالم وهو ممنوع عندنا ، وإنما العلم إضافة نسبية تعليقية[4]

---

(١) سقط من ل .

(٢) في ل : لزم .

(٣) في ل : فبالإجماع .

(٤) في م : تعليقة .

بين العالم والمعلوم أعني : تعلق[١] العلم بالمعلوم والإضافة أمر عدمي ؛ فالتغير الحاصل من العلم بالجزئيات واقع في تلك الإضافة العدمية ، لا في الذات الإلهية ، بمعنى أن تعلق العلم بكون زيد في المسجد غير تعلقه بكونه خرج منه ، أو نقول : إن العلم الأزلي تعلق بأحوال زيد المتغايرة في أوقاتها ، فتعلق بكونه في المسجد وقت كذا ، وبكونه خارجًا عنه وقت كذا ، وبكل حال يندفع المحذور الذي ذكرتموه ، ولا يلزم ما ألزمتموه [٢] .

الأمر الثالث : أن المخلوق كالإنسان لا يخلق شيئًا لا أفعاله ولا غيرها ؛ لأنه قد تقرر أن العلم بالشيء من لوازم خلقه ، فلو خلق الإنسان فعله مثلاً لعلمه جملة وتفصيلاً ، كمًّا وكيفًا وغاية ، لكن اللازم باطل ؛ إذ نرى الإنسان يتكلم كلامًا لا يعلم عدد حروفه ولا كلماته ولا خواص تركيبه ومعانيه ، ويمشي مشيًا لا يعلم عدد خطواته ، ولا ما تنتهي إليه غايته .

وعلى هذا النمط جميع أفعاله لا يعلم تفاصيلها ؛ فدل على أنه غير خالق ، وإنما غايته أن يكون كاسبًا ، ومن هذا أن الأبوين[٣] لا يخلقان الولد لعدم علمهما بذاته وغايته جملة وتفصيلاً .

---

(١) في ل : تعليق .

(٢) الجواب الصحيح هو ما ذكره الحبر ابن عباس في قوله : ﴿لنعلم﴾قال (لنرى) ومعنى ذلك أن الله تعالى علم ما سيكون قبل أن يكون ، فإذا كان علمه كائنًا ، وهو الذي تتعلق به الرؤية ، فإنها تتعلق بالموجود لا المعدوم ، فهو سبحانه علمه سيقع ، ثم لما وقع علمه واقعًا وهو العلم الذي تقوم به الحجة على العباد ومسألة قيام الحوادث بالرب تعالى التي يدندنون حولها ، كلهم واقع فيها على اختلاف فرقهم كما ألزمهم بذلك الرازي في الأربعين ، حتى المعتزلة القائلين بالتجدد والأشاعرة في قولهم بالنسخ وأنه رفع ، كل هؤلاء يلزمهم ما فروا منه ، وليس في إثبات الأفعال لله على ما يليق به إلا اتباع المعقول والمنقول والآثار والأخبار ، والله تعالى أعلم(خ) .

(٣) في ل : الأبوان .

[﴿ وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾[١] دل على أن لا رازق سواه ، والخصم يمنع ذلك ويقول : بل أمرهم أن يأكلوا من رزقه ، وهو الحلال ، لا من رزق غيره وهو الحرام الذي يرزقونه أنفسهم بالأسباب الباطلة والأكساب الخبيثة ، وقد سبق القول في ذلك .

﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٢] أي : المرجع ، وهو إثبات للحشر والمعاد .

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾[٣] الآيتين ، يحتج بهما من أثبت الجهة ؛ لأنه إنما توعدهم بفعله ، وقد أخبر أنه في السماء .

وأجاب الخصم بأنه لا يلزم من توعدهم بفعله أن يكون في السماء لجواز أن يكون الفعل له بأمره والمباشر له ملائكة السماء كما يقال في الشاهد ، لمن جنى جناية : أأمنت من في القلعة أن يعاقبك ، وقد يكون الذي في القلعة نائب السلطان أو بعض جنده ، والسلطان لعله حينئذ في البر أو البحر ، أو لا يدرى أين هو .

واعلم أن ظاهر الآية مع مثبتي الجهة ، وإنما الخصم / [٢٠٧أ/م] يعارضهم بالدليل القاطع عنده فيحتاج إلى تأويلها .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ﴾[٤] الآية ، اختلف في كيفية إمساك الطير فوقهم ، فعند][٥] [المتكلمين : لأنه - عز وجل - خلق له آلة التماسك في الهواء أو[٦] القوة عليه .

---

(١) سورة الملك ، آية (١٥) .

(٢) سورة الملك ، آية (١٥) .

(٣) سورة الملك ، آية (١٦) .

(٤) سورة الملك ، آية (١٩) .

(٥) سقط من ل .

(٦) في م : و .

وعند الفلاسفة : لأنه - عز وجل - غلب فيه الاسطقص أي : العنصر الهوائي فخف بخفة الهواء فتماسك ، كما غلب في البهائم الجزء الترابي ؛ فثقلت فرسبت ولزمت الأرض .

وعند الاتحادية : أنه سرى فيها بذاته فحملها في الهواء ، فحركتها تابعة لحركته ، فهي في الحركة تابعة لا مستقلة ، وإليه الإشارة بقوله عز وجل : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾[١] كما صرح به ابن العربي في « الفصوص » .][٢]

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾[٣] الآية ، تدل على أن لا رازق سواه - عز وجل - لأنها تضمنت أنه - عز وجل - إن رزق فلا ممسك ، وإن أمسك فلا رازق ، وهو دليل الاستبداد بالرزق ، وليس لأهل الاعتزال إلا أن يتأولوه على أن أمسك رزقه الحلال ، وهو تمحل ومحال .

---

(١) سورة هود ، آية (٥٦) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سورة الملك ، آية (٢١) .

القول في سورة ﴿ن﴾

﴿ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[١] يعني الملائكة الكرام الكاتبين والسفرة الكرام البررة .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[٢] الآية لأنه الذي خلق ضلالهم وهداهم ، ألا يعلم من خلق .

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾[٣] الآيات يحتج بهذه القصة على ما يذكره الفقهاء من المعاقبة بنقيض القصد ، كالقاتل مورثه يمنع الإرث ، والمطلق زوجته في مرض موته تورث منه ، والفار من الزكاة بحيلة لا تسقط عنه ؛ لأن أصحاب الجنة قصدوا حرمان المساكين فحرموا .

﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ﴾[٤] فيه أن إتلاف المال ومناقضة/[٤٢٨/ل] القصد ضرب كبير من العذاب ؛ لأن ذلك يؤلم النفس جدًّا ، وعذاب النفس أشد من عذاب البدن .

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[٥] اختلف في الساق ؛ فعند المحدثين ومن تابعهم : هي صفة للّه - عز وجل -

---

(١) سورة القلم ، آية (١) .
(٢) سورة القلم ، آية (٧) .
(٣) سورة القلم ، آية (١٧) .
(٤) سورة القلم ، آية (٣٣) .
(٥) سورة القلم ، آية (٤٢) .

يكشف عنها يوم القيامة ، فيسجد لها المؤمنون . وجاء في الحديث : «**فيكشف عن ساقه فيخرون سجدًا** »[(١)] وعند غيرهم أن ذلك تجسيم ، فتأولوه على شدة الأمر ذلك اليوم ، كما يقال : كشفت الحرب عن ساقها ، وقامت الحرب بنا على ساق .

.... وإن شمرت يومًا له الحرب شمرا

[قالوا : وما ذهب إليه / [٢٠٧ب/م] المحدثون لا يستقيم إلا على رأي الاتحادية ، وهو أن اللّه - عز وجل - يظهر بمظاهر الأجسام ، فحينئذ يصح أن يكون له ساق يكشفها][(٢)] .

وأجاب المحدثون : بأن هذا إنما يلزمنا أن لو أثبتنا الساق جارحة جسمانية ، ونحن إنما نثبتها صفة للّه - عز وجل - على ما يليق به ، ولا يلزمه[(٣)] منه نقص بوجهٍ ، وهكذا قولهم في سائر نصوص الصفات ، كما سبق .

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[(٤)] الآيتين ، يعني ذا النون ، وهو يونس بن متى - عليه السلام - فيقال : إن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية ؛ قال : « **لا تفضلوني على يونس ؛ من قال : أنا خير من يونس بن متى فقد كذب** »[(٥)] خشية أن يطمع طامع بهذه الآية فيغض من منصب يونس ، فحسم النبي ﷺ هذه المادة .

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٦٧) حديث (١٨٣) . وأصله عند البخاري (٥/ ٢٤٠٣) حديث (٦٢٠٤) .

(٢) سقط من ل .

(٣) في ل : يلزم .

(٤) سورة القلم ، آية (٤٨) .

(٥) ليس لفظ الحديث : «لا تفضلوني على يونس» بل لفظه : «لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس» يعني المتكلم ، وكذا في قوله : « من قال أنا خير من يونس فقد كذب» والنبي - صلى اللّه عليه وسلم - لا يفخر على أحد ، بل ليبين منزلة الأنبياء ، وليس=

وقيل : إنه قال ذلك قبل أن يعلم أنه خير من يونس وغيره . وقيل : قال ذلك في مقام التواضع ، والإنسان له مقامان[١] مقام تواضع يهضم فيه حق نفسه كهذا المقام ، ومقام افتخار يستوفي حق نفسه أو بعضه فيه[٢] ، كقوله ﷺ : « **أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[٣] وعلى نحو هذا تأولت الشيعة [لعنهم الله][٤] قول علي - رضي الله عنه - : « خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ، ولو شئت سميت الثالث » وقوله لابن الحنفية في نحو هذا : ما أبوك إلا رجل من المسلمين .

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[٥] قد علم أن لولا تقتضي امتناع الشيء لوجود غيره ، والذي امتنع هاهنا لوجود النعمة هو نبذه بالعراء مذمومًا لا مجرد نبذه بالعراء وهو الصحراء ، لأنه قد وجد بدليل : ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[٦] فدل على أنه نبذ بالعراء مجردًا عن صفة الذم ، بدليل : ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٧] ومن يكون مجتبى صالحًا لا يكون مذمومًا ، وسقط بهذا [التعلق عن][٨] يونس عليه الصلاة والسلام .

= بعده من يبين منزلته بينهم فقال : «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » ثم أتبع ذلك بقوله : «ولا فخر» فمعنى الحديث هو رفع قدر يونس وأن الرجل مهما كان صالحًا فلا يظنن أنه سيكون بعمله أفضل من نبي كريم ، وهو يونس ، وإنما الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال على نحو قوله : ﴿**لو أشركت ليحبطن عملك**﴾ ، والنبي لا يشرك (خ) .

(١) في ل : مقامات .

(٢) زيادة من ل .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب : تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (٣) (٢٢٧٨) . وأبو داود في كتاب السنة ، باب : في التخيير بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٤٦٧٣) .

(٤) سقط من ل .

(٥) سورة القلم ، آية (٤٩) .

(٦) سورة الصافات ، آية (١٤٥) .

(٧) سورة القلم ، آية (٥٠) .

(٨) في ل : التعليق على .

القول في سورة الحاقة

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[١] هذه نفخة البعث في وقتها الخاص ، بدليل تنزل الملائكة وظهور عرش الرحمن - جل جلاله - وإلا فقد سبق أن النفخات ثلاث[٢] : نفخة الفزع ، والصعق ، والبعث .

﴿وَٱلْمَلَكُ﴾[٣] هٰهنا اسم جنس ، والحملة : يومئذ ثمانية وقبله أربعة كما ورد ، ويستدل به على أن العرش السرير لا الملك لاستغنائه عن حاصل[٤] ، ولا تظنن أن اللّه - عز وجل - يحتاج إلى من يحمله ، بل اللّه - عز وجل - يحمل بقدرته العرش وحملته ، وإنما حملهم للعرش كأنه على جهة التعبد والخدمة والتعظيم ، على أن / [٢٠٨أ/ م] الآية إنما تضمنت حملهم للعرش لا للرب عز وجل[٥] ، فيحتاج إلى إثبات أن الرب - عز وجل - حينئذ فوق العرش بذاته ، حتى يلزم أنه محمول بواسطة حمل العرش ، لكن ذلك محل نزاع قد سبق غير مرة[٦] .

---

(١) سورة الحاقة ، آية (١٣) .

(٢) في ل : ثلاثة .

(٣) سورة الحاقة ، آية (١٧) .

(٤) في م : جليل .

(٥) زيادة من ل .

(٦) ليس هذا داخلاً في النزاع ، فليس السلف الذين قالوا : إن اللّه فوق عرشه بذاته على وفق النصوص يعتقدون أن اللّه محمول بحملة العرش - تعالى اللّه عن أن يحمله مخلوق ، بل العرش وما دونه محمول بقدرة الرب تعالى : ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع العليم**﴾ (خ).

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[١] الآيات فيها إثبات أخذ الكتب باليمين والشمال وهو علامة الفوز[٢] والهلاك .

وفيها إثبات العرض والحساب على العموم ، وحساب الكفار على الخصوص ، خلافًا لأكثر الحنابلة في أنهم لا يحاسبون .

لنا : قوله - عز وجل - : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾[٣] إلى : ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[٤] إلى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٥] وهو قاطع في حساب الكفار لقوله[٦] : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾[٧] وكذلك قوله - عز وجل - : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾[٨] إلى : ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾[٩] وكذلك : ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾[١٠] الآيات ونحوها تدل على حساب الكافر ، ولأن المقصود بالحساب تحقيق العدل ، وهو بالكافر أولى كشفًا لشبهته وإزالة لتهمته .

احتجوا بأن فائدة الحساب المقاصة ، بحيث أن من فضل له أثيب ، ومن فضل عليه عوقب ، وهذا منتف في حق الكافر ؛ إذ مع الكفر لا شيء له يفضل فالنار متعينة له بغير حساب .

---

(١) سورة الحاقة ، آية (١٩) .

(٢) في م : للفوز .

(٣) سورة الحاقة ، آية (٢٥) .

(٤) سورة الحاقة ، آية (٣٠) .

(٥) سورة الحاقة ، آية (٣٣) .

(٦) في ل : بقوله .

(٧) سورة الحاقة ، آية (٢٥ - ٢٦) .

(٨) سورة الإسراء ، آية (١٣)

(٩) سورة الإسراء ، آية (١٤) .

(١٠) سورة الكهف ، آية (٤٩)

ورووا عن ابن عمر حديثًا مرفوعًا يشير إلى ذلك .

والجواب : لا نسلم أن فائدة الحساب ما ذكرتم ، بل تحقيق العدل كما قلناه ، وهو يقتضي حسابه ، وأما حديث ابن عمر فلو كان نصًّا فيما ادعوه لما عارض ما ذكرناه من الدليل ، فكيف وليس بنص ، وفي الآيات المذكورة إثبات السلسلة ، وهو من أحكام اليوم الآخر .

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴾[(١)] فيه إثبات عالم الغيب والشهادة كما سبق تفصيله في الأنعام .

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾[(٢)] يحتج به من قال بخلق القرآن لإضافته إلى الرسول [صلى اللّه عليه وسلم بأنه][(٣)] قوله ، وعورض بما بعده : /[٤٣٠/ل] ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[(٤)] وإنما أضيف إلى الرسول باعتبار أنه مبلغ له لا منشئ مبتدئ .

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴾[(٥)] الآيات فيه تصديق النبي ﷺ فيما جاء به ونفي الكذب عنه ، وأنه لو كان متقولاً لما أقر ، ولا أهمل ولا أمهل .

---

(١) سورة الحاقة ، آية (٣٨ - ٣٩) .

(٢) سورة الحاقة ، آية (٤٠) .

(٣) زيادة من ل .

(٤) سورة الحاقة ، آية (٤٣) .

(٥) سورة الحاقة ، آية (٤٤) .

القول في سورة المعارج

﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾[١] تدل على علو وارتفاع ، ثم هل هو حسي أو عقلي ؟ على الخلاف بين مثبتي الجهة ونفاتها ؛ فيحتج مثبتوها بقوله - عز وجل - / [٢٠٨ب/م] : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[٢] .

﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا ﴾[٣] أي : خلقًا ننشئه نحو : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[٤] والتناسخية حملوه على نظيره في سورة الواقعة .

واحتجوا به وقد سبق القول عليهم] .[٥]

---

(١) سورة المعارج ، آية (٣) .

(٢) سورة المعارج ، آية (٤) .

(٣) سورة المعارج ، آية (٤٠ : ٤١) .

(٤) سورة إبراهيم ، آية (١٩) .

(٥) سقط من ل .

القول في سورة نوح

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾[١] هذا من أدلة البعث ، وهو أحسن ما مرّ بنا ؛ إذ فيه استواء الأصل والفرع في النبات ، أي هو - عز وجل - أنبتكم من الأرض أولاً ، وكذلك ينبتكم منها آخرًا ، ومعنى الإنبات الإنشاء . هو أنشأكم من الأرض مبديًا كذلك ينشئكم منها معيدًا .

﴿ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ﴾[٢] هذا من نوح كقول موسى : ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾[٣] لعله كان بوحي أو إذن .

﴿ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا ﴾[٤] يحتج به على ما مر من عرضهم على النار غدوًّا وعشيًّا ، وعذاب البرزخ ؛ لتعقيب إغراقهم بإدخالهم[٥] النار فهم الآن فيها ، وهو لا في الدنيا ولا في[٦] الآخرة بعد القيامة ، فهم في الواسطة بينهما وهي البرزخ .

---

(١) سورة نوح ، آية (١٧ - ١٨) .
(٢) سورة نوح ، آية (٢٤) .
(٣) سورة يونس ، آية (٨٨) .
(٤) سورة نوح ، آية (٢٥) .
(٥) في م : بإدخال .
(٦) سقط من ل .

القول في سورة الجن

﴿فَـَامَنَّا بِهِۦ﴾[(١)] يدل على أن في الجن مسلمين مؤمنين بالقرآن موحدين ؛ لقولهم[(٢)] : ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾[(٣)] الآيتين .

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾[(٤)] يشير إلى أن في الجن من ينكر البعث كالكفار من الإنس .

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ ﴾[(٥)] الآية ظاهرها أنهم في استراق السمع يبلغون السماء مباشرين لها بأجسامهم لمسًا ونحوه ، ويحتمل أن المراد كشفنا طريق السماء فوجدناه قد سد على مسترقي[(٦)] السمع ، وفيه أن الحرس غير الشهب ؛ لأن عطف أحدهما على الآخر يقتضي ذلك ، فالحرس ملائكة والشهب نجوم ، فيشبه أن الملك يرمي بالشهاب رمي الجندي بالنشاب .

وفيه حكاية مأثورة تقتضي ذلك .

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾[(٧)] يقتضي انقسام الجن إلى صالح وأصلح ، أو إلى صالح وطالح كالإنس .

---

(١) سورة الجن ، آية (٢) .

(٢) في ل : بقولهم .

(٣) سورة الجن ، آية (٢) .

(٤) سورة الجن ، آية (٧) .

(٥) سورة الجن ، آية (٨) .

(٦) في ل : مسترق .

(٧) سورة الجن ، آية (١١) .

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾(١) يحتج بها الشيعة [أبعدهم اللَّه من رحمته](٢) على معاوية ومن شايعه(٣) على قتال علي ؛ لأن النبي ﷺ أمره بقتال المارقين وهم الخوارج ، والناكثين وهم أهل الجمل ، والقاسطين وهم معاوية وأصحابه ، فإذن هؤلاء القاسطون بالحديث/ [٤٣١/ ل] ، والقاسطون حطب جهنم بالآية ، فهؤلاء حطب جهنم .

وأجاب الجمهور : بأنا لا نسلم صحة الحديث ، ولا أن معاوية كان من / [٢٠٩أ/ م] القاسطين ، ولو سلمناه ، لم نسلم عموم الآية في كل قاسط ، بل هي لقاسطين معهودين من الجن أو غيرهم(٤) .

﴿ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾(٥) يدل على أن النعمة قد تكون سبب الفتنة ، وأن اللَّه - عز وجل - يقصد الفتنة بالنعمة ، وهو الاستدراج [كما سبق](٦) .

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾(٧) الآية فيها فوائد :

منها : أن بعضهم ذهب إلى أن عبد اللَّه اسم من أسماء النبي ﷺ ، والصحيح أنه إضافة له بالعبودية لا اسم علم .

---

(١) سورة الجن ، آية (١٥) .

(٢) سقط من ل .

(٣) في ل : تابعه .

(٤) الحديث لا يصح ، كما ذكر ذلك ابن كثير في البداية ، ثم إن حمله على الخوارج أولى لو صح ؛ لأن عليًا أجاب قيس بن عباد بأنه لا عهد له من النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - في قتاله الذي قاتل ، وكذا أجاب عمار قيسًا بعدم العهد ، كما ثبت في صحيح مسلم وفي المسند ، ولو كان هذا العهد عنده لأبرزه ولطار به من كان معه ولأشاعه ، في حين ذكر عهد النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - له في قتال الخوارج ، ففي صحيح مسلم عشرة أحاديث في ذلك ، واللَّه تعالى أعلم (خ).

(٥) سورة الجن ، آية (١٦ :١٧) .

(٦) سقط من ل .

(٧) سورة الجن ، آية (١٩) .

ومنها : أنه ﷺ دعا الجن وتلا عليهم القرآن ، وأنهم سمعوا ذلك ، وازدحموا عليه حتى كاد يتلبد بعضهم على بعض .

ومنها : أنه ﷺ وصف بالعبودية في أشرف مقاماته وهي مقامه هذا في تبليغ القرآن ، ومقامه في إثبات نبوته بمعجز القرآن في قوله - عز وجل - : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾(١) ومقامه في الإسراء والوحي إليه في السماء في ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾(٢) ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾(٣) .

وفي نحو هذا يقول القائل :

لا تدعني إلا بيا عبدها فـإنـه أشـرف أسـمـائـي

وفي ذلك يقول(٤) علي - رضي اللّه عنه - : حسبي عزًا أن تكون لي ربًا ، وحسبي فخرًا أن أكون لك عبدًا .

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾(٥) مع ما سبق من قول موسى عليه السلام : ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾(٦) ينتظم قياسًا هكذا : مخالف الأمر عاص والعاصي معاقب ، فمخالف الأمر معاقب ، وهو يقتضي أن الأمر للوجوب .

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾(٧) دلت هذه الآية على أن بعض الرسل يظهر على بعض

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٣) .
(٢) سورة الإسراء ، آية (١) .
(٣) سورة النجم ، آية (١٠) .
(٤) في ل : قول .
(٥) سورة الجن ، آية (٢٣) .
(٦) سورة طه ، آية (٩٣) .
(٧) سورة الجن ، آية (٢٦ ، ٢٧) .

الغيوب ، ودل غيرها على أن غير الرسل قد يكاشف بشيء من ذلك ، كأهل الرياضة والخلوة والكهان مثل سطيح وشق(١) وكأهل ضرب الرمل(٢) والمنجمين(٣) في بعض الأحيان وأصحاب الرؤيا والزجر والفأل ومسترقي السمع ، وأشباههم ؛ جميع هؤلاء يظهرهم الله عز وجل على بعض غيبه ، بدليل : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾(٤) ..

﴿ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾(٥) [ظاهره أن الرصد ملائكة بين يدي النبي وخلفه يرفعون عنه أنه قد أبلغ الرسالة ، وأنه - عز وجل - لا يعلم ذلك بدون هذا الرصد ، لكن هذا الظاهر متروك بالإجماع(٦) ، والبرهان على أنه - عز وجل - ليس يعزب عن علمه شيء في الأرض / [٢٠٩ب/م] ولا في السماء ، فيجب تأويل هذا الظاهر على](٧) أن(٨) هذا(٩) الرصد من الملائكة معقبات يحفظونه من أعدائه من باب :

---

(١) في م : وسبق .

(٢) سقط من ل .

(٣) زيادة من ل .

(٤) سورة البقرة ، آية (٢٥٥) .

(٥) سورة الجن ، آية (٢٧ ،٢٨) .

(٦) ليس هذا هو الظاهر ، فإن لازم ذلك أن ظاهر الآية كفر ، وهو ممتنع حاشا لله ، وإنما جاء هذا من جراب الكلام المذموم ، وعلى ما تقدم أن العلم بعد وقوع الشيء هو الذي تقوم به الحجة ، فالله سبحانه عَلِمَه سيقع ، ثم عَلِمَه واقعًا بعد ما خلقه ، وأقام الملائكة شهودًا على ذلك ، وهذا علم الحجة ، لا أن الله لا يعلم ذلك بدون الرصد ، تعالى الله عن ذلك ، وما ذكره المصنف من التفسير قريب ، لكن موضع الانتقاد هو جعله ظاهر الآية ما ذكره ، والله أعلم(خ) .

(٧) سقط من ل .

(٨) في ل : اعلم أن .

(٩) زيادة من ل :

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾[١]

ومعنى : ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ﴾[٢] أي : ليجازيهم على إبلاغهم الرسالات ، ويجزي أممهم على الطاعة[٣] ثوابًا ، وعلى المعصية عقابًا ، فيصير نظم المعنى هكذا : إلا من ارتضى من رسول ، وأنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا يحرسونه ، وليجزيهم على الإبلاغ وأممهم على القبول ، أو الرد بما يستحقونه ، أو على غير هذا من التأويل .

---

(١) سورة المائدة ، آية (٦٧) .

(٢) سورة الجن ، آية (٢٨) .

(٣) في ل : الطاعات .

القول في سورة المزمل

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[(١)] يحتمل أن المراد ثقيل على الكفار طاعته والإيمان به ، أو ثقيل على المكلفين امتثاله ، أو يخلق اللَّه - عز وجل - عند نزوله ثقلاً ، كما روي أن سورة الفتح لما نزلت مرجع[(٢)] النبي ﷺ من الحديبية كادت قوائم ناقته تندق من تحته لثقل ما أنزل عليه ، وربما احتج بظاهره من يقول بخلق القرآن ؛ لأن الثقيل ذات قام بها الثقل ، [وكل ذات قام بها الثقل][(٣)] - جسم ؛ فالقرآن جسم ، وكل جسم مخلوق . لكن هذا سفسطة ومكابرة للحس والضرورة ، فلا يستحق جوابًا .

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ ﴾[(٤)] هذا هو المثال المشهور[(٥)] في لام العهد ، وهو رجوع المعرف إلى مُنكَّر سابق . وقد حكى ابن الخشاب عن بعض أهل العلم : أن اللام إن كان هناك معهود تعينت له وإلا فهي للجنس .

﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[(٦)] أي : بما أحكمه وأتقنه من دوران الفلك ومجاري النجوم فيه ، وإيلاج الليل في النهار والنهار في

---

(١) سورة المزمل ، آية (٥) .
(٢) في ل : رجع .
(٣) سقط من ل .
(٤) سورة المزمل ، آية (١٥ : ١٦) .
(٥) سقط من ل .
(٦) سورة المزمل ، آية (٢٠) .

الليل ، وأخذ أحدهما من الآخر .

واعلم أن الليل والنهار هما الزمان ؛ لقول الشاعر :

هل الدهر إلا ليلة ونهارها وإلا طلوع الشمس ثم غيارها

فينتظم قياس هكذا : الليل والنهار هما الزمان ، والله[١] - عز وجل[٢] - يقدر الليل والنهار ؛ ينتج من الشكل الرابع : الله - عز وجل - هو يقدر الزمان ، وحينئذ يكون الزمان مخلوقًا ، وكل مخلوق حادث ، فالزمان حادث ؛ خلافًا للفلاسفة في قدمه ، وقد سبق القول عليهم في ذلك[٣] .

﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ[٤]﴾[٥] هذا عقب ما قبله من الأمر بالأعمال الصالحة يشير إلى ما مر في سورة النور عند : ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٦] من مشروعية[٧] التوبة والاستغفار من / [٢١٠أ/ م] الأعمال الصالحة لما قرر هناك ، وفي هذا هٰهنا[٨] نظر ؛ لاحتمال أنه أمر مجرد بالاستغفار ليس المراد به ما ذكر .

---

(١) في ل : فالله .

(٢) بعده في ل : هو .

(٣) هذا قياس باطل ، فليس الليل والنهار هما الزمان ، فإن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وهذه الخمسون ألفًا زمان ، وكانت قبل الليل والنهار ، وكذلك أيام الخلق الستة زمان وليست مقدرة بالليل والنهار ، فالصحيح أن الزمان هو نسبة حادث لسواه ، لا أنه هو الليل والنهار ، وعلى القول بأن الله تعالى يفعل ما يشاء متى شاء ، فلا التفات لمن قال بحدوث أو بقدم الزمان ، فهو نسبة حادث لآخر ، ولا يزال الله يتكلم إذا شاء ويفعل إذا شاء متى شاء ، كل يوم هو في شأن فعال لما يريد(خ) .

(٤) في ل : واستغفر الله .

(٥) سورة المزمل ، آية (٢٠) .

(٦) سورة النور ، آية (٣١) .

(٧) في ل : شرعية .

(٨) في ل : هنا.

القول في سورة المدثر

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴾[١] إن قيل : هذا تقديره : فذلك في يومئذ/[٤٣٣/ل] يوم ، فيلزم أن يكون اليوم في يوم فيكون للزمان زمان ، وإنه[٢] محال .

والجواب[٣] أن تقديره «فذلك» أي : فالنقر يومئذ نقر يوم عسير على تقدير حذف المضاف ، وهو سؤال وجواب في الإعراب جيدان .

﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴾[٤] احتج به من يرى قدم القرآن المسموع ، لأنه - عز وجل- توعد من قال : إنه قول البشر بإصلاء سقر ، وذلك يقتضي أنه ليس قول البشر ، فهو قول اللّه -عز وجل- فلا يكون مخلوقًا ، فيكون قديمًا لأنه صفة القديم[٥] .

وأجاب الخصم بأن بين البشر وبين[٦] اللّه -عز وجل- الملك ، فلم لا يجوز أن يكون قوله ؛ بدليل :﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾[٧] سلمنا

(١) سورة المدثر ، آية (٨ :٩) .

(٢) في ل : فأنه .

(٣) في م : فالجواب.

(٤) سورة المدثر ، آية (٢٥ :٢٦) .

(٥) كونه ليس قول البشر فلا يكون مخلوقًا مسلّم ، أما أن ذلك يقتضي كونه قديمًا فغير مسلم إلا في النوع ، أما الأفراد فحادثة غير مخلوقة على ما تقرر في الفرق بن الحادث والمخلوق ، وراجع المقدمة (خ).

(٦) زيادة من ل .

(٧) سورة الحاقة ، آية (٤٠) .

أنه قول اللّٰه -عز وجل- فلم لا يجوز أن يكون صفة فعلية ؟ وكل صفة فعلية مخلوقة .

[قال بعض العلماء المحققين المتأخرين - رضي اللّٰه تعالى عنهم][(١)] حكاية غريبة :

أخبرني الشيخ الصالح[(٢)] جمال الدين المعدني الحنبلي بالقاهرة قال : أنشد بحضرة الشيخ الإمام العالم[(٣)] بهاء الدين ابن النحاس الحلبي النحوي ، أو هو أنشد قول القائل :

لو قيل: كم خمس وخمس لاغتدى ... يومًا وليلته يعد ويحسب

ويقول : معضلة عجيب أمرها ... ولئن هديت لها لأمري أعجب

حتى إذا خدرت يداه وعورت[(٤)] ... عيناه مما قد يخط ويكتب

أوفى على شرف وقال: ألا انظروا ... ويكاد من فرح يجن ويسلب

خمس وخمس ستة أو سبعة ... قولان قالهما الخليل وثعلب

فجعل الحاضرون يتعجبون منها ومن غرابة وصفها ، فقال الشيخ بهاء الدين : مم تتعجبون[(٥)] ؟ فإن مثل هذا في كتاب اللّٰه -عز وجل- ثم تلا : ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[(٦)] .

---

(١) زيادة من ل .

(٢) زيادة من ل .

(٣) زيادة من ل .

(٤) في ل : وغورت .

(٥) في ل : تعجبون .

(٦) سورة المدثر ، آية (١٨ : ٢٥) . والآية (٢٠) سقطت من ل .

قلت : [وهذا تنظير](١) حسن مطابق ، وكلاهما راجع(٢) في المعنى إلى قولهم : سكت ألفا ونطق خلفا .

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾(٣) قيل : إنما كانوا تسعة عشر ؛ لأن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ، عليها في كل /[٢١٠ب/م] ساعة ملك إلا ساعات المكتوبات الخمس فإنها [تخمد أو تغلق](٤) فلا تحتاج(٥) إلى سادن ، فلا تبقى إلا تسع عشرة ساعة عليها فيهن تسعة عشر ملكًا(٦) :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٧) فيه أن اللّه -عز وجل- يقصد فتنة من يشاء وضلاله ويفعل أسبابه .

﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾(٨) فيه قبول الإيمان/[٤٣٤ل] للزيادة والنقصان .

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾(٩) الآية ، يحتج بها على تكليف الكفار بفروع الإسلام ؛ لأنهم عللوا سلكهم في سقر

---

(١) في ل : تطبيق .

(٢) في ل : يرجع .

(٣) سورة المدثر ، آية (٣٠) .

(٤) في ل : تجمد أو تغلق .

(٥) في م : يحتاج .

(٦) هذا يحتاج إلى دليل عن معصوم لإثباته ، ثم ما الذي يجعل ساعات المكتوبات خمسًا في حين صلاتها فيها لا تستغرق خمس ساعات ، وما بينها لا يكون خمسًا ، فما الداعي إلى ذلك ، بل الظاهر بطلان هذا التكلف ، وإنما العلة المنصوصة هو فتنة الذين كفروا فيقتصر عليها ، وإلا فقد دخل من هذا الباب البهائية وتأولوا على نحو هذا التأويل الباطل (خ).

(٧) سورة المدثر ، آية ، آية (٣١) .

(٨) سورة المدثر ، آية (٣١) .

(٩) سورة المدثر ، آية (٤٢ - ٤٣) .

بتركهم الصلاة والزكاة وبالتكذيب بيوم الدين وما بينهما ، ولولا تكليفهم بالصلاة لما صلح تركها جزء علة للعقاب .

واعترض الخصم بأن معناه ، لم نكن من أهل الصلاة ؛ أي : من المؤمنين .

وأجيب بأنه خلاف الظاهر بغير دليل ، ثم هو مع قولهم : ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[١] فيه ضرب من التكرار فلا يحمل عليه ، وقد سبقت المسألة في أول سورة «المصابيح» .

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[٢] دليل خطابه أنها تنفع غيرهم من عصاة المؤمنين خلافًا للمعتزلة .

(١) سورة المدثر ، آية (٤٦)

(٢) سورة المدثر ، آية (٤٨)

القول في سورة القيامة

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[١] فيه إثباتها ، ثم قيل : لا زائدة ، وقيل : المعنى ، لا أقتصر على القسم بيوم القيامة بل أقسم بأعظم منه ، والقولان جاريان في نظائره نحو : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾[٢] ، ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[٣] ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾[٤] المذكور في القرآن ، هذه والنفس الأمارة والنفس المطمئنة ، فاللوامة تلوم على فعل الشر ، والأمارة تأمر به ، والمطمئنة ساكنة لما وعدت متواضعة لقبول ما به أمرت ، خاضعة تحت مجاري الأقدار ، خاشعة للَّه الواحد القهار . ثم قيل : هي ثلاث نفوس على ظاهر القرآن ، وقيل : نفس واحدة لها ثلاث قوى أو ثلاثة أحوال ، تارة تلوم ، وتارة تأمر ، وتارة تطمئن ، واللَّه -عز وجل- أعلم بخلقه .

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾[٥] هذا إثبات للبعث خلافًا لمنكريه ، وأحال اللَّه -عز وجل- ها هنا على مجرد القدرة ، ثم برهن عليه في آخر السورة .

﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[٦] تتعلق به

---

(١) سورة القيامة ، آية (١) .

(٢) سورة الانشقاق ، آية (١٦) .

(٣) سورة البلد ، آية (١) .

(٤) سورة القيامة ، آية (٢) .

(٥) سورة القيامة ، آية (٣ - ٤)

(٦) سورة القيامة ، آية (٥-٦)

الملاحدة ونحوهم على أن لا حقيقة للبعث ، وإنما هو تخويف للناس لئلا ييأسوا من المعاد فيفجروا ويتظالموا فيفسد النظام .

والجواب /[٢١١أ/م] أن ما ذكره[١] لا ينفي وقوع البعث ، وقد دلت عليه قواطع السّمع والعقل ، والتخويف بالشيء لا يمنع وقوعه .

﴿وجمع الشمس والقمر﴾ لأنهما ما داما دائبين بينهما افتراق بالذات إذ بينهما أربعة أفلاك ، ويوم القيامة تطوى السماء ويستغنى عنهما بما شاء اللّه -عز وجل- من نوره ، فيجمعان[٢] كمسمارين قلعا من بابين ، ويقال[٣] : إنهما يكوران في النار ، فإن قيل : أيهما أفضل؟ قلنا : الشمس ؛ لأنها آية مبصرة/[٤٣٥/ل] والقمر آية ممحوة ، والمبصرة أفضل ؛ ولأنها أعظم جرمًا ونورًا ، وإذا أردت أن تنظر عظمتها[٤] فانظر إلى ملكوت السماء بالليل وما فيها من الزينة والنيرات العظيمة ، ثم الشمس إذا طلعت تطمس ذلك كله حتى يبقى غيبًا بعد أن كان شهادة ، وذكر أهل الهيئة أن جرم الشمس قدر الأرض مائة وإحدى[٥] وستين مرة وكسر ، والقمر جزء من تسعة وثلاثين جزءًا من الأرض ، فيكون ربع عشر تقريبًا ، فتكون الشمس مثل القمر ست آلاف مرة وأربعمائة مرة تقريبًا ؛ ولأن اللّه -عز وجل- حيث ذكرهما قدم الشمس ، ولأنها أوسط مكانًا في السماء وأعلى من القمر وأسعد منه .

---

(١) في م : ذكروه .

(٢) في ل : فيجمعهما .

(٣) في ل : وقيل .

(٤) في ل : عظمها .

(٥) في م : واحدًا .

واحتج من فضل القمر بأنه مذكر ، وهو أسرع حركة وجولانا في الفلك ، ومدار الحساب على تمامه ونقصانه أكثر ، وهو في ذلك أعجب ، وهو أقل ضررًا من الشمس ونحو هذا من الوجوه ، ولا شيء منها يعارض ما ذكر للشمس .

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾[١] أي : يشهد على نفسه وتشهد عليه جوارحه كما مر ، فلو اعتذر بما أمكنه لم ينفعه مع شهادة نفسه عليه .

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[٢] يحتج به على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب ؛ لأن ثم للتراخي ، وقد دلت على تأخير البيان عن وقت القراءة ، وقد سبق نظيره أول هود .

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٣] وهذه عمدة الجمهور في إثبات رؤية اللّه -عز وجل- في الآخرة ؛ لأن النظر المقرون بإلى يقتضي الرؤية لغة ، وقد تضمنت الآية ذلك فكانت مقتضية للرؤية .

واعترض المعتزلة بأن قالوا : النظر هٰهنا مضاف إلى الوجوه وليست آلة للرؤية[٤] ولا محلًا لها ، سلمناه لكن لا يعلم أن اقتران النظر بإلى يقتضي الرؤية ، بدليل قوله -عز وجل- : ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[٥] فاقترن النظر بإلى مع نفي الإبصار والرؤية ، سلمناه و[٦] لكن لا نسلم أن إلى هٰهنا حرف جر ، وإنما هو اسم /

(١) سورة القيامة ، آية (١٤) .

(٢) سورة القيامة ، آية (١٨ : ١٩) .

(٣) سورة القيامة ، آية (٢٢:٢٣) .

(٤) في م : للرؤيا .

(٥) سورة الأعراف ، آية (١٩٨) .

(٦) سقط من ل .

[٢١١ب/م] وهو واحد الآلاء وهي النعم ، نحو : معًى وأمعاء ، والتقدير : وجوه يومئذ ناضرة ، نعمة ربها ناظرة أو منتظرة ؛ لأنها تفرح بما ترى من أمارات الثواب ، وهي تراه وتنتظره ، سلمناه لكن ما ذكرتموه إنما هو ظاهر في الرؤية فلا يعارض القاطع في نفيها ، وهو أن الرؤية تقليب الحدقة إلى جهة المرئي واتصال(١) شعاع البصر به(٢) وذلك مستلزم للجسمية ، فالرؤية لا تتصور إلا على رأي المجسمة أو على رأي الاتحادية الذين يجيزون أن يظهر الحق -عز وجل- في المظاهر والأطوار ، فيظهر في مظهر جسماني/[٤٣٦/ل] فيرى(٣) ، كما ورد أنه يأتيهم في صورة ينكرونها ثم في صورة يعرفونها ، ويكشف لهم عن ساقه فيخرون سجدًا ، لكن التجسيم والاتحاد باطلان عند الجمهور .

وأجيب عن الأول بأن الوجوه محل الإبصار(٤) والإبصار محل الرؤية وآلة لها ، فالوجوه محل للرؤية وآلة لها ، ودل على ذلك استعمال العرب كقول القائل :

وجوه ناظرات يوم بدر إلى الرحمن تنتظر الفلاحا(٥)

وقول الآخر :

وفي يوم بدر قد رأيت وجوههم إلى الموت من وقع السيوف نواظرا

فقد أضاف النظر إلى الوجوه ، وعن الثاني بأن وضع اللغة أن

---

(١) في ل : وإيصال .
(٢) سقط من م .
(٣) سقط من ل .
(٤) في ل : للإبصار .
(٥) هذا البيت يتعلق بيوم (عقراء) باليمامة ومقصودهم بالرحمن هنا (مسيلمة الكذاب) (خ).

النظر المقرون بإلى يقتضي الرؤية ، فإن لم يكن موضوع اللغة فأكثر استعمال العرب عليه نحو قوله :

نظرت إلى من حسن اللّٰه وجهه . . . .

وقوله :

[ظللت كأني من وراء زجاجة][١] إلى الدار من فرط الصبابة أنظر

وقوله :

نظروا إليك بأعين محمرة نظر التيوس إلى شفار الجازر

وهو كثير ، وهو يحصل المقصود ؛ ولأن غلبة استعماله تدل على أنه[٢] الحقيقة .

فأما : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[٣] فلم يكن عدم الإبصار لعدم اقتضاء اللفظ له ، بل لأن المشار إليهم[٤] هم الأصنام وهم جماد ليس لهم آلة الإبصار كما سبق في آخر «الأعراف» ، وعن الثالث بأنه خلاف المتبادر إلى فهم كل سامع ، والصحابة ومن بعدهم إنما فهموا أن إلى حرف جر حتى ظهر المعتزلة بتأويله[٥] ، ثم إن ما ذكروه لا يصح ؛ لأن الكلام وهم في الجنة والنظر إلى النعيم فيها لا يعد نعمة ، إنما ذلك الموضع محل تناول النعم والالتذاذ بها لا محل النظر إليها[٦] ، وانتظارها هناك غير مناسب ؛ لأن الانتظار - كما قيل - يورث الصغار ، ثم إن النعم في الجنة حاصلة فانتظارها مناف

(١) في ل : فقد .

(٢) زيادة من ل .

(٣) سورة الأعراف ، آية (١٩٨) .

(٤) في ل : إليه .

(٥) في ل : بتأويلهم .

(٦) زيادة من ل .

لحصولها أو تحصيل الحاصل .

قوله : ما ذكرتموه ، ظاهر في الرؤية[١] ، قلنا : بل قاطع لتبادر الفهم/[٢١٢أ/م] إليه ، وإجماع السلف على فهم الرؤية منه ، وهم أهل العصمة الإجماعية واللسان العربي ، سلمنا أنه ظاهر لكن لا نسلم أن عندكم قاطعًا يعارضه .

قوله : إن الرؤية تقليب الحدقة إلى جهة المرئي .

قلنا : هذا على اختلاله لا يضر ؛ لأن مثبتي الجهة يلتزمونها ، ووجه اختلال هذا القول أن الرؤية ليست نفس تقليب الحدقة بل هي نوع إدراك يلزمه تقليب الحدقة فتقليب الحدقة من لوازم الرؤية لا أنه نفسها ، وأما من لا يثبت/[٤٣٧/ل] الجهة كالأشعرية ، فإنهم يفسرون الرؤية بنوع كشفٍ نسبته إلى الرب -عز وجل- كنسبة الرؤية إلى المرئيات .

قوله : واتصال شعاع البصر بالمرئي .

قلنا : الناس لهم في كيفية رؤية المرئيات أربعة أقوال :

أحدها : اتصال الشعاع .

والثاني : انطباع صورة المرئي في الرطوبة الجليدية[٢] كانطباع الوجه في المرآة .

والثالث : أنه نار تخرج من البصر فيدرك به المرئي ، وهذا شبيه بالقول بالشعاع.

---

(١) في م : الرواية .
(٢) في ل الجليديقة

والرابع : أنه علم يخلقه اللَّه - عز وجل - في نفس الرائي مقارنًا للرؤية ، وهو مذهب المتكلمين[١] .

فنقول[٢] أولاً : لم قلت : إن رؤية الباري -عز وجل- أو الرؤية مطلقًا باتصال الشعاع ؟ وما أنكرت أن يكون بخلق العلم في نفسه كما هو رأي المتكلمين .

وثانيًا : أنه قد ثبت لنا رؤية لا باتصال[٣] شعاع وهو قوله - صلى اللَّه عليه وسلم - : « **لا تختلفوا عليّ**- يعنى في الصلاة - **فإني أراكم من وراء ظهري كما أراكم من أمامي**»[٤] وما ذاك إلا لخارق إلهي ومعجز نبوي أيد به النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - كما كان يرى الثريا اثنى عشر كوكبًا وغيره إنما يراها ستة أو سبعة ، وذلك لقوة خص بها في بصره خرقًا للعادة ، فجاز إذ كانت الآخرة محل خرق العادة أن تتجدد للمؤمنين خرق عادة يرون بها ربهم من غير انطباع ولا اتصال شعاع ، ولا جهة أصلاً على رأي نفاة الجهة ، كالدودة في وسط البلورة تراها لا في جهة ، وكرة العالم يراها اللَّه -عز وجل- وقد قام البرهان على أنها ليست في جهة على ما قيل ، وحينئذ لا يلزم مثبتي الرؤية لا رأي المجسمة ولا رأي الاتحادية .

(١) هذا باعتبار معارف عصره ، أما مع تقدم العلوم في مجال الأحياء والتشريح ، فإن الرؤية لها معنى آخر وهو : مركز الرؤية في المخ الذي يستقبل الإشارات من الأعصاب البصرية على ما هو معلوم الآن ومشهور ، فليست الرؤية اتصال شعاع ولا ثمة رطوبة جليدية ولا نار ، ثم ليست هي العلم المجرد ، إذ لا يفتقر إلى العين والضوء ونحو ذلك ، فالحق أن الأبصار إلى اللَّه ناظرة في جنة عالية ، واللَّه أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات (خ).

(٢) في ل : فنقول .

(٣) في ل : بإيصال .

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ ، وقد روى البخاري من حديث أبي هريرة (١/ ١٦١) حديث (٤٠٨) : « **هل ترون قبلتي ههنا فواللَّه ما يخفى عليّ خشوعكم ولا ركوعكم إني أراكم من وراء ظهري** » ، ورواه مسلم (٤٢٤) .

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[١] أي هملاً لا راعي له ، ولا معترض عليه ولا بعث ولا معاد ، وهذا إنكار لنفي البعث فيقتضي إثبات البعث ، وهذا شبيه بقوله - عز وجل - : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٢] .

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ﴾[٣] [٢١٢ب/ م] إلى : ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٤] هذا احتجاج على إمكان البعث ووقوعه بالقياس على النشأة الأولى كما سبق في أول «الحج» وغيره .

---

(١) سورة القيامة ، آية (٣٦) .

(٢) سورة المؤمنون ، آية (١١٥) .

(٣) سورة القيامة ، آية (٣٧) .

(٤) سورة القيامة ، آية (٤٠) .

القول في سورة الإنسان

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾[١] الآية ، قيل : معناه قد أتى ، وهو ضعيف ، بل معناه : هل تسلمون وجودكم بعد عدمكم أو نقرره عليكم بالبرهان ، ثم قد برهن على ذلك بعد على تقدير[٢] منعهم لما ذكر بقوله - عز وجل - : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾[٣] وهو قاطع في ابتداء خلقه بعد أن لم يكن ، وقد سبق الكلام في : ﴿لم يكن شيئًا مذكورًا﴾[٤] في أول مريم . /[٤٣٨/ل]

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٥] إشارة إلى أن الحكمة في خلق الإنسان ابتلاؤه واختباره هل هو[٦] يطيع فيثاب أو يعصي فيستحق العقاب؟ فإن قيل : ما مقدار الإنسان حتى يبتلى ويختبر ويخاطب هذا الخطاب العظيم ؟ وما فائدة ابتلائه بعد علم اللّه - عز وجل - بما سيكون منه؟

قلنا : هذا وراءه أسرار غريبة موضع ذكرها في غير هذا العلم ، والمفزوع إليه هٰهنا ﴿لا يسأل عما يفعل [وهم يسألون][٧]﴾ ، وهو المتصرف بحق ملكه الأكمل .

(١) سورة الإنسان ، آية (١) .
(٢) في م : تقرير .
(٣) سورة الإنسان ، آية (٢) .
(٤) سورة الإنسان ، آية (٢) .
(٥) سورة الإنسان ، آية (٣) .
(٦) سقط من ل .
(٧) زيادة من ل .

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[١] أي أرشدناه إلى طريق الحق والسلامة ، والسؤال والجواب هٰهنا كما قلنا[٢] في «ثمود»[٣] ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾[٤] ثم هذه السورة تضمنت إثبات العذاب والنعيم الحسّيين .

﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾[٥] قيل : يشرب منها على إبدال بعض الحروف ببعض ، والأشبه[٦] أنه من باب التضمين أي : يروى بها ، ضمن يشرب معنى يروى ؛ لأنه أبلغ وأخص من يشرب ، ثم اعتبر حرف التعدية بالفعل المضمن تنبيهًا عليه ؛ ومثله قول عنترة :

شربت بماء الدحرضين....[٧]

وقول الآخر :

شربن بماء البحر

البيتين

ومنه : ﴿ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[٨] .

وقوله :

---

(١) سورة الإنسان ، آية (٣) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سقط من ل .

(٤) سورة فصلت ، آية (١٧) .

(٥) سورة الإنسان ، آية (٦) .

(٦) في م : فالأشبه .

(٧) دُحرُضٌ بالضم ، ووسيعٌ ؛ ماآن ، وثناهما عنترة بن شداد ؛ فقال :

شربتْ بماء الدُّحرُضين فأصبحتْ زوراء تنفر من حياض الديلم .

وانظر القاموس (٨٢٨) .

(٨) سورة الفرقان ، آية (٥٩) .

فـإن تـسـألـونـي بـالـنـسـاء

البيت . . . .

أي : ذاكر به وتذاكروني بالنساء

وقوله : يضرب بالسيف ونرجو بالفرح . . .

أي : يتعلل بالفرح

سود المحاجر لايقرأن بالسور

أي : لا يصوتن أو يترنمن بها ، وهو كثير ، وهي قاعدة نافعة يعتصم بها من لزوم الزيادة في أكثر الكلام .

﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾[1] [فيه استحباب الوفاء بالنذر ومدح أهله ؛ لأنه من باب الوفاء بالعقود إما التزام][2] ابتداء فيحتمل تحريمه للنهي عنه ، ويحتمل جوازه ؛ لأنه عقد وعهد بين العبد وربه -عز وجل- أشبه الإحرام بالحج ، ويحتمل المنع منه في الأموال دون العبادات ؛ لقوله - صلى اللّه عليه وسلم- : «**النذر /[٢١٣أ/م] لا يأتي بخير** ، و[3] **إنما يستخرج به من مال البخيل** »[4] فدل على أن المنع منه في المال دون غيره .

﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً ﴾[5] أي صورة جزاء على كسبكم

(١) سورة الإنسان ، آية (٧) .

(٢) سقط من ل .

(٣) سقط من ل .

(٤) روى البخاري (٦/٢٤٣٧) (٦٢٣٤) من حديث ابن عمر : نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: « **لا يرد شيئًا وإنما يستخرج به من البخيل** » وطرفه (٦٣١٤ ، ٦٣١٥) ، ورواه من حديث أبي هريرة (٦٢٣٥ ، ٦٣١٦) ، وهو عند مسلم عن ابن عمر (١٦٣٩) ، وعن أبي هريرة (١٦٤٠) .

(٥) سورة الإنسان ، آية (٢٢) .

وسعيكم ، وإلا فهو في الحقيقة فضل من اللَّه - عز وجل - لولا توفيقه لما وصلوا إلى شيء منه[١] ، وهم[٢] أعني الأبرار قد اعترفوا بذلك حيث قالوا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾[٣] اللَّهم اهدنا إليك وإلى رضوانك بفضلك المحض ، ولا تكلنا إلى سواك من نفل أو فرض .

﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾[٤] قيل : معناه ولا كفورًا ، و المعنى وإن كان عليه إلا أنه ضعيف من جهة أن «أو» تنوب عن واو العطف وحرف النفي ، ونيابة كلمة عن كلمتين غير معهود ، أو هو قليل لا يقاس عليه لمخالفته القياس وتخريجه/[٤٣٩/ل] على أصله بوجهين[٥] :

أحدهما : أن يكون هذا طبق كلام مقدر ، كأنه قيل له : أطع فلانًا الآثم ، أو فلانًا الكفور ، فقيل : لا تطع منهما[٦] آثمًا أو كفورًا .

الثاني : أن يقال : إنما دلت هذه الآية على تخييره في معصية أحدهما ، أي اعص هذا أو هذا ، ودل على وجوب معصيتهما جميعًا دليل منفصل لا يقال : نحن نفهم من مجرد هذه الآية وجوب معصيتهما جميعًا من غير شعور بدليل منفصل ؛ لأنا نقول : إما من

---

(١) سقط من ل .

(٢) في م : هو .

(٣) سورة الأعراف ، آية (٤٣) .

(٤) سورة الإنسان ، آية (٢٤) .

(٥) في م : لوجهين .

(٦) في م : منهم .

موضوع لفظ أو بمجرده[١] فلا نسلم أنه يفهم ذلك ، وإلا لما استغرب واحتيج فيه إلى تخريج وتأويل ، وأما فهم ذلك من المعنى عقلاً أو عرفًا أو شرعًا فذلك هو الدليل المنفصل ولكنه ظاهر ، فلظهوره لا ينتبه[٢] له .

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[٣] احتج بها المعتزلة ؛ لأنها تقتضي أن الإنسان مخير[٤] بحسب مشيئته ، وأجاب الجمهور بالآية بعدها : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[٥] فمشيئة الإنسان تابعة[٦] للمشيئة الإلهية وأثر من آثار القدرة الأزلية ، وحينئذ أكثر ما يقال : إن فعل الإنسان أثر مشيئته ومشيئته أثر القدرة الإلهية ، وأثر أثر الشيء أثر لذلك الشيء ، ففعل الإنسان أثر القدرة الأزلية[٧] وهو المطلوب ، وقد سبق تقرير هذا في مقدمة الكتاب .

﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[٨] هذا هو سر القدر ؛ لأنه - عز وجل - جعل الدخول في الرحمة منوطًا بمشيئته ، ولم يعلل بتقوى ولا صلاح ولا يغيره ، فدل على أنه إذا أراد الرحمة وفق للصلاح ، فكان الفوز والفلاح ، فالصلاح أمارة الفلاح ، والعلة المؤثرة هي المشيئة [وهكذا في الطرف الآخر الظلم

---

(١) في ل : مجرده .
(٢) في م : ينبه .
(٣) سورة الإنسان ، آية (٢٩) .
(٤) في ل : يخير .
(٥) سورة الإنسان ، آية (٣٠) . وفي م :﴿يشاءون﴾ .
(٦) سقط من ل .
(٧) زيادة من ل .
(٨) سورة الإنسان ، آية (٣١) .

أمارة العذاب ، والعلة المؤثرة هي المشيئة][1] ، غير أنه -عز وجل- آثر هٰهنا قيام حجته ، فقرن العذاب بوصف الظلم من باب اقتران الحكم بالوصف المناسب ، إقامة للحجة ونفيًا للتهمة ، وانتهى تقدير الكلام إلى : إني أرحم هؤلاء بمشيئتي /[٢١٣ب/م] وعنايتي بهم ، وأعذب هؤلاء لظلمهم المناسب لعقوبتهم مع أن مشيئته هي المؤثرة في ذلك قطعًا ، وقد تقدم لنا كلام في سر القدر في مقدمة هذا الكتاب وفي الأعراف عند : ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾[2] وفي أول سورة «يس» وسورة «المؤمن» ، وهٰهنا فاجمع بينه ، وتلمحه يظهر لك المقصود من هذا الباب- إن شاء اللّٰه -عز وجل-[3] .

---

(١) زيادة من ل .

(٢) سورة الأعراف ، آية (٣٠) .

(٣) يشير إلى مذهبه في القدر (وهو الجبر) ، ولعل محل الاشتباه عند كثير من الناس الخلط بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية ، فالرضا والرحمة والمحبة لا تستلزم الخلق والإيجاد ، وإن كان اللّٰه سبحانه يتفضل على عباده بما يشاء ، أما أن يدخل الجنة من ليس بمؤمن ، فهذا غير صحيح للنص في ذلك ، وغاية القدر التيسير المذكور في الحديث ، فقد حام الصحابة حول هذا الحمى ، فسألوا عن ترك العمل والاتكال على القدر ، فأجابهم بالإجابة العظيمة الشافية الكافية لمن هداه اللّٰه : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما أهل السعادة فسييسرون إلى عمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فسييسرون إلى عمل أهل الشقاوة» واللّٰه أعلم(خ) .

القول في سورة المرسلات

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[١] أي : ذهب نورها ، و﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾[٢] أي : انشقت ، وفيه دليل/[٤٤٠/ل] على قبولها للخرق[٣] والالتئام ، كما مرّ ، وأن الأجرام السماوية تقبل التغير والاستحالة عن صفاتها الآن ، خلافًا للفلاسفة ، وأصل الخلاف القول في قدم العالم ، وقد سبق .

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[٤] إما بتسليط الريح عليها فتنسفها ، أو بتسليط المطر العظيم ثم الشمس العظيمة عليها فتحلها ، كما يشاهد في الجبال الآن ، أو لأنه -عز وجل- إذا قبض الأرض والسماوات في قبضة قدرته ضرب بالجبال فانحلت أجزاؤها ، بدليل : ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾[٥] أو بغير ذلك من تصرفات القدرة الأزلية التي لا نهاية لمقدورها .

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[٦] الآيات ، احتجاج على البعث الذي دل عليه قوله -عز وجل- قبل ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾[٧] ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾[٨] إن ثبت أن للإنسان قدرة يستقل بها ، وإلا فهذا على

---

(١) سورة المرسلات ، آية (٨) .
(٢) سورة المرسلات ، آية (٩) .
(٣) في م : الخرق .
(٤) سورة المرسلات ، آية (١٠) .
(٥) سورة الحاقة ، آية (١٤) .
(٦) سورة المرسلات ، آية (٢٠) .
(٧) سورة المرسلات ، آية (١٣) .
(٨) سورة المرسلات ، آية (٢٣) .

نحو : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[١] أي على زعم من اعتقد أن ثم قادرًا وخالقًا غيره ، واعلم أنه لا خلاف أن للإنسان قدرة خلقها اللَّه - عز وجل - كما خلق ذاته ، لكن الخلاف في أنه مستقل بقدرته مفوض إليه أعماله لا مجبر ولا معاوق ، أم لا ، أثبت ذلك القدرية ونفاه الجمهور ، وهو أصل الخلاف ومنشأ الاختلاف .

﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ﴾[٢] هذا بعد أن يسألوا ويحاسبوا ، فمن اعترف منهم بما قرر[٣] عليه ثبت عليه ما اعترف به ولزمته الحجة ، ومن أنكر ختم على فيه واستشهدت عليه أعضاؤه كما سبق في يس وغيرها ، وإليه الإشارة بقوله -عز وجل- : ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾[٤] ولو كان عدم الإذن لهم في الاعتذار مطلقَ ألبتة ، لتناقض مع قوله -عز وجل- :﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا ﴾[٥] وإنه محال .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴾[٦] يحتج به على أن الأمر للوجوب الفوري ؛ لأنه - عز وجل - ذمهم على ترك الركوع وقت أمرهم به ؛ لأن «إذا» ظرفية وقتية فصار التقدير : لا يركعون وقت الأمر لهم بالركوع ، وهو يقتضي ما ذكرناه/[٢١٤أ/ م] .

---

(١) سورة المؤمنون ، آية (١٤) . وفي م : تبارك ، بدل ﴿فتبارك﴾ .

(٢) سورة المرسلات ، آية (٣٥ ، ٣٦) .

(٣) في ل : قدر .

(٤) سورة القيامة ، آية (١٤) .

(٥) سورة النحل ، آية (١١١) .

(٦) سورة المرسلات ، آية (٤٨) .

القول في سورة عم

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا (١٤) لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴾(١) هذا إثبات للبعث ، ودليله ما قبله من إحياء الأرض بالمطر .

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾(٢) دل على ما سبق من قبولها للخرق .

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴾(٣) يحتج به من يرى أن عذاب أهل النار منقطع ؛ لأن الأحقاب جمع قلة وأكثره عشرة ،/[٤٤١/ل] والحقب ثمانون سنة . فمجموعها ثمان مائة سنة ، وهب أنها من سني الآخرة كل يوم منها بألف(٤) سنة أو سبعين ألف سنة كما قيل ، فهي متناهية على كل حال .

وجوابه من وجهين : **أحدهما**(٥) أنه ليس المراد حصر لبثهم في أحقاب ، بل يلبثون أحقابًا طعامهم الحميم والغساق لا برد ولا شراب ، ثم ينقلون إلى حالة أخرى من العذاب كذلك أبدًا .

الثاني : أن الأحقاب بمعنى الحقب جمع كثرة ، ولكنه وضع جمع القلة موضع الكثرة ؛ تنبيهًا على أن القليل المنقطع من عذاب النار

(١) سورة النبأ ، آية (١٤ - ١٧) .
(٢) سورة النبأ ، آية (١٩) .
(٣) سورة النبأ ، آية (٢٣) .
(٤) في ل : ألف .
(٥) سقط من ل .

جدير بأن يكون سببًا للإيمان والازدجار .

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾[١] أي لا يخافونه ، وهو حجة على أن الكفار يحاسبون ، وقد سبقت المسألة في «الحاقة» .

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[٢] قيل : الروح صنف من الملائكة يخفون عن الملائكة كما يخفى الملائكة عن البشر ، وقيل : الروح ملك عظيم يقوم وحده صفًا والملائكة صف .

[﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾[٣] مثل][٤] ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾[٥] وقد سبق .

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾[٦] قد سبق أن القرب معنى إضافي لكنه لا بد واقع .

القول في سورة النازعات

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴾[٧] إنكار منهم للبعث ، ودليله في أثناء السورة .

---

(١) سورة النبأ ، آية (٢٧) .
(٢) سورة النبأ ، آية (٣٨) .
(٣) سورة النبأ ، آية (٣٩) .
(٤) سقط من ل .
(٥) سورة المزمل ، آية (١٩) .
(٦) سورة النبأ ، آية (٤٠) .
(٧) سورة النازعات ، آية (١١) .

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾[١] هي العصا .

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا﴾[٢] إلى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾[٣] دليلان على البعث السابق منهم إنكاره ؛ أحدهما في ضمن الآخر .

الأول : قياس إعادتهم على خلق السماوات والأرض ، وهي أولى ؛ لأن خلق السماوات والأرض أعظم .

الثاني : القياس على إحياء الأرض ، وإليه الإشارة بقوله -عز وجل- : ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾[٤] .

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾[٥] سبق في «الأعراف» .

القول في سورة عبس

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾[٦] الآيات تعلق بها من لا يعلم على النبي - صلى اللّه عليه وسلم- ولا متعلق لهم فيها ؛ لأنه - صلى اللّه عليه وسلم- إنما أعرض عن المسلم ، وهو ابن أم مكتوم، إلى خطاب الكافر حرصًا على إسلامه وسعيًا في الدعاء إلى اللّه -عز وجل- على عادته ، و«الأعمال بالنيات» فهو مجتهد /[٢١٤ ب] في

(١) سورة النازعات ، آية (٢٠) .
(٢) سورة النازعات ، آية (٢٧) .
(٣) سورة النازعات ، آية (٣١) .
(٤) سورة النازعات ، آية (٣١) .
(٥) سورة النازعات ، آية (٤٢) .
(٦) سورة عبس ، آية (٥،٦) .

ذلك مصيب ، غير أن الله -عز وجل- اشتدت عنايته بذلك المسلم حتى عاتب رسوله من أجله ، وذلك أمر غيب ليس إلى الرسول ، ولو علم أن العناية بذلك المسلم شديدة إلى هذا الحد لما اشتغل عنه بخطاب غيره ، والذي تضمنه صدر هذه السورة/[٤٤٢/ل] ليس تقرير[١] ذنب على النبي - صلى الله عليه وسلم- وإنما هو عتاب لطيف .

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾[٢] إلى : ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾[٣] تضمن المبدأ والمعاد وما بينهما وهو البرزخ .

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾[٤] إشارة إلى أن الناس يردون القيامة ، وليس فيهم من قام بواجب الأمر الإلهي على ما ينبغي ، فلا بد من تقصير ، وقد ورد عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قال : **« ما منا أحد يأتي يوم القيامة إلا وله ذنب إلا يحيى بن زكريا»** .

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾[٥] أي : الصيحة التي تصم الأسماع من نفخ الصور ، وزلزلة الساعة وهو إثبات للبعث ، ودليله قبله وهو ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾[٦] إلى آخره وهو قياس إحياء الأرض ، كأنه -عز وجل- يقول : انظروا إلى طعامكم الذي تأكلون وأنتم دائمًا له مباشرون ، فإنه إنما يخرج بطريق مساو للبعث ، وإخراج الموتى في الإمكان والمقدورية ، فلماذا تكذبون به؟ .

---

(١) في م : يقرر .
(٢) سورة عبس ، آية (١٩) .
(٣) سورة عبس ، آية (٢٢) .
(٤) سورة عبس ، آية (٢٣) .
(٥) سورة عبس ، آية (٣٣) .
(٦) سورة عبس ، آية (٢٥) .

القول في سورة التكوير

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[١] إلى ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾[٢] هذه جملة من أحكام اليوم الآخر تضمنها صدر هذه السورة ، ولذلك روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قال :«**من أراد أن ينظر إلى يوم القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت**»[٣] .

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾[٤] يتنازعه القائلون بخلق القرآن وقدمه ، كما مرَّ في سورة «الحاقة» ، ثم الرسول هٰهنا هل[٥] هو جبريل عليه السلام أو محمد - عليهما الصلاة والسلام ؟ فيه قولان ؛ الأشبه أنه جبريل .

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾[٦] يحتج بها المعتزلة ، وجوابها[٧] بما بعده كما سبق في آخر ﴿هَلْ أَتَىٰ ﴾[٨] .

---

(١) سورة التكوير ، آية (١) .

(٢) سورة التكوير ، آية (١٤) .

(٣) رواه الترمذي في كتاب : التفسير ، باب : « ومن سورة إذا الشمس كورت » ، حديث (٣٣٣٠) (٩/٦٩). وأحمد (٢/٢٧) (٤٨٠٦) . وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٨١) من حديث ابن عمر بلفظ : « **من سرَّه أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت﴾ و﴿إذا السماء انفطرت﴾ و﴿إذا السماء انشقت﴾**.

(٤) سورة التكوير ، آية (١٩) . وفي م : إنه لقرآن كريم .

(٥) سقط من م .

(٦) سورة التكوير ، آية (٢٨) .

(٧) في ل وجوابه .

(٨) سورة الإنسان ، آية (١) .

القول في سورة الانفطار

صدرها شبيه بصدر السورة قبلها : ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[١] يحتج به التناسخية ولا حجة لهم فيه ؛ لأن المراد في أي صورة من الصور الإنسانية طويلاً أو قصيرًا ، أسود أو أبيض ونحو ذلك جعلك .

﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾[٢] فيه إثبات الحفظة ، وقد سبق القول فيه في «الأنعام» .

القول في سورة المطففين

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[٣] فيه إثبات الموقف والحشر[٤] .

﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[٥] أي : طمس نور قلوبهم ظلمة ذنوبهم فإذا هم /[٢١٥أ/م] ﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾[٦] .

---

(١) سورة الانفطار ، آية (٨) .

(٢) سورة الانفطار ، آية (١٠ - ١٢) .

(٣) سورة المطففين ، آية (٦) .

(٤) في ل والمحشر .

(٥) سورة المطففين ، يية (١٤) .

(٦) سورة البقرة ، آية (١٧١) .

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[(١)] يحتج بمنطوقه[(٢)] على أن الكفار لا/[٤٤٣/ل] يرون اللَّه -عز وجل- وهو مقتضى حجبهم عنه ، وبمفهومه على أن المؤمنين يرونه ، وربما ارتفع ذلك عن كونه مفهومًا إلى كونه قياس عكس أو عكس نقيض ؛ لأنه إذا ثبت أن الكافر يعاقب بالحجاب ، اقتضى أن المؤمن يثاب برفع الحجاب .

القول في سورة الانشقاق

صدرها شبيه بصدر سورة «الانفطار» و «التكوير » : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾[(٣)] إلى ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾[(٤)] يتعلق بأحكام الآخرة كالحساب وأخذ الكتاب ونحوه .

القول في سورة البروج

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾[(٥)] إشارة إلى إثبات المعاد قياسًا على المبدأ .

---

(١) سورة المطففين ، آية (١٥) .

(٢) في ل : به .

(٣) سورة الانشقاق ، آية (٦) .

(٤) سوؤة الانشقاق ، آية (١٥) .

(٥) سورة البروج ، آية (١٣) .

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[١] يستدل به على عموم تعلق إرادته بالكائنات ، والمعتزلة قالوا : إنما يصح ذلك بعد ثبوت أنه مريد لكل كائن وهو فعال لما يريد ، والأولى : ممنوعة ؛ لأنه إنما يريد الخير لا الشر والمعاصي . **وجوابه** : أنا نثبت أنه مريد لكل كائن ، لأن المصحح لتعلق[٢] إرادته ، بالخيرات والطاعات إنما هو إمكانها ، والإمكان مشترك بين ذلك وغيره ، فيكون مريدًا لسائر الكائنات الممكنة ، وهو المطلوب ، وفي المسألة بحث .

القول في سورة الطارق

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[٣] يحتمل إرادة الحفظة ، ويحتمل أن المراد كون اللَّه -عز وجل- قائمًا على كل نفس بما كسبت ورقيبًا عليها .

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾[٤] إثبات البعث[٥] ، ودليله سبق وهو : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[٦] وهو قياس المعاد على المبدأ .

---

(١) سورة البروج ، آية (١٦) .
(٢) سقط من ل .
(٣) سورة الطارق ، آية (٤) .
(٤) سورة الطارق ، آية (٨) .
(٥) في ل للبعث .
(٦) سورة الطارق ، آية (٥ – ٧) .

القول في سورة الأعلى

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾[١] يحتج به من يرى أن الاسم هو المسمى وقد سبق . ﴿ٱلْأَعْلَى﴾[٢] اختلف هل هو[٣] علو محسوس أو معقول ؟ فيبنى[٤] عليه الخلاف في الجهة .

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾[٥] هما نقيضان لا واسطة بينهما حقيقة، وإنما يثبت هٰهنا مجازًا نحو ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[٦] أي : ليس بحيٍّ حياة ينتفع بها ولا هو بميت فيستريح .

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾[٧] يعني قضايا هذه السورة وأحكامها أو ذكر القرآن نحو[٨] : ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٩] .

القول في سورة الغاشية/[٤٤٤/ل]

أكثرها إلى ﴿وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[١٠] يتضمن إثبات العذاب والنعيم

(١) سورة الأعلى ، آية (١) .
(٢) سورة الأعلى ، آية (١) .
(٣) سقط من ل .
(٤) في م : ويبنى .
(٥) سورة الأعلى ، آية (١٣) .
(٦) سوؤة إبراهيم ، آية (١٧) .
(٧) سورة الأعلى ، آية (١٨) .
(٨) في ل ونحوه .
(٩) سورة الشعراء ، آية (١٩٦) .
(١٠) سورة الغاشية (١٦) .

الحسّيين .

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[١] الآيات ، تضمنت الأمر بالنظر /[٢١٥ب/م] ويستلزم ذلك أنه إذا صح أفاد العلم كما سبق ، والآية في السماء والجبال والأرض واضحة ، وأما الإبل فلكثرتها عندهم وعظم[٢] خلقها وانتفاعهم بها وعظم[٣] النعمة فيها .

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[٤] وعيدي محكم أو منسوخ بآية السيف .

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[٥] صريح في حساب الكفار .

القول في سورة الفجر

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[٦] نحو : ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾[٧] إما أن يخسف بهما إلى حيث يشاء اللّه -عز وجل- أو ينسفا بدليل : ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[٨] .

---

(١) سورة الغاشية (١٧) .
(٢) في م : وعظيم .
(٣) في م : وعظيم .
(٤) سورة الغاشية ، آية (٢٢) .
(٥) سورة الغاشية (٢٦) .
(٦) سورة الفجر ، آية (٢١) .
(٧) سورة الحاقة ، آية (١٤) .
(٨) سورة المرسلات ، آية (١٠)

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[(١)] أي : جاء بذاته ، وقيل : بأمره لفصل القضاء ، ونظيره : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾[(٢)(٣)] .

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾[(٤)] قيل : الأرواح تدخل في الأجساد ، وهو إثبات للبعث ، والظاهر أن المراد إكرام النفس الصالحة بإدخالها في الصالحين .

القول في سورة البلد

﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[(٥)] أي طريق الخير والشر ، وهذه هداية إرشاد ، وهي الهداية العامة ، أما هداية العصمة فخاصة بمن شاء اللّٰه -عز وجل- وسبقت له السعادة .

القول في سورة الشمس

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[(٦)] يحتمل أن المراد : خلق فيها ذلك ، ويحتمل أن المراد : طبعها وفطرها على ما شاء من فجور أو تقوى .

---

(١) سورة الفجر ، آية (٢٢) .

(٢) سورة البقرة ، آية (٢١٠) .

(٣) هذه من صفات الأفعال ، فاللّٰه يأتي ويجيء وينزل كيف شاء ، كما ذكر عن نفسه بكيفية لا نعلمها ، وكما أن ذات اللّٰه لا تماثلها الذوات فصفاته لا تماثلها الصفات ، فهو يجيء يوم القيامة كما ذكر عن نفسه ، واللّٰه أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات . (خ)

(٤) سورة الفجر ، آية (٢٩) .

(٥) سورة البلد ، آية (١٠) .

(٦) سورة الشمس ، آية (٨) .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[(١)] أي : طهرها وكملها ، باكتساب العلم والعمل ، ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[(٢)] أي : ترك جهلها وفجورها كامنا فيها لم يطهرها منه .

[﴿إِذِ انۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾[(٣)] احتجت به الشيعة على أن عليًا أفضل الصحابة ؛ لأن النبي - صلى اللّه عليه وسلم- قال : «**أشقى الأولين عاقر الناقة وأشقى الآخرين قاتلك يا عليّ**»[(٤)] أو كما قال ، فثبت أن قاتل علي أشقى وأعظم دركًا من قاتل عمر وعثمان وما ذاك إلا لأن عليًا أفضل منهما ، وأن قاتله فوت من الفضيلة ، ومصلحة الوجود أعظم مما فوت قاتلهما ، وإذا ثبت هذا المعنى بالنسبة إلى عليّ مع عمر وعثمان ثبت بالنسبة إليه مع أبي بكر وإن لم يقتل ؛ إذ لا قائل من الجمهور بالفرق ، فثبت بهذا الدليل أن عليًا أفضل الصحابة ، وتلخيصه أن قاتل عليّ أشقى القاتلين ، فعليّ أفضل المقتولين .

وأجاب الجمهور بأن هذا الاستدلال بمعنى خبر واحد ، وهم لا يقولون به ، ثم هو لا يعارض إجماع السلف على تفضيل الملائكة على عليّ .][(٥)(٦)]

---

(١) سورة الشمس ، آية (٩) .

(٢) سورة الشمس ، آية (١٠) .

(٣) سورة الشمس ، آية (١٢) .

(٤) رواه أبو يعلى (١/ ٣٧٧) (٤٨٥) عن علي ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « **من أشقى الأولين؟**» قلت : عاقر الناقة . قال : « **صدقت ، فمن أشقى الآخرين ؟**» قلت : لا علم لي يارسول اللّه ، قال : « **الذي يضربك على هذه** » وأشار بيده إلى يافوخه . ورواه الطبراني في الكبير عن جابر (٢/ ٤٧) (٢٠٣٧) ، وعن صهيب (٨/ ٣٨) (٧٣١١) ، ورواه أحمد في فضائل الصحابة (٢/ ٥٦٦)(٩٥٣) .

(٥) سقط من ل .

(٦) كون قاتل علي أشقى الآخرين لا يستلزم أن عليًا أفضل المتأخرين ، كما لا يلزم أن عاقر الناقة أشقى الأولين تكون الناقة أفضل من المؤمنين ، كما أن هذه روايات كلها ضعيفة ، كما بمجمع الزوائد (٩/ ١٣٦) وما حسن إسناده لا يدل على ما دل عليه اللفظ أعلاه ، ثم ثبت أن أبا جهل فرعون هذه الأمة ، فهو أشقى من قاتل علي ، وإن كان المراد النفاق

القول في سورة الليل

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ /[٢١٦أ/ م] فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[(١)]
يحتج به من يرى الأعمال الصالحة أمارة على السعادة محصلة للظن بذلك ، وكذلك الأعمال[(٢)] الفاسدة على الشقاوة ؛ لأن هذا وعد من اللَّه -عز وجل- أنه ييسر كلًّا لمناسب عمله ، ووعد اللَّه -عز وجل- واقع لا محالة .

والآخرون قالوا : الأمارة قد تخلف ، والوعد قد تعلق بالمشيئة في نفس الأمر فلا يلزم وقوعه ، وقوله - صلى اللَّه عليه وسلم- : «**يعمل أحدكم بعمل أهل الجنة** - إلى قوله - : « **وإنما الأعمال بالخواتيم** »[(٣)] قاطع في الباب فلا يترك لغيره ، ولو صح ما قاله الأول لكان أسعد الناس/[٤٤٥/ل] إبليس وبرصيصا وبلعام ونحوهم ممن مُكِر به[(٤)] في آخر أمره .

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾[(٥)] يحتج به المعتزلة ؛ لأنه -عز وجل- التزم الهدى على نفسه فلا يضل أحدًا ، وإنما الناس يضلون أنفسهم .

فالمنافقون في عهده ﷺ أشد ، إلا أن يحمل على شقاء خاص ، كما في حديث وضع سلا الجزور على ظهر النبي ﷺ في الصلاة فإن فيه «فانبعث أشقى القوم» وذكر الحافظ أن هذا بالإضافة إلى هذه الفعلة ، لأن القوم فيهم أبو جهل إلا أن المباشر للعمل أشد من المحرض والمسبب ، وأما مسألة تفضيل الملائكة ، فالظاهر أنها مقحمة هنا من بعض النسخ ، والمسألة خلافية لا إجماع فيها ، واللَّه أعلم (خ).

(١) سورة الليل ، آية (٥ - ٧) .

(٢) زيادة من ل .

(٣) رواه البخاري (/١١٧٤) حديث (٣٠٣٦) ، وأطرافه (٣١٥٤ ، ٣٩٧٠ ، ٦٣٢١) ومسلم (٤/ ٢٠٣٦) حديث (٢٦٤٣) .

(٤) في ل : بهم .

(٥) سورة الليل ، آية (١٢)

وجوابه أن الذي التزمه هدي الإرشاد والهداية لاهَدي العصمة والرعاية ، ثم إن هدي الإرشاد واجب منه لإقامة الحجة وتحقيق العدل لا واجب عليه ، إذ قدمنا أنه -عز وجل- لايجب عليه شيء .

﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾[1] الآيات ، احتج بها الجمهور على أن أبا بكر - رضي اللّه تعالى عنه - أفضل الصحابة رضى اللّه عنهم أجمعين[2] ؛ لأنها نزلت في شأنه وقد وصف بأنه الأتقى ، وينتظم الدليل هكذا : أبو بكر أتقى ، والأتقى أكرم ، والأكرم أفضل ، أما الأولى فلهذه الآية ، وأما الثانية فلقوله -عز وجل- : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[3] ، وأما الثالثة : فبينة .

وأجابت الشيعة [لعنهم اللّه][4] : بأنا لا نسلم أنها نزلت في شأن أبي بكر ، وما رويتموه في ذلك أحاد[5] ضعيفة لا يعتمد عليها ، وظاهر الآية وسياقها تعميم الأتقى في كل من اتصف بالأفضلية في التقوى ؛ لأن اللّه -عز وجل- قدم على ذلك قوله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[6] فكما أن الأشقى عام في كل من كذب وتولى لا يخص أحدًا بعينه ، كذلك الأتقى الذي قوبل به يجب أن يكون عاما في كل من تزكى بماله ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ثم إن العام لا دلالة له على الخاص ، فلا دلالة للآية على خصوص أبي بكر ولا غيره ، بل

---

(١) سورة الليل (٧،٨) .

(٢) زيادة من ل .

(٣) سورة الحجرات ، آية (١٣) .

(٤) سقط من ل .

(٥) في م : أحاديث .

(٦) سورة الليل ، آية (١٤ - ١٦) .

معناها أن كل من اتصف بهذه الصفة المذكورة جُنّب النار التي تلظى ، ويحتاج تفضيل أبي بكر وغيره إلى دليل غير هذا[١] .

ثم قوله -عز وجل- : ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾[٢] يحتج به المرجئة في أن لا يدخل النار إلا كافر كما سبق عنهم في سورة «تبارك الملك» ، بل هذه أدل على ذلك ؛ لأنه -عز وجل- حصر[٣] من يدخلها في الأشقى المكذب بالنفي والإثبات/[٢١٦ب/م] ولا شك أن قولنا : لا يدخل النار إلا كافر[٤] ، أقوى دلالة من قولنا : كلما دخل النار داخل اعترف بالكفر .

ويجاب بأن النار دركات ، نحو : جهنم ولظى وسقر والحطمة وغيرها ، فهذه النار التي تعيَّن لها الكافر الأشقى واحدة خاصّة منها ، والأشبه أنها لظى لوصفها بأنها تلظى ، ولا يلزم من تعيّن الكافر لنار معينة أن لا يدخل غيرها[٥] غيره ، فعصاة المؤمنين يدخلون غير هذه ، ثم يخرجون [ويعترض عليه بأنه يلزمكم في : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[٦] وأنه يجنب هذه النار المعينة ، ولا يلزم منه أن يجنب غيرها فلا يكون مدحه والوعد له كاملاً ، لكن ذلك خلاف مقتضى

---

(١) إلا أنه يقال : لو كانت الآية خاصة لكانت أولى بأبي بكر دون علي ، فإنفاقه متواتر ، وقال ﷺ : «إنه ليس من الناس أحد أمن عليّ في نفسه وماله من ابن أبي قحافة» في حين كان النبي ﷺ ينفق على علي بن أبي طالب ﷺ كما أنه لم يكن لأبي بكر نعمة في الدنيا من النبي ، وإنما كان إنفاقه ابتغاء وجه الله ، وعلى كلٍ فدخول أبي بكر في الآية أولوي ، والله أعلم . (خ)

(٢) سورة الليل ، آية (١٤ - ١٦) .

(٣) في ل : خص .

(٤) في ل الكافر .

(٥) في ل عليها .

(٦) سورة الليل ، آية (١٧) .

سياق الكلام ، فتعين أن الكلام في مطلق النار يجنبها الأتقى ، ويتعين لها الكافر الأشقى ، وهذا اعتراض قوي ،][1] وطريق الانفصال عنه أنه استدلال على كل حال فلا يعارض العمومات والنصوص القاطعة من الكتاب والسنة والإجماع ، على أن عصاة المؤمنين/[٤٤٦/ل] يدخلون النار بذنوبهم ، ثم يخرجون بإيمانهم .

القول في سورة الضحى

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[2] قيل : إنه ضل عن جدّه عبد المطلب وهو طفل ، وقيل : ضلّ في أنوار الملكوت ليلة المعراج فهداه اللّه -عز وجل- إليه ، وقيل : لما نشأ بين قوم كفار انعقد له سبب الضلال ، فلولا أن أنقذه اللّه -عز وجل- من ملتهم بهداه ووحيه لضل ، فسمّى انعقاد سبب الضلال ضلالاً على المجاز ، كما يقال : وجدت فلانًا غريقًا فأنقذته أو قتيلاً بين أعدائه فأحييته ونحوه ، إذا انعقد له سبب ذلك ، وفي هذه الآية نحو عشرين قولاً هذا أقربها إلى التحقيق ، وإليه يرجع قوله -عز وجل- : ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[3] .

---

(١) سقط من ل .

(٢) سورة الضحى ، آية (٧) .

(٣) سورة الشورى ، آية (٥٢) .

القول في سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾

هو شرح حسّي بشق جوفه حتى أخرج حظ الشيطان منه ، وعقلي بخلق دواعي الإيمان فيه كما سبق في «الأنعام» وغيرها .

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[(١)] لما كرر العسر معرفًا كان واحدًا ، ولما كرر اليسر منكرًا كان متعددًا ، ومن ثم قال ابن عباس- رضى اللَّه عنهما- : «**لن يغلب عسر يسرين**»[(٢)] ، واعلم أن الاسم إذا تكرر مرتين ، فإما أن يكون معرفًا فيهما فهو واحد ، نحو : لقيت الرجل فقلتُ للرجل ، أو منكرًا فيهما فيتعدد نحو : لقيت رجلًا فقلت لرجل ، أو يتنكر في الأولى فقط فيتحد نحو : لقيت رجلًا فقلت للرجل ، أو بالعكس فيتعدد نحو : لقيت الرجل فقلت لرجل ، والآية تضمنت الطرفين الأولين من هذه القسمة .

القول في سورة والتين

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ /

---

(١) سورة الشرح ، (٥ ، ٦) .

(٢) رواه مالك عن عمر موقوفًا (٢/ ٤٤٦) ، وقال الحاكم (٢/ ٥٧٥) : صح هذا عن عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وروي مرسلًا . وقد رواه الحاكم (٢/ ٥٧٥) عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا .

[٢١٧أ/ م]﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[١] أي : ثم رددناه إلى خسر الكفر بدليل استثناء المؤمنين من أهل سافلين ، ولا يقابل المؤمن إلا الكافر ، وبدليل : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[٢] وبدليل ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾[٣] وفي موضع : ﴿ فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[٤] ففسر السفال بالخسر ، واستثنى المؤمن من السافل فدل على أن المراد خسر الكفر ؛ فإذن الأسفل أخسر والأخسر كافر ، وإذا ثبت هذا فرددناه قاطع في مذهب الجمهور ؛ لاقتضائه أن اللَّه -عز وجل- ردّه/ [٤٤٧ل] إلى خسر الكفر وسفاله ﴿ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ﴾[٥] .

القول في سورة اقرأ

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴾[٦] فيه إثبات المعاد .

﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾[٧] فيه أن اللَّه -عز وجل- بصير .

﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[٨] فيه إثباتهم وهم ملائكة يدفعون العصاة إلى النار .

---

(١) سورة التين ، (٤، ٦) .

(٢) سورة العصر (٢، ٣) .

(٣) سورة الأنبياء ، آية (٧٠) .

(٤) سورة الصافات ، آية (٩٨) .

(٥) سورة النساء ، آية (٨٨) .

(٦) سورة العلق ، آية (٨) .

(٧) سورة العلق ، آية (١٤) .

(٨) سورة العلق ، آية (١٨) .

﴿ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾[(١)] فيه أن السجود سبب القرب من الرب - جل جلاله- قربًا عقليًا لا حسيًا ، أما عند مثبتي الجهة فظاهر ، وأما عند غيرهم فلأنه[(٢)] - عز وجلّ - لا في السماء ولا في الأرض ولا داخل العالم ولا خارجه ، ولا متصل ولا منفصل فيستحيل التقرب منه حسًا عندهم .

القول في سورة القدر

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ ﴾[(٣)] يعني : القرآن نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر ، وهي الليلة المباركة في سورة « الدخان» .

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ﴾[(٤)] هو الأمر أو صنف من الملائكة كما مر ، وهذه السورة ثلاثون كلمة [سابعة العشرين منها هي في سلام][(٥)] هي في ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾[(٦)] فقال ابن عباس - رضى اللّه تعالى عنه - : « هي هي » أي هي سابعة العشرين من رمضان ، وقال قوم : ليلة الجمعة التي بعد نصف رمضان وترًا منه هي ليلة القدر دائمًا ، وهو قول حسن ، وفيها أقوال كثيرة .

---

(١) سورة العلق ، آية (١٩) .
(٢) في ل فلأن الله .
(٣) سورة القدر ، آية (١) .
(٤) سورة القدر ، آية (٤) .
(٥) زيادة من ل .
(٦) سورة القدر ، آية (٥) .

القول في سورة البينة

﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[١] محمد[٢] ، ﴿ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾[٣] القرآن ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[٤] يقتضى أن القرآن تضمن معاني الكتب التي قبله أو بعضها ، ولا أفهم لهذا الكلام معنى إلا هذا ، ثم على هذا قوله - عز وجل- ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[٥] أي دين الكتب القيمة السابق ذكرها ، وذلك إشارة إلى العبادة مخلصين حنفاء وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فدل[٦] على أن الشرائع السابقة وردت بهذه الخصال جميعها، وهو موافق لقوله - عز وجل - : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾[٧] اللّهم إلا [أن يراد ﴿ دين][٨] القيمة ﴾[٩] دين الملة القيمة وهي ملة الإسلام ، فلا يجيء هذا الكلام [٢١٧ب/م] . ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[١٠] إلى ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[١١] يستدل به مع قوله -عز وجل- : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[١٢] على أن العلماء أفضل من الملائكة ، ونظمه هكذا :

(١) سورة البينة ، آية (٢) .
(٢) سقط من ل .
(٣) سورة البينة ، آية (٢) .
(٤) سورة البينة ، آية (٣) .
(٥) سورة البينة ، آية (٥) .
(٦) في ل : فيدل .
(٧) سورة الشورى ، آية (١٣) .
(٨) في ل إن أراد بدين .
(٩) سورة البينة (٥) .
(١٠) سورة البينة ، آية (٧) .
(١١) سورة البينة ، آية (٨) .
(١٢) سورة فاطر ، آية (٢٨) .

الذين يخشون اللَّه هم العلماء والذين يخشون اللَّه خير البرية ، فالعلماء خير البرية والملائكة من جملة البرية ، إذ المراد منها كل ما برأه اللَّه -عز وجل- أي خلقه ، والنزاع في هذا الاحتمال أن المراد بالبرية البشر أو العالم الأرضي/[ ] بدليل ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[١] .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[٢] يقتضي أن أهل الكتاب ينتظمهم لفظ الكفر لا الشرك ؛ لأن الآية اقتضت أن أهل الكتاب قسيم للمشركين ، والشيء لا يصدق عليه اسم قسيمه ، وإنما يصدق عليه اسم الجنس المنتظم لهما[٣] .

القول في سورة الزلزلة

﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ﴾[٤] إسناد الإخراج إليها مجاز ، والمخرج في الحقيقة هو اللَّه -عز وجل .

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴾[٥] إلى آخرها ، استدل بها على دخول عصاة الأمة النار ثم خروجهم وأنهم لا يخلدون خلافًا للمعتزلة ، وبيانه أن الآية اقتضت أن من عمل خيرًا أو شرًا رآه ،

---

(١) سورة البينة (٦) .

(٢) سورة البينة (٦) .

(٣) في ل لها .

(٤) سورة الزلزلة (٢) .

(٥) سورة الزلزلة (٦) .

أي : جوزي به ، فلا يخلو مجازاته به إما أن يكون بإدخاله الجنة ثم النار وهو باطل بإجماع ، إذ من دخل الجنة لا يخرج منها لقوله -عز وجل- : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[١] أو بالعكس وهو المطلوب ، ولا واسطة بينهما

القول في سورة العاديات

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴾[٢] فيه إثبات البعث والحشر والنشور[٣] ، و﴿بُعْثِرَ﴾[٤] مشتق من بعث وأثار .

﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾[٥] أي صدور الناس جمع صدر ، وقيل : مصدر صدر الناس صدورا بدليل : ﴿ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا ﴾[٦] أي حصل ما يكون عن صدور الناس من قبورهم وهو محدث غريب لكنه مناسب .

القول في سورة القارعة

تضمنت البعث والنشر ونسف الجبال ووزن الأعمال ، ودخول

---

(١) سورة الحجر ، آية (٤٨) .

(٢) سورة العاديات (٩) .

(٣) في ل والنشر .

(٤) سورة العاديات (٩)

(٥) سورة العاديات (١٠) .

(٦) سورة الزلزلة ، آية (٦) .

النار لبعض الناس ، وقد سبق جميع ذلك .

القول في سورة التكاثر

تضمنت إثبات الجحيم وعيان[١] الناس لها ، وذلك حين يمرون على الصراط وهو كالجسر عليها ، وأنهم يسألون عن نعيم الدنيا الحسّي ، أما العقلي كنعيم العلم والمعرفة ففيه نظر ، والأشبه الموافق لعموم الآية أنهم يسألون عنه ، ماذا عملت فيما علمت ؟ وكيف سلكت /[٢١٨أ/م] إلى من عرفت ؟ ومن علمك وعرفك ؟ وكيف كان شكرك له بالطاعة والتوحيد؟ ونحو ذلك .

وفي الحديث [عن النبي - صلى اللّه عليه وسلم - أنه قال][٢] : **«لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن/[٤٤٩/ل] ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وماذا عمل فيما علم؟ »**.[٣]

---

(١) في ل وعنان .

(٢) زيادة من ل .

(٣) رواه الدارمي عن أبي برزة (١/ ١٤٤) (٥٣٧) ، والترمذي (٤/ ٦١٢)(٢٤١٧) ، وأبو يعلى (١٣/ ٤٢٨)(٧٤٣٤) ، وقد روي من حديث ابن مسعود رواه الترمذي (٤/ ٦١٢) (٢٤١٦) ، وأبو يعلى (٩/ ١٧٨) (٥٢١١) ، والطبراني في الكبير (١٠/ ٨) ، والصغير(٢/ ٤٩) . وعن معاذ رواه الدارمي (١/ ١٤٥) (٥٣٩) والطبراني (٢٠/ ٦٠) (١١١) . وعن ابن عباس رواه الطبراني (١١/ ١٠٢) (١١١٧٧) .

القول في سورة العصر

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾[١] هو اسم جنس عام بدليل الاستثناء منه ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[٢] إلى آخره ، كان السلف يسمونه ميزان النجاة ، فيقولون : هلموا نزن أنفسنا بميزان النجاة يعني الإيمان والعمل الصالح ، والتواصي بالحق وبالصبر ، وذلك لأن للإنسان قوتين علمية وإليها الإشارة بـ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾[٣] ، وعملية ، وإليها الإشارة بآمنوا وعملوا الصالحات ، والصبر من نتائج الإيمان ، فإذا كملت هاتان القوتان حصلت النجاة والسعادة ، وبعد التداخل المذكور[٤] لم تتضمن السورة غيرهما[٥] .

القول في سورة الهمزة

فيها[٦] إثبات الحطمة وهي التي تحطم ما ألقي فيها ، وأنها[٧] تخلص إلى الأفئدة ، وهي أبصار القلوب فتطلع عليها أي تباشرها ،

---

(١) سورة العصر ، آية (٢) .
(٢) سورة العصر ، آية (٣) .
(٣) سورة العصر ، آية (٣) .
(٤) في ل المذكورة .
(٥) في ل : غيرها .
(٦) في ل : فيه .
(٧) في ل : وأنما .

وأنها [ ][١] مؤصدة [على أهلها][٢] ، أي : مغلقة من الوصيد وهو الباب .

القول في سورة الفيل

تضمنت من آيات اللَّه - عز وجل - حمايته[٣] لبيته ، وتصرفه في الطير بالتسخير لقتال أعدائه وهلاكهم ، ولعل ذلك من معجزات نبينا محمد - صلى اللَّه عليه وسلم- إذ كان مولده عام الفيل .

القول في سورة قريش

تضمنت عناية اللَّه -عز وجل- بهم حتى وطأ لهم البلاد لرحلة الشتاء والصيف ، وإطعامهم من جوع وأمنهم من خوف ، بخلق الصوارف عن أذى حرمهم في قلوب المفسدين وجلب الميرة إليهم ؛ بتحريك الناس لذلك .

(١) في ل : وعليهم .
(٢) سقط من ل .
(٣) في م : وحمايته .

القول في سورة ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾[(١)]

فيه ذم التكذيب بالدين ، والرياء في العبادات والتفريط فيها .

القول في سورة الكوثر

وهو نهر في الجنة خصّ به النبي - صلى اللّه عليه وسلم- وهو من أحكام الآخرة ، واشتقاقه من الكثرة ، لكثرة خيره .

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾[(٢)] من هٰهنا أخذ النبي - صلى اللّه عليه وسلم- أن الأضحية لا تجزئ قبل الصلاة ، لتقديمها في الذكر ، وإن لم تكن[(٣)] الواو للترتيب/[٤٥٠ل] ، وتضمن وعده - عليه الصلاة والسلام - بأن شانئه هو الأبتر ، إما من عقب أو ذكر حسن أو / [٢١٨ب/ م] منهما .

---

(١) سورة الماعون ، آية (١) .

(٢) سورة الكوثر ، آية (٢) .

(٣) في م : يكن .

القول في سورة الكافرون

التكرار فيها يحتمل أنه للتأكيد نحو : ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[(١)] في المرسلات ، و﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[(٢)] في «الرحمن» ، و﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(٣)] في «الشعراء» ، وكقوله : « **والله لا آذن ثم لا آذن**»[(٤)] ويحتمل أن يكون نفيًا لموافقته إياهم وموافقتهم إياه في العبادة ، باعتبار الحال والاستقبال ، وذلك أربعة مضروب اثنين في اثنين كما تضمنته ، وقد أخبرني الشيخ علي بن عمر بن حمزة الحراني الحجار قيم الحرم النبوي الشريف : أن بعض زنادقة الأطباء صنف تفسيرًا بمبلغ علمه وسوء قصده ، فلما انتهى إلى هذه السورة جعل يقول : ﴿لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ قال : هذه شبيهة بالمنشار ، يعنى أنها ذهاب ومجيء وصد وردّ بصورة واحدة ، كالمنشار يمشي في الخشب ويجيء وصورته واحدة ، وهذا منه استهزاء بالله -عز وجل- وآياته ورسوله وزندقة أظهرها ، فعليه من الله ما يستحق .

فأما قوله -عز وجل- :﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[(٥)] فهو إما خبر

---

(١) سورة المرسلات ، آية (١٥) .

(٢) جزء من حديث خطبة عليّ لابنة أبي جهل ، وقد تقدم .

(٣) سورة الرحمن ، آية (١٣) .

(٤) سورة الشعراء ، آية (٦٨) .

(٥) سورة الكافرون ، آية (٦) .

وعيدي محكم نحو : ﴿ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾[١] أو أمر تكليفي نسخ بآية السيف ونحوها .

وقد سبق تقرير النسخ في موضعه .

القول في سورة النصر

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾[٢] قيل : هو إشارة إلى قرب أجل النبي - صلى اللّه عليه وسلم- واستدل بأمره بالاستغفار على أن الأنبياء يجوز عليهم فعل ما يستغفرون منه .

القول في سورة «تبت»

﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[٣] زعم بعضهم أن بعد هذا الخبر ارتفع التكليف عن أبي لهب ؛ لأنه لما حكم له بالنار صار كأنه فيها ، ولا تكليف على من فيها .

والصواب خلافه ، وحينئذ يستدل به على تكليف ما لا يطاق ؛ لأنه مقطوع له بالنار مكلف بالإيمان ، فقد كلف بالإيمان بأنه لا

(١) سورة يونس ، آية (٤١) .
(٢) سورة النصر ، آية (٣) .
(٣) سورة المسد ، آية (٣) .

يؤمن [١] .

القول في سورة الإخلاص

تضمنت إثبات الأحدية والصمدية ، وهو يقتضي نفي الانقسام والتجسيم ، وتضمنت نفي الولادة والمولودية ، وهو يقتضي نفي المسبوقية والمادة الجسمانية ، وتضمنت أن لا كفو له ، أي مثل مكافئ ، ومن ثم عظم شأن هذه السورة لاختصاصها بتنزيه الحق -عز وجل- لم يتضمن غيره [٢] .

القول في المعوذتين

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [٣] يقتضي خلق الشرور جميعها ؛ لأن التعوذ عام ، فنظمه هكذا : تعوذ من جميع الشرور وتعوذ مما خلق بالشرور/ [٢١٩أ/ م] هي مما خلق ، وتضمنت أن للسحر حقيقة وتأثيرًا ؛ لأنه

(١) هذه مغلطة ؛ لأن مصحح التكليف القدرة التي قبل الفعل ، وهي الوسع والتمكن ونحو ذلك من سلامة الآلات ، ولا يقع بها الفعل ، بل بقدرة أخرى من جهة التوفيق والإقدار والإلهام ، ثم أين أن النبي- صلى الله عليه وسلم - دعاه بعد نزول الآية ، بل هذا كمن عاين العذاب ، والله أعلم (خ).

(٢) هذه الألفاظ الحادثة مدار الأخذ والرد ، وكما سبق مرارًا أنه لا يصح تأسيس الأدلة عليه ، والله أعلم(خ) .

(٣) سورة الفلق ، آية (٢) .

- صلى اللّه عليه وسلم- أمر بالتعوذ من شر النفاثات وهن السواحر ، ولولا أن الأمر كما قلنا لما كان كذلك .

وكذلك تضمنت أن للوسواس وهو الشيطان شرًا يتعوذ منه وهو الإضلال والتزيين ، ووسوسته في الصدور ، قيل : بدخول فيها إذ يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وقيل : النفس يخرج من مسام البدن إلى الفضاء كخروج الهياء من الطاقة . فينفث فيها الشيطان بوسوسته ثم يدخل بذلك القلب ، والأول أصح ، وتضمنت أن الوسوسة تكون من شياطين الجن والإنس كما سبق .

وليكن هذا آخر الكتاب ، وقد استطردنا فيه يسيرا مما ليس من موضوعه سبقا أو سهوا أو لغرض صحيح ، واللّه -عز وجل- أعلم بالصواب .

وافق الفراغ منه العشر الآخر من المحرم الحرام ، مفتتح شهور سنة سبع وخمسين وسبعمائة .

والحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وآله وصحبه الطهر الطاهرين وسلم .

تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه

المجلد الثالث

وبه تم الكتاب

الفهارس العامة



١ - فهرس الآثار والأحاديث النبوية

***

٢ - العقائد

أ

(أ ل هـ)

(أ م م)

(ب ع ث)

(ج س م)

(ج د ل)

(ج ن ن)

(ج ن ن)

(ح د ث)

(ح س ب)

(ح س ن)

(ح س س)

(ح ل ل)

(خ ل ق)

(و ص ف)

٣ - أصول الفقه

(أ م ر)

مسائل الأمر

(ب ر أ)

(ب ي ن)

(ث ن ى)

(ج م ع)

(الجمع)

(ق ل د)

(ق و ل)

(ق و س)

(ك ل ف)

(ل ز م)

(ل غ و)

(ن س خ)

٤ - تعاريف أوردها المصنف في الكتاب

٥ - فهرس الأعلام

الأبناء

الكنى

***

٦ - الفرق والملل والمذاهب

٧ - الكتب

***

٨ - القبائل والجماعات

***

٩ - الأماكن والبلدان

***

١٠ - الغزوات

١١ - فهرس الأشعار

أنصاف أبيات

******

تم ولله الحمد والمنَّة

١٢ - فهارس الموضوعات

***

صدر حديثاً



تصنيف

أبي بكر بن أبي داود السجستاني

عبد الله بن سليمان بن الأشعث

رحمه الله

طبعة محققة ومضبوطة على مخطوط

حققه وعلق عليه واعتنى به

محمد بن عبده

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

صدر حديثاً



تأليف

الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي

٥٠٩-٥٩٧هـ

وبهامشه

تنقيح التحقيق

تأليف

الإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي

٦٧٣-٧٤٨هـ

أعدّه للنشر

أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب

الناشر
الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

صدر حديثاً ويطبع لأول مرة

تفسير القرآن العزيز

لابن أبي زمنين

تأليف

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين

(٣٢٤ - ٣٩٩هـ)

طبعة محققة ومضبوطة على نسختين خطيتين

* قال عنه أبو عمرو الداني: «ليس لأحد من المتقدمين مثله».

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

صدر حديثاً ويطبع لأول مرة

مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي

زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي

٧٣٦ - ٧٩٥هـ

٣٠ رسالة جمعت علوماً شتى في التوحيد والفقه والتفسير والحديث والزهد والآداب والمواعظ والرقائق والسير والتاريخ

جميع الرسائل حققت على نسخ خطية أصلية

دراسة وتحقيق

أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني

الناشر

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر